دروس في التفسير والتدبر

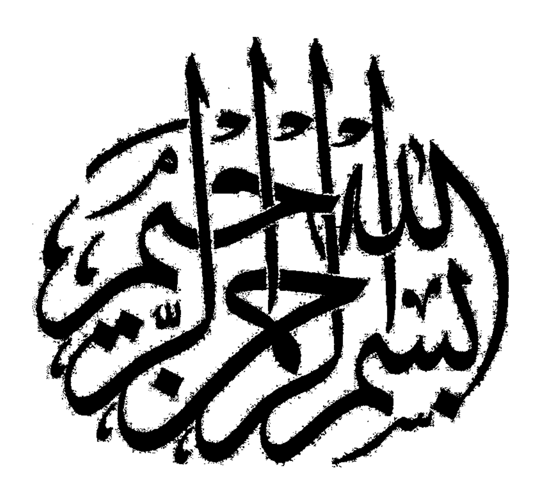
سلسلة «مع الصادقين» (١)

كونوا مع الصادقين

آية الله
السيد مرتضى الحسيني الشيرازي


كونوا مع الصادقين


شبكة الفكر
alfeker.net



دروس في التفسير والتدبر

سلسلة «مع الصادقين» (١)

كونوا مع الصادقين

آية الله
السيد مرتضى الحسيني الشيرازي

لمؤسسة التقى

www.m-alshirazi.com

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م



هيئة خدام المهدي عليه الصلاة والسلام

هيئة تثقيفية إسلامية تطوعية هدفها تنمية المجتمعات إيمانيا
وفق رسالة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

توزيع:

مركز نور محمد
صلى الله عليه وآله وسلم

الكويت - ٢٢٥٦٣٠٣٣ (٩٦٥+)

مواقع جديرة بالمراجعة:

www.s-alshirazi.com
www.alshirazi.com
www.alshirazi.net

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ

تقديم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وآلاف التحية والثناء على الحبيب المصطفى، وآله النجباء، وصحبه الخُلصاء، ومَنْ ووالاهم وتبعهم إلى يوم الانقضاء.

القرآن الحكيم كتاب حياة، وفي رحابه الحياة الحقيقية التي يريدنا ربنا سبحانه أن نحياها في دنيانا، حتى نرجع إليه خالصين مُخلصين بقلب سليم..

وهو كالشمس للأرض والأحياء ففي كل يوم جديد ومفيد، يشرق على الحياة وكلٌ يأخذ منه حاجته، وربنا سبحانه، ورسولنا الكريم، وأهل البيت الأطهار، والعقل، والنقل يأمرنا بالتدبُّر، والتفكُّر بآيات القرآن الحكيم، وشبهوه لنا بالخزائن التي تحفظ فيها الجواهر الثمينة فعلى القارئ أن يفتح تلك الخزائن وينظر ما فيها من المعارف والعلوم..

وفي هٰذه الأيام العصيبة توقف أحد الأعلام الكرام عند آية من آيات الكتاب العزيز، ونظر ما فيها، فوجد كنوزاً من الحكمة، قالها لنا بأحاديثه

(١) بقلم فضيلة الشيخ الحسين أحمد السيد دام عزه.

ومجلس بحثه فتتبعنا كلماته الجميلة، ثم أحب سماحته أن يشارك كل الناس ـ لا سيما أهل الإيمان ـ بهذه المعاني والتأملات القرآنية..

خزانة من نور

وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1]

ونبحث هنا في هٰذه المقدمة بعُجالة حول أقوال المفسرين بما يُعرف بأسباب النزول، وكلماتهم بتفسير هٰذه الآية الشريفة، لتكون مقدمة لبحوث **سماحة السيد الأستاذ مرتضى الشيرازي (حفظه الله)** التي أفادها، وأفاضها على المشايخ والعلماء والفضلاء من طلبة الحوزة العلمية في جوار العقيلة الهاشمية وبطلة كربلاء السيدة زينب (عليها أفضل الصلاة وأزكى السلام) في المكتب المرجعي لسماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله، وهي بالحقيقة القسم الأول في هٰذا الباب الواسع اكتفينا بتضمين أحد عشر درساً منها فقط في هٰذا الكتاب، ويشتمل على واحد وثلاثين إجابة عن السؤال الذي طرحته بعض الأطراف البعيدة عن القرآن وعلومه حيث طرحوا شبهات ليس لها قيمة بالميزان العلمي وظنوا بأنهم أفحموا الشيعة فأورد سماحة السيد الأستاذ واحداً وثلاثين إجابة هنا على هٰذا السؤال: لماذا لم يُصرَّح باسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الحكيم.؟

وفي الأبحاث القادمة ستتضاعف الأجوبة فتكون الإجابات بالعشرات.

ومن الطبيعي إذن أن تكون هٰذه المقدمة تأصيلية لمفردات هٰذه الآية المباركة من سورة التوبة التي اتفق علماء المسلمين على أنها ـ إن لم

(١) التوبة: ١١٩.

تكن آخر سورة نزلت على الرسول الأعظمﷺ - فهي من أواخر ما نزل من القرآن الحكيم، ولذا قال العلماء بأن أحكامها قطعية ولم تُنسخ..

وآية البحث هي في أواخر هٰذه السورة الشريفة التي قيل: أن لها العديد من الأسماء أشهرها (البراءة، والتوبة، والفاضحة (للمنافقين))..

وذهب العلماء بتفسيرها إلى مذهبين إثنين هما:

مَنْ أخذ المعنى اللغوي للصدق والصادقين، والتي هي ضد الكذب والكاذبين، واللطيف بهذه الطائفة أنهم قالوا: أن الآية إنما نزلت على غير الصورة المتعارفة بيننا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وقالوا بل هي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ (من) ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1]، أي أبدلوا حرف الجر ﴿مَعَ﴾ بحرف آخر هو (من) ليفيد المعنى الذي ذهبوا إليه، وهو: هٰذا أمر من الله تعالى للمؤمنين المصدقين بالله والمقرين بنبوة نبيه بأن يتقوا معاصي الله ويجتنبوها وأن يكونوا من الصادقين الذين يصدقون في أخبارهم ولا يكذبون، قال ابن مسعود: لا يصلح من الكذب جدٌّ ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم ولده شيئاً ثم لا ينجزه ثم قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وقال: هل ترون في هٰذه رخصة؟.

والمشهور من قراءة عبد الله بن مسعود أنها ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾..[2]

مَنْ أخذ المعنى الأوسع للصدق، وهو ما يشمل الصدق مع النفس ومع الناس، ومع الله في العقيدة والعمل، وهذه الطائفة أخذت مصاديق واقعية للصدق من القرآن الحكيم، فقالوا بتفسيرها، أي: كونوا مع

---

(١) ومن الواضح أن القراءة المعتمدة هي الموجودة في القرآن الكريم الذي بأيدينا وهي قراءة ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ قال تعالى ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

(٢) راجع تفسير التبيان للشيخ الطوسي ففيه تفصيل جميل: ج٥ص٣١١.

الأنبياء والمرسلين، أو مع الرسول الأعظم وصحابته، أو مع الإمام علي عليه السلام وأصحابه، أو أي معنى من هٰذه المعاني التي تختلف من حيث الضيق والسعة، ولكن الاتجاه واحد..

قال نافع والضحاك: أمروا بأن يكونوا مع النبيين والصديقين في الجنة بالعمل الصالح.

وقال الشيخ الطوسي: إن المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم الله في قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ وهم حمزة وجعفر ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ﴾[1] يعني علياً عليه السلام فأمر الله تعالى بالاقتداء بهم والاهتداء بهديهم..

وقيل: أراد كونوا مع كعب بن مالك وأصحابه الذين صدقوا في أقوالهم ولم يكذبوا في الاعتذار..وهؤلاء ممن نزلت بهم الآيات السابقة وهم من الصادقين باعتذارهم من الالتحاق بجيش العُسرة إلى تبوك.. وسيأتي في دروس السيد الأستاذ التحقيق الوافي الذي يوضِّح أن المقصود بـ ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ هم المعصومون (عليهم صلوات الله).

والصادق: هو القائل بالحق العامل به، لانها صفة مدح لا تطلق إلا على مَنْ يستحق المدح على صدقه.

فأما مَنْ فسق بارتكاب الكبائر فلا يطلق عليه اسم صادق ولذلك مدح الله الصديقين وجعلهم تالين للنبيين في قوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾.[2]

---

(١) البقرة آية ١٧٧.

(٢) النساء آية ٦٨.

وفي آمالي شيخ الطائفة قدس سره بإسناده إلى جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ قال: مع علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفي كتاب المناقب لابن شهر آشوب يروي جابر الأنصاري عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي آل محمد.

وفي أصول الكافي، عن بريدة بن معاوية العجلي، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، قال: إيانا عنى.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، قال: مع علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأخرج ابن عساكر عن أبي جعفر في قوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، قال: مع علي بن أبي طالب عليه السلام.

وينقل سماحة المرجع آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي في كتابه الرائع (الإمام علي في القرآن)، أكثر من عشرة مصادر من أهل العامَّة وكلها تقول بأن المقصود بالصادقين هو الإمام علي عليه السلام خاصة..[1]

وفي تفسير العياشي عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: أصلحك الله أي شيء إذا أنا عملته استكملت حقيقة الإيمان؟

قال: توالى أولياء الله محمد رسول الله وعلي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ثم انتهى الأمر إلينا ثم ابني جعفر وأومى إلى جعفر

(١) الإمام علي في القرآن: الإمام السيد صادق الشيرازي دام ظله: ج١ ص٣٦٠

وهو جالس، فمن والى هٰؤلاء فقد والى أولياء الله وكان مع الصادقين كما أمره الله.(١)

وعن ابن أبي نصر عن ابي الحسن الرضاعَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، قال: الصادقون هم الأئمة والصدِّيقون بطاعتهم.

وقال الفيض الكاشاني مُعلقاً: لعل المُراد أن الصادقين صنفان صنف منهم الأئمة المعصومون (صلوات الله عليهم)، والآخر المصدقون بأن طاعتهم مفترضة من الله تعالى كمال التصديق، أو كل مَنْ صدَّق بالحق غاية التصديق بطاعته لربه أو بطاعته إياهم.

وفي كتاب (كمال الدين وتمام النعمة) بإسناده إلى سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنينعَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال في أثناء كلام له في جمع من المهاجرين والأنصار في المسجد أيام خلافة عثمان: أسألكم بالله أتعلمون أن الله عز وجل لما أنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، فقال سلمان: يا رسول الله عامَّة هٰذه الآية أم خاصة؟

فقالعَلَيْهِ السَّلَامُ: أما المأمورون فعامة المؤمنين أمروا بذلك، وأما الصادقون فخاصة لأخي عليعَلَيْهِ السَّلَامُ وأوصيائي من بعده إلى يوم القيمة؟ قالوا: اللهم نعم.(٢)

ويروي نافع عن عبد الله بن عمر: إنّ الله سبحانه أمر أوّلاً المسلمين أن يخافوا الله ثمّ، قال: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ يعني مع محمّد وأهل بيته.

وبالرغم من أنّ بعض مفسّري أهل السنة كصاحب المنار قد نقلوا ذيل الرّواية أعلاه هكذا: مع محمّد وأصحابه، ولكن مع ملاحظة أن

---

(١) تفسير العياشي-ج٢- ص١٢٢.

(٢) تفسير البرهان، ج ٢، ص ١٧٠.

مفهوم الآية عام وشامل لكل زمان، وصحابة النّبيﷺ كانوا في زمن خاص، تبيّن لنا أنّ العبارة التي وردت في كتب الشيعة عن عبد الله بن عمر هي الأصح[(١)].

قال الآلوسي: والمعنى؛ يا من آمنتم بالله واليوم الآخر.. اتقوا الله حق تقاته، بأن تفعلوا ما كلفكم به، وتتركوا ما نهاكم عنه، ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في دين الله نية وقولاً وعملاً وإخلاصاً؛ فإن الصدق ما وجد في شيء إلا زانه، وما وجد الكذب في شيء إلا شانه.

وقال القرطبي: حق مَنْ فهم عن الله وعقل عنه؛ أن يلازم الصدق في الأقوال والإخلاص في الأعمال، والصفاء في الأحوال، فمن كان كذلك لحق بالأبرار ووصل إلى ربنا الغفار.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في جميع الرذائل بالاجتناب عنها ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ نية وقولاً وفعلاً أي اتصفوا بما اتصفوا به من الصدق، وقيل: خالطوهم لتكونوا مثلهم فكل قرين بالمقارن يقتدي.

وفسّر بعضهم الصادقين بالذين لم يخلفوا الميثاق الأول فإنه أصدق كلمة، وقد يقال:الأصل الصدق في عهد الله، كما قال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ﴾[(٢)]

ثم في عقد العزيمة ووعد الخليقة كما قال سبحانه في إسماعيل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾[(٣)] وإذا روعي الصِّدق في المواطن كلها كالخاطر والفكر

(١) هٰذه إضافة إلى ١ـ المناقشة في مدى صحة إضافة (واصحابه) للرواية. ٢ـ انه لو وردت (اصحابه) فان المراد هو بعض اصحابه فقط قطعاً، لان (اصحابه) منهم الاخيار، ومنهم الاشرار الذين يدخلون النار، كما وردت في صحيح البخاري اكثر من رواية تصرح بأن النبي يرى بعض أصحابه يُساقون إلى النار،وقبل ذلك نص القرآن الكريم في سورة (المنافقون) وغيرها.

(٢) الأحزاب: ٢٣.

(٣) مريم: ٥٤.

والنية والقول والعمل صدقت المنامات والواردات والأحوال والمقامات والمواهب والمشاهدات فهو أصل شجرة الكمال وبذر ثمرة الأحوال وملاك كل خير وسعادة؛ وضده الكذب فهو أسوأ الرذائل وأقبحها وهو منافي المروءة كما قالوا: لا مروءة لكذوب..(١)

وقال ابن جزي: ويحتمل أن يريد به صدق اللسان؛ إذ كان هٰؤلاء قد صدقوا ولم يعتذروا بالكذب، فنفعهم الله بذلك، ويحتمل أن يريد أعم من صدق اللسان؛ وهو الصدق في الأقوال والأعمال والمقاصد والعزائم، فالصدق سيف حازم، ما وضع على شيء إلا قطعه، ويكون في الأقوال، وهو صيانتها من الكذب، ولو أدى إلى التلف.

وفي الأفعال، وهو صيانتها من الرياء وطلب العوض.

وفي الأحوال، وهو تصفيتها من قصد فاسد، كطلب الشهرة، أو إدراك مقام من المقامات، أو ظهور كرامات، أو غير ذلك من المقاصد الدنية.(٢)

فمن يستطيع أن يحقق بنفسه كل هٰذه المعاني،أو شيئاً منها ونحن بشر ومن طبيعتنا الخطأ،والضعف،فكيف يأمرنا الله تعالى بما لا نطيق.؟

ولذا قال الفخر الرازي؛ بتفسيره لهذه الآية المباركة؛ في الآية مسائل:

المسألة الأولى: أنه تعالى أمر المؤمنين بالكون مع الصادقين، ومتى وجب الكون مع الصادقين فلا بد من وجود الصادقين في كل وقت، وذلك يمنع من إطباق الكل على الباطل، ومتى امتنع إطباق الكل على الباطل، وجب إذا أطبقوا على شيء أن يكونوا محقين..

---

(١) الآلوسي :ج٧ص٤١٦.

(٢) البحر المديد :ج٢ص٤٥٨.

فهذا يدل على أن إجماع الأمة حجة[1].

فإن قيل: لِمَ لا يجوز أن يقال: المراد بقوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أي كونوا على طريقة الصادقين، كما أن الرجل إذا قال لولده: كن مع الصالحين، لا يفيد إلا ذلك، سلمنا لذلك، ولكن نقول: إن هٰذا الأمر كان موجوداً في زمان الرسول فقط، فكان هٰذا أمراً بالكون مع الرسول، فلا يدل على وجود صادق في سائر الأزمنة سلمنا ذلك، لكن لم لا يجوز أن يكون الصادق هو المعصوم الذي يمتنع خلو زمان التكليف عنه كما تقوله الشيعة؟

والجواب عن الأول: أن قوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أمر بموافقة الصادقين، ونهي عن مفارقتهم، وذلك مشروط بوجود الصادقين وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فدلت هٰذه الآية على وجود الصادقين.

وقوله: إنه محمول على أن يكونوا على طريقة الصادقين.

فنقول: إنه عدول عن الظاهر من غير دليل.

وقوله: هٰذا الأمر مختص بزمان الرسول (عليه (وآله) الصلاة والسلام).

قلنا: هٰذا باطل لوجوه:

الأول: أنه ثبت بالتواتر الظاهر من دين محمد (عليه(وآله)الصلاة والسلام) أن التكاليف المذكورة في القرآن متوجهة على المكلفين إلى قيام القيامة، فكان الأمر في هٰذا التكليف كذلك.

والثاني: أن الصيغة تتناول الأوقات كلها بدليل صحة الاستثناء.

---

(١) وتأمل بهذا الاستدلال: فانه يدل على أمرين: ١ـ ضرورة وجود الصادقين على مر الازمان وهو من ادلة ضرورة وجود امام معصوم وعدم خلو الارض من حجة ٢ـ حجية الاجماع الدخولي فقط أي إذا أحرز دخول المعصوم فيه،لا غير.

والثالث: لما لم يكن الوقت المعين مذكوراً في لفظ الآية لم يكن حمل الآية على البعض أولى من حمله على الباقي، فأما أن لا يحمل على شيء من الأوقات فيفضي إلى التعطيل وهو باطل، أو على الكل وهو المطلوب..

والرابع: وهو أن قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أمر لهم بالتقوى، وهذا الأمر إنما يتناول مَنْ يصح منه أن لا يكون متقياً، وإنما يكون كذلك لو كان جائز الخطأ، فكانت الآية دالة على أن مَنْ كان جائز الخطأ وجب كونه مقتدياً بمَنْ كان واجب العصمة، وهم الذين حكم الله تعالى بكونهم صادقين، فهذا يدلُّ على أنه واجب على جائز الخطأ كونه مع المعصوم عن الخطأ حتى يكون المعصوم عن الخطأ مانعاً لجائز الخطأ عن الخطأ، وهذا المعنى قائم في جميع الأزمان، فوجب حصوله في كل الأزمان.

وقوله: لم لا يجوز أن يكون المراد هو كون المؤمن مع المعصوم الموجود في كل زمان؟

قلنا: نحن نعترف بأنه لا بد من معصوم في كل زمان، إلا أنا نقول: ذلك المعصوم هو مجموع الأمة، وأنتم تقولون: ذلك المعصوم واحد منهم، فنقول: هٰذا الثاني باطل، لأنه تعالى أوجب على كل واحد من المؤمنين أن يكون مع الصادقين، وإنما يمكنه ذلك لو كان عالماً بأن ذلك الصادق مَنْ هو لا الجاهل بأنه مَنْ هو، فلو كان مأموراً بالكون معه كان ذلك تكليف بما لا يطاق[1]، وأنه لا يجوز،(تأمل بهذا العناد فالآية تؤكد على وجود المعصوم في كل زمان،لكنه يقول): لكنا لا نعلم

---

(١) وجوابه واضح فان الله قد أوضح سبل كشف هٰذا الصادق عير احاديث الرسول ﷺ حول (الأئمة من بعدي إثني عشر كلهم من قريش) وشبهها، ثم إن كلامه هٰذا يستلزم إبطال حجج الأنبياء كلهم وحجة نبي الاسلامﷺ إذ يحتج بنفس هٰذه الحجة (وإنما يمكنه ذلك لو كان عالماً ...)

إنساناً معيناً موصوفاً بوصف العصمة، والعلم بأنا لا نعلم هٰذا الإنسان حاصل بالضرورة، فثبت أن قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ليس أمراً بالكون مع شخص مُعين، ولما بطل هٰذا بقي أن المراد منه الكون مع (مجموع الأمة)(١)، وذلك يدلُّ على أن قول مجموع الأمة حق وصواب ولا معنى لقولنا الإجماع إلا ذلك ـ انتهى.

والملفت للنظر هنا، أن هٰذا المفسّر المعروف بتعصبه وتشكيكه، قد قبل بالحقيقة التي تقول: أن الله تعالى أمر بطاعة الصادقين في كل زمان ولا يمكن لله تعالى أن يأمر بطاعة إلا المعصومين وإن كان أغلب مفسّري السنة سكتوا عنها عند مرورهم بهذه الآية ويقول: إنّ الله قد أمر المؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين، وعلى هٰذا فإنّ الآية تدل على أن من يجوز الخطأ عليهم يجب عليهم الإقتداء بالمعصوم حتى يبقوا مصونين عن الخطأ في ظلّه وعصمته، وسيكون هٰذا الأمر في كل زمان، ولا نملك أي دليل على اختصاص ذلك بعصر النّبي ﷺ.

إلاّ أنّه يلوي عنق الحقيقة بعد ذلك بشكل غريب، وتفسير عجيب، فيقول: إنّنا نقبل أنّ مفهوم الآية هو هذا، ويجب أن يوجد معصوم في كل وقت، إلاّ أنّنا نرى أن هٰذا المعصوم هو جميع الأُمّة، لا أنّه فرد واحد! وبتعبير آخر: إنّ هٰذه الآية دليل على حجية إجماع المؤمنين، وعدم خطأ مجموع الأُمّة..

وكما تجد فإنّ الرازي ينظر بعين واحدة رغم أن له عينين فيغمض إحداهما لأنها تنظر إلى حقيقة يقول بها الشيعة، تعصباً وإنكاراً للحق الجلي المتمثل بأهل البيت الأطهار عليهم السلام، ولو أنّه التفت إلى النكتة التي وردت في متن الآية لأكمل النصف الثّاني أيضاً بسلامة، وهي أنّه لو كان المقصود من الصادقين مجموع الأُمّة، فإنّ الأتباع سيكونون هم (كلّ)

(١) وستجد أيها القاريء الكريم الجواب عن هٰذه الشبهة بالتفصيل في مطاوي الكتاب.

ذلك المجموع وسيعني ذلك اتحاد التابع والمتبوع[١]، في حين نرى أنّ ظاهر الآية هو أن القدوة غير المقتدي، والتابعين غير المتبوعين، بل يفترقون عنهم[٢].

ونتيجة ذلك: إنّ هٰذه الآية من الآيات التي تدل على وجود المعصوم في كل عصر وزمان..

ويبقى سؤال أخير، وهو أنّ الصادقين جمع، وهل يجب على هٰذا الأساس أن يكون في كل زمان معصومون متعددون؟

والجواب على هٰذا السؤال واضح أيضاً، وهو أنّ الخطاب ليس مختصاً بأهل زمن وعصر معين، بل إنّ الآية تخاطب كل العصور والقرون، ومن البديهي أن المخاطبين على مرِّ العصور لا بد وأن يكونوا مع جمع من الصادقين..وبتعبير آخر، فإنّه لما كان في كل زمان معصوم، فإنّنا إذا أخذنا كل القرون والعصور بنظر الإعتبار، فإنّ الكلام سيكون عن جميع المعصومين لا عن شخص واحد.

والشاهد الناطق على هٰذا الموضوع هو أنّه لا يوجد في زمن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أحد تجب طاعته غير شخص النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي الوقت نفسه فإنّ من المسلّم أنّ الآية تشمل المؤمنين في غير زمانه أيضاً، وعلى هٰذا الأساس سنفهم أن (الجمع) الوارد في الآية لا يراد منه الجمع في زمان واحد، بل هو في مجموعة الأزمنة.[٣]

(١) أي يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع أنفسكم! والأمر باتباع الشيء لنفسه إضافة إلى أنه خلاف ظاهر الآية، فإنه قبيح.

(٢) هٰذا إضافة إلى أن دعواه هٰذه تكليف بما لايطاق اذ كيف يأمر الله تعالى المؤمنين بأن يكونوا مع (إجماع الأمة) في كل شيء والحال أنه لا اجماع للأمة إلا على النادر النادر النادر اذ حتى مثل عدالة الله تعالى وعدم جسمانتيه هي مورد الخلاف في الأمة، فهل أمر الله بالكون مع ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أي إجماع الأمة في ما هو حاصل بالفعل فقط؟ وذلك قبيح أيضاً.

(٣) الأمثل / الجزء السادس / صفحة ـ٢٥٥ـ.

كونوا مع الصّادقين

في الآيات السابقة لهذه الآية كان الحديث حول جماعة من المتخلفين عن الجهاد فهم من الذين نقضوا عهدهم مع الله ورسوله، وأظهروا عملياً تكذيبهم للإيمان بالله واليوم الآخر، إلا أنّ المسلمين أرجعوهم إلى حظيرة الإيمان بمقاطعتهم، ونبّهوهم على خطئهم فتابوا وآبوا إلى رشدهم.

أمّا هٰذه الآية فقد أشارت بل أكدت على النقطة المقابلة لهؤلاء، لأنها تأمر المؤمنين على مرِّ العصور بتحكيم الروابط مع الصادقين بالمتابعة والمشايعة والإقتداء والتأسي بهم عبر الأجيال والأزمان لأنه في كل زمن يوجد صادق من الصادقين على المؤمنين أن يكونوا معه.

لأنها في البداية، الآية تقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ولأجل أنك تقي ومؤمن فعليك أن تكون مع الصادقين،لأن مقتضى الإيمان والتقوى أن تكون معهم لا مع غيرهم،أو حيادياً عنهم،لأنه ما من منطقة وسطى ما بين الجنة والنار،ولا الحق والباطل،ولا الخير والشر،ولا الظلمة والنور..

وقد احتمل المفسّرون ـ كما تقدم ـ احتمالات مختلفة في المقصود من الصادقين، ومَنْ هم؟ إلاّ أنّنا إذا أردنا معرفتهم حقاً فيجب أن نرجع إلى القرآن الكريم نفسه (لتفسير القرآن بالقرآن) كما أمرنا أهل الصدق والإيمان الذي فسّر معنى الصادقين في آيات متعددة.

ففي القرآن الحكيم حديقة غنّاء من ألفاظ ومشتقات كلمة (صدق)، بحيث جاءت حوالي(١٣٠)مرة،بأكثر من ثلاثين صيغة مختلفة ومتنوعة لتصاريف هٰذا الفعل الجميل،والخُلُق الرفيع،كان أكثرها مادة(صادقين)

لأنها وردت (٥٠)مـرة منها(١٩) مرة محلاة ب(ال)التعريف كما يسميها العرب، أي ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، كما في آية البحث المباركة..

كما نقرأ في سـورة البقرة المباركة، قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.[1]

والمتأمل في هٰذه الآية الشريفة يرى؛ أنّها بعد نهي المسلمين عن البحث أو مناقشة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حول مسألة تغيير القبلة، لأن ذلك أمر تعبدي محض فعليك الالتزام به وإن لم تفهم عِلّته، ثم تشرح وتبيّن لهم حقيقة العمل الصالح والبر؛ بأنّه الإيمان بالله، ويوم القيامة، والملائكة، والكتب السماوية، والأنبياء، ثـم الإنـفـاق في سبيل الله، ومساعدة الفقراء والمحرومين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، والاستقامة والصمود أمام العدو حين الجهاد، وبعد ذكر كل هٰذه الصفات، تقول: إنّ الذين يمتلكون هٰذه الصفات هم ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ﴾، وهم ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾..

وعليه فـإنّ الـصـادق؛ هو الـذي يؤمن بكل المقدسات، ثـمّ يعمل بموجبها في جميع النواحي والأوقات..

وفي سورة الحجرات نقراً، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾[2]

(١) البقرة:١٧٧.

(٢) الحجرات: ١٥.

فإنّ هٰذه الآية الشريفة تُعرِّف ﴿ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾[١] بأنّهم أهل الإيمان والعمل الصالح الذي لا تشوبه أية شائبة من الريب أو الشك أو المخالفة ظاهرة أو باطنة.

ونقرأ في سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾[٢]

وهذه الآية عَرّفت ﴿ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ بأنّهم المؤمنون الفقراء من المهاجرين الذين استقاموا وثبتوا على العهد رغم كل التحديات التي واجهتهم، بحيث أخرجوا من ديارهم، وأموالهم، ولحقوا بهم ليقتلوهم، ولم يكن لهم هدف وغاية من ذلك إلا نُصرة الرسول(صلى الله عليه وآله) ورضا الله تعالى.

فمن مجموع هٰذه الآيات وآيات أخرى نصل إلى نتيجة في غاية الأهمية، وهي أنّ الصادقين هم الذين يؤدون تعهداتهم أمام الإيمان بالله على أكمل وجه دون أي شك أو تساهل ولا يخافون المصاعب والعقبات وكل التحديات، ويُثبتون صدق إيمانهم في هٰذه الحياة بأنواع التضحيات.

ولا شك أنّ لهذه الصفات درجات، أي أنها حقيقة مشككة فقد يكون البعض في قمتها، وهم الذين نسمّيهم بالمعصومين، والبعض الآخر في درجات أقل وأدنى منها.

فمَنْ هم الصّادقون في الآية إذن.؟

بالرغم من أنّ مفهوم الصادقين ـ كما ذكرنا سابقاً مفهوم واسع، إلاّ أنّ المستفاد من الرّوايات الكثيرة التي مرَّ بعضها أنّ المُراد من هٰذا المفهوم هنا ـ في الآية ـ هم المعصومون عليهم السلام فقط، كما سيُبين ويُفصل سماحة

(١) الرفع على الحكاية.
(٢) الحشر :٨.

السيد في هٰذه الدروس والأبحاث بحيث لا يبقى شك لمنصف إلا الإذعان لهذه الحقيقة الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار.

والمطلب المهم هنا،وكما ألمحنا إليه سابقاً؛ هو أنّ الآية تأمر أوّلا (بالتقوى)، ثمّ (بالكون مع الصادقين)، فلو كان مفهوم الصادقين في الآية عامّاً وشاملاً لكل المؤمنين الحقيقيين المستقيمين، لكان اللازم أن يقال: وكونوا (من) الصادقين، لا ﴿مَعَ﴾ الصادقين، كما في بعض القراءات.

فهذه المعية (مع)بذاتها قرينة واضحة على أنّ ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في الآية هم فئة خاصّة،وليست عامة..

وليس المراد من الكون معهم أن يكون الإنسان مجالساً ومعاشراً لهم، بل المراد قطعاً هو إتباعهم والسير على خطاهم،وانتهاج منهجهم.

فإذا كان الشخص غير معصوم فهل يمكن صدور أمر بدون قيد أو شرط بإتباعه والسير في ركابه؟ أليس هٰذا بنفسه دليلاً على أن هٰذه الفئة والمجموعة المخصوصة هم المعصومون وليس غيرهم؟

* * *

ونكتفي بهذا القدر الآن من استعراض أقوال المفسرين وندع القول السديد، والتفسير المُجيد، والتدبر المفيد في مفردات هٰذه الآية الشريفة لسماحة السيد الأستاذ والعلامة المفضال آية الله السيد مرتضى الشيرازي (حفظه الله وزاده بسطة في العمر،والفكر) ليُبين لنا بعض البحوث الرائعة التي استلم أشعتها سماحته من بحور النور والمعارف التي تحتويه هٰذه الخزانة النورانية الإلهية المباركة لتضاف ـ بهذا السفر ـ الجليل الجميل إلى الخزانة التفسيرية الإسلامية للقرآن الحكيم..

شكر وامتنان

أشكر الله ﷻ الذي قيّض لنا مثل هٰذا العالم النبيل والسيد الجليل ليُصحح الأخطاء، ويُزيح الغبار الذي يذرُّه بعض الجُهال في الفضاء ليعموا العيون البسيطة والساذجة عن الحق بإلباسه ثياب الباطل، ويحاولوا إظهار الباطل ليبدو وكأنه الحق الصُّراح، ولكن هيهات أن تتغطى الشمس بغربال، مهما حاول الجهال، أو أن تزول الجبال مهما نعق عليها الغربان، فالحق بيّن، وحق أهل البيت هو (أبين من الشمس في رائعة النهار)..

كما أنني أشكر سماحة سيدنا المعظم على هٰذا الوسام الذي أصرَّ على منحي إياه ـ رغم قصوري وتقصيري ـ بقرن اسمي معه في هٰذا السفر المبارك، والحقيقة ما أنا إلا خادمٌ صغير، ولكن سماحته كبير، فأراد لصغيره أن يكبر فأعطاني هٰذا الوسام، فالشكر كل الشكر والامتنان لسيدنا الشيرازي على هٰذا الوسام..



مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم والصلاة على محمد الأمين وآله الغر الميامين واللعنة على أعدائهم إلى يوم الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.[1]

كانت هذه الآية القرآن الكريمة هي (المفتاح) الأول و(البوابة) الكبرى و(المدخل الرحب) لسلسلة من الدروس والبحوث النوعية الهامة والمصيرية حول (الصادقين).

فمن هم (الصادقون)؟

ولماذا لم يذكر الله تعالى أسماء (الصادقين) في القرآن الكريم بكلمات صريحة، رغم أنه جل اسمه أمر بشكل واضح بإتباعهم والكون معهم في كل الأحوال والظروف والمواقع؟

(١) التوبة: ١١٩.

وهل من تخلّف عن هذا الأمر الإلهي فلم يكن مع (الصادقين)، يعد (مؤمناً)؟ أم انه يدخل في دائرة (الضالين) و(الكاذبين)؟

ولماذا خصص الله تعالى الخطاب بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ دون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾؟

إن هذا الكتاب يتضمن الإجابة عن تلكم الأسئلة... وأسئلة أخرى متنوعة، عديدة.

وهذا الكتاب يقع في بابين:

الباب الأول:

دروس وبحوث في آية (الصادقين) وقد تضمن عناوين مثل:

المعاني الأربعة للصدق والصادق.

(الصادق) بقول مطلق هو (المعصوم).

(أل) في (الصادقين) للعهد الذكري.

مقارنة آية التطهير بآية الصادقين.

المرجعية المطلقة للصادقين لا للسلاطين.

الترابط الجوهري بين آية (الولاية العظمى) وآية (الصادقين).

أحكام شرعية وعقدية تستفاد من آية (الصادقين).

منهج الصادقين ومنهج الفلاسفة.

الإيمان بالأنبياء والأوصياء حقيقة ترابطية.

منهج الصادقين ومنهج العرفاء الشامخين!

أن تكون مع الصادقين يعني أن تكون من طليعة المجاهدين.

كونوا مع الصادقين لدى كل نظرة وفكرة.

العلاقة العلية والمعلولية التبادلية بين (التقوى) و(الكون مع الصادقين).

البراهين الخمسة الساطعة على إمامة العترة الطاهرة.

العلل الست لوجود المتشابهات والضعاف في (بحار الأنوار).

كما جرى فيها بعض الحديث عن (الإمام جعفر بن محمد الصادق) (عليهما سلام الله).

والإمام علي بن موسى الرضا (عليهما سلام الله).

والإمام محمد بن علي الجواد (عليهما سلام الله).

بمناسبة تزامن الحديث عن هذه الآية المباركة مع ذكرى مولدهم الميمون أو شهادتهم المؤلمة، وفي إطار الحديث عن الآية الشريفة.

كما سجّلت عناوين أخرى تستنبط من آية (الصادقين) أو تستلهم منها، عسى أن يوفق الرب الكريم لكتابتها في المستقبل في مجلد خاص، بلطفه وكرمه.

الباب الثاني:

لماذا لم يذكر الله تعالى اسم الإمام علي المرتضى (عليه سلام الله) والإمام الحسن المجتبى والإمام الحسين الشهيد بكربلاء والإمام علي السجاد والإمام محمد الباقر والإمام جعفر الصادق والإمام موسى الكاظم والإمام علي الرضا والإمام محمد الجواد والإمام علي الهادي والإمام الحسن العسكري والإمام الحجة بن الحسن المهدي صلوات الله عليهم أجمعين وعجل الله تعالى فرجه الشريف، في القرآن الكريم بصريح العبارة وبالإسم واللقب؟

وقد كان من عظيم توفيق الله تعالى لعبده الفقير أن فتح عليه مائة وعشرة جواباً، كان منها (١٤) جواباً (نقضياً) و (٩٦) جواباً (حليّاً) على هذا التساؤل، وسنتطرق بإذن الله تعالى لـ(٣١) إجابة منها في مطاوي المجلد (الثاني) الآتي من سلسلة ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ والذي كان عبارة عن سلسلة دروس تفسيرية ألقيتها في الحوزة العلمية الزينبية ليالي الخميس من نهايات العام الدراسي ١٤٣٠ هـ ثم نقحتها وأضفت لها الكثير من الإضافات الضرورية ولله الحمد.

وسنحاول أن نضغط الـ(٧٩) جواباً الأخرى في المجلد الثالث إذا وفق الله تعالى.

والكتاب ـ إضافة إلى ذلك ـ تضمن التصدي للإجابة على عدد من أهم التساؤلات التي قد تثار أمام الإنسان المسلم بل والتي قد تعتصر العقل البشري ومنها:

لماذا سمح الله تعالى لـ(قوى الشر والظلام) بالوجود والاستمرار؟

ولماذا يوجد (المتشابه) في القرآن الكريم؟

وما هي فلسفة (الفتن) و(المحن) و(الأمراض)؟

وسائر الابتلاءات؟

ولماذا لم يذكر القرآن الكريم شيئاً صريحاً ـ سلباً أو إيجاباً ـ عن (الاقتصاد الإسلامي) ومعالمه وحدوده وقواعده؟ أو عن (حقوق المرأة) و(حقوق الطفل) أو (حقوق المعارضة) و(حقوق السجناء) في الإسلام؟ أو عن (السياسة في الإسلام) ونظام (فصل السلطات) و(تعدد الأحزاب)؟ و(المرجعية الدينية)؟ وغيرها.

أو لماذا لم يتحدث بالصراحة عن الكثير من مسائل (أصول العقيدة) ومسائل (أصول الفقه) ومسائل (القواعد الفقهية) و(المسائل الفقهية)؟

فمثلاً: لماذا لم يذكر القرآن الكريم شيئاً صريحاً عن عدد من القضايا العقدية الهامة مثل:

هل الله تعالى جسم أو جسماني؟

هل التبرك بمراقد الأولياء والصالحين شرك أو هو خالص التوحيد؟

أو القضايا الخلافية التي غطت التاريخ الإسلامي كله كـ:

السجود على التربة..

البداء....

النسخ...

الجمع بين الصلاتين...

ولماذا لم يتحدث القرآن الكريم عن (الهرمنيوطيقيا)؟ وهكذا.

إن هذا (الكتاب) يتضمن مجموعة متنوعة من الأجوبة على كل تلك الأسئلة ذلك أن (هندسته) جرت على أن يتضمن حزمة من الإجابات المشتركة على كل هذه الأسئلة إضافة إلى إجابات خاصة عن السؤال الكبير: لماذا لم يذكر الله تعالى أسماء (الصادقين) في الذكر المبين؟

والأمل بالعلماء الأعلام والمفكرين الكرام أن (يتحفوني) بأفكارهم وآرائهم وملاحظاتهم، لكي يتكامل هذا البحث أكثر فأكثر فإن «المؤمن مرآة المؤمن» و«الدال على الخير كفاعله».

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يتقبل هذا الجهد المتواضع بقبول حسن، وأن ينفع به (الخاصة) و(العامة) وأن يثيبني عليه (الجنة)

و(الذرية الصالحة إلى يوم القيامة) و(التوفيق) لإيصال نور أهل البيت الأطهار (عليهم سلام الله) للعالم كله، ولكي أكون من المستشهدين بين يدي ولي الله الأعظم الإمام الحجة المنتظر روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء.

إنه سميع الدعاء، فعال لما يشاء.

وقد أهديت ثواب هذا الكتاب للأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين ولعامة شيعة أمير المؤمنين ومولى الموحدين (علي بن أبي طالب) عليه صلوات المصلين، من مضى منهم، ومن لا يزال على قيد الحياة ومن هو آتٍ كي يكونوا شفعائي يوم الحشر الأكبر...

والحمد لله رب العالمين

[١]

من هم الصادقون؟

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين بارئ الخلائق أجمعين باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.(١)

بمناسبة مولد الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليهما الصلاة وأزكى السلام) كان لنا -في البحث السابق- بعض الحديث عن هٰذه الآية الشريفة، وعن مدى ترابطها مع صادق أهل البيت (عليهم سلام الله وصلواته).

المعاني الأربعة للصُدق والصَادق

بداية نتساءل: ماذا يعني: (صادق)، وماذا يعني: (الصدق)؟

عندما نقول: (كلامٌ صادق)، ماذا يعني ذلك؟

وكذلك عندما تقول: (كلامي صدق)، أو (كلامه كِذْب)، أو أنه قد (كَذِب)، فما المقصود بذلك؟

لاحظوا (الصِّدق) في الأذهان العرفية، وتأملوا في تعريف بعض علماء البلاغة للصدق، وهو (**مطابقة الخبر للخارج**)، أو (للواقع).. و(نفس الأمر)، لكن هذا التعريف في الواقع هو تعريف بالأخص.. فإن الصدق قد عُرِّف بأربعة معاني وتعاريف، وأننا نرى أنه يصدق عليها بأجمعها:

(١)التوبة: ١١٩.

١-٢ مطابقة الخبر للواقع أو للاعتقاد

المعنى الأول والثاني للصدق، هو: (مطابقة (الخبر) أو (القول) أو (الكلام) للواقع، أو (لنفس الأمر) أو (للخارج)[١]، على الاختلاف فإن (الخارج) أخص من (الواقع) و(نفس الأمر).

وقد ذهب بعض البلاغيين والأصوليين إلى أنه ـ الصدق ـ :(مطابقة القول للاعتقاد أو لما في الضمير)، ولعل الأشهر الأول؛ إذ يقولون: إنه مطابقة الخبر للواقع، أو لنفس الأمر والخارج.

لكن واقع الأمر هو: أن الصدق، في مقابله (الكذب)، لا يطلق أي منهما بقول مطلق إلا على ما اجتمع فيه الشرطان معاً وبجهتين، أي لو طابق القول الواقعة، وطابق المُعتقد فإنه (الصدق) حقاً، وعكسه (الكذب) حقاً، فله إذن نسبة للخارج، ونسبة أخرى للداخل، وهنا يكون الكلام: صدقاً حقيقة، وإلا أمكن أن يُطلق عليه: صدقٌ بلحاظ، و: كذبٌ بلحاظ آخر..

مثلاً، إذا أتى شخص كافر، وقال: (محمد(صلى الله عليه وآله) رسول الله)، فنحن نستطيع أن نقول له: (أنت صادق)؛ لأنه بالفعل هٰذا الخبر مُطابق للواقع، ونستطيع أن نقول له: (أنت كاذب)؛ لأننا نعلم أنه منافق، وأنه كافر لبّاً وجوهراً، ويحاول خداعنا.

إننا نقول له: (أنت كاذب) لكن ماذا يعني ذلك؟ يعني أنك عندما تقول: (محمد رسول الله) فإن كلامك لا يطابق معتقدك، أو ضميرك، فهو (صادق) بلحاظ مطابقة الخبر للواقع، و(كاذب) بلحاظ عدم مطابقة الخبر للمعتقد.

---

(١) لا يخفى، أن (المطابقة للواقع) احتمال مغاير لـ(المطابقة للخارج) فيصلح كل منهما أن يكون قولاً.

وعلى ذٰلك جرى قوله سبحانه وتعالى في أول سورة ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ حيث يقول تعالى:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾.[1]

فهل كلامهم صحيح؟

وشهادتهم هل هي صحيحة؟

إن كلامهم (صحيح) بلحاظ مطابقته للخارج، وأما بلحاظ عدم مطابقته لمعتقدهم، فكلامهم غير صحيح؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾.

وهذا الكلام، هام جداً ودقيق في محاولتنا استكشاف ترابط وعلاقة هٰذه الآية الكريمة بالإمام الصادق (عليه سلام الله) وبأئمة أهل البيت (عليهم الصلاة وأزكى السلام)، فتأملوا فيه جيداً.

إذن، (الصدق) هو: ما طابق أيُّ قولٍ، أو كلامٍ، أو خبرٍ الواقعَ الخارجي، أو طابق نفس الأمر، ومتن الواقع، وعالم الثبوت، وما طابق المعتقد، والضمير أيضاً.

٣. (الصدق) هو الظن أو الاعتقاد نفسه:

المعنى الثالث لـ(الصدق) هو: (مطابقة الاعتقاد، أو الظن للخارج، أو للواقع ونفس الأمر) فيكون الاعتقاد أو الظن نفسه هو المصداق الآخر لـ(الصادق)، فإن المصداق الأول كان هو (القول) يعني أنه صفة للقول،

---

(١)المنافقون: ١.

فتقول: (قول صادق)، و:(هذا قول صادق) يعني بلحاظ الخارج، أو المعتقد، أو هما معاً.

أما ههنا، فإن (الصدق) وقع صفة لـ(نفس المعتقد) أو (الظن)، أي أن نفس المعتقد والظن، يطلق عليه (صدق)، تقول: (صدق ظني في فلان)؛ إذ أنك كنت تظن به أنه مثلاً ـ والعياذ بالله ـ إنسان فاسق أو فاجر، أو ما أشبه ذلك.. ثم بعد ذلك الآخرون يكتشف صِحَّة ما ظننته فيه، أو تقوم لديك أدلة وبراهين جديدة على صحة ظنك، فتقول عندئذٍ: (صدق ظني فيه).

إذن، (الصدق) هنا صار (للظن) وصفاً، وليس للقول.

والحاصل: يصح القول: (ظن صادق)، أو (صِدق) و(اعتقاد صادق)، فليس الأمر كما يتوهم من أن (الصدق) يقع صفة للقول أو الكلام فقط، بل (الصدق) يقع أيضاً (صفة للظن والاعتقاد) هٰذا ثالثاً..

٤. (الصدق) هو ذات الأفعال

المعنى الرابع للصدق: (مطابقة الأفعال للواقع ونفس الأمر أو للمتوقع منها أو لشأنها اللائق بها)[1] فيكون (الفعل) نفسه هو المصداق الآخر (للصادق)، وذلك أنه يوجد عندنا (قول)، كما لنا (معتقد)، كما أنَّ عندنا (فعلاً)، وكلها مما يتصف بـ(الصدق) و(الكذب)؛ وذلك لأن (الصدق) مما يطلق على الأفعال أيضاً؛ تقول: (قاتل قتالاً صادقاً أو قتالُه قتالٌ صادق) فإن أحدهم قد يقاتل بصدق، وقد يقاتل لا بصدق؛ فتقول: (قاتل قتالاً صادقاً أو كاذباً)..

(١)ويمكن الإلتزام بتعميم (الأفعال) هنا للأقوال.

إذن، صار الصدق صفة للفعل نفسه، أي لنفس القتال، وذلك يعني: أن ضرباته كانت ضربات حقيقية.

ومعنى الصدق هنا: أن هٰذا الفعل قد طابق (المتوقع منه)، أو قد (طابق شأنه) كجندي، أو كعبد، فإذاً طابق فعله شأنه، فنقول عندئذٍ: فعل صادق، وعمل صادق، وإلا فليس بصادقٍ؛ إذ لم يكن قد طابق فعلُه شأنَه، أو لم يكن قد طابق فعلُه المتوقَّعَ منه.

وعلى ذٰلك جرى قوله تعالى، حيث يقول جل اسمه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[1] فـ(فعلهم) كان صدقاً، أي طابق (عهدهم).

فإنهم قد صدقوا بأفعالهم، ذٰلك أنه يوجد هنا أمران: (فعل)، و(عهد)، و:﴿صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ أي (طابق فعُلهم عهدَهم) لأنهم عاهدوا الله على أن يقاتلوا حتى يقتلوا أو ينتصروا، وقد صدقوا على ذٰلك ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[2]..

إذن، هناك فعلٌ صادق، وهناك عهد صادق[3].. فالصدق إذن قد يكون صفة للفعل، وليس للقول، أو للمعتقد فقط: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ أي صدقوا عهد الله، أي صدَّق فعلُهم عهدَهم، وطابق فعلُهم عهدَهم لله سبحانه وتعالى.

---

(١) الأحزاب: ٢٣.

(٢) الأحزاب: ٢٣.

(٣) والعهد الصادق هو فيما لو طابق (العهد المبرَز) لما في الضمير، أي: طابق العهد القولي أو الظاهري، إلتزامه النفسي.

الخلاصة

والخلاصة: الصدق كلي طبيعي واسم جنس، وهذه مصاديق له: (القول) باللحاظين، على خلاف التخصيص غير الدقيق لبعض علماء البلاغة، وكذلك (الظن والمعتقد)، وكذلك (الفعل)[1].

(الجوهر) في الصدق هو (تطابق الشيئين) وهو (الجامع)

عندما كنت أتأمل هٰذه الآية الشريفة، وكلمة ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ بالذات ومادة اشتقاقها (الصِّدق)، لاحظتُ تلك الشمولية في معنى (الصدق) و(الصادق)، إنطلاقاً من ملاحظة: أن (جوهر الصِّدق) هو (تطابق الشيئين)، فلو تطابق شيئان فإنه يطلق على أحدهما (صدق)، ويطلق على الآخر (حق)، أو بالعكس، أي (المنعكِس) و(العاكِس) فمن جهة العاكس، تقول: صدق، ومن جهة المُنعكس، تقول: حق.. فلو تطابق شيئان، يقال لأحدهما: هٰذا صدق، وللآخر: هٰذا حق.

وإن هٰذا الجوهر أي: (التطابق بين الشيئين)، نجده متجلياً في هٰذه المعاني الأربعة التي أشرنا لها:

فـ**(قول صادق)**: يعني أنه يُطابق الخارج أو نفس الأمر.. و(قول صادق): يعني أنه يطابق المعتقد..

والظن الصادق: يعني المطابق للخارج، أو لنفس الأمر.

والاعتقاد الصادق: يعني المطابق للخارج، أو لنفس الأمر.

---

(١) يلزم ملاحظة، أننا سقنا هٰذا المبحث حول تحقيق معنى (الصدق)، واستشهدنا له ببعض الكلمات والعرف، وأضفنا الاستشهاد بالآية القرآنية الكريمة؛ لأن كل ذلك سيكشف لنا بإذن الله تعالى المعنى الدقيق للآية التي نحن بصدد التدبر فيها وتفسيرها وهي ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.

والفعل الصادق: أي أنه يُطابق العهد مثلاً، والجامع أنه يطابق شيئاً آخر.. وذلك كما سبق في آية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾..

مَنْ هم الصادقون؟

بينا فيما سبق: أن (الصِّدق) جوهُره مُطابقة شيء لشيء آخر، والآية الشريفة تقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

فمَنْ هم الصادقون حقاً وصدقاً؟

(الصادق) -بقول مطلق- هو: (المعصوم)

من التأمل الدَّقيق في معنى (الصَّادق) نستشف: أن (الصادق) هو ليس (الصادق) في أقواله كلها طوال عمره فقط، وليس هو الذي يصدِّق قوله فعله فقط؛ بل هو: الذي يصدّق قولُه فعلَه، ويصدق فعلُه قولَه أيضاً، وهو الذي يَصْدُق ظنُّه، واعتقادُه، وعلمُه، فهو أبداً علمٌ وليس شيء منه جهلاً مُركباً أبداً.

إنه هو الذي تَصْدُق أفعاله، وتطابق ما أمر الله به في كل الحالات والمصاديق، وفي كل الجهات، ولا يعني ذلك إلا العصمة الكبرى، ولا يكون المتصف بكل ذلك إلا: المعصوم، وليس إلا: الرسول وفاطمة والأئمة الإثنى عشر عليهم صلوات الله وسلامه؛ إذ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وهذا طريق جديد لإثبات عصمة الرسول الأعظم والأئمة الطاهرين عليهم صلوات المصلين، فإن (الصادق) بالمعنى الحقيقي: هو الذي تتطابق كل جهاته قولاً، وفعلاً، ونيةً، واعتقاداً، وعلماً، وعملاً، مع ما يُريده الله سبحانه وتعالى، ومع الواقع المحض والحق الصراح؛ وبذلك يظهر أن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ هو أمر إلهي بإتباع (الصادقين حقيقة ومن كل الجهات) فإنهم (الصادق الحقيقي)، وغيرهم صادق في الجُملة، فهم (المراد حصرياً) بالآية الشريفة على إطلاقها، وبما هي هي..

فإن شخصاً لو كان صادقاً في قوله دائماً، لكنه في اعتقاداته وفي ظنونه كان غير صادق أحياناً، أي كانت ظنونه أو اعتقاداته غير مُصيبةٍ، ومُطابقةً للواقع دائماً، فهو من هٰذه الجهة، ليس بصادق، بل هو مُخطئ، وكذلك لو لم تصدِّق أفعاله كلها أقواله، فهو ليس بصادق.

فلا يعقل أن يأمرنا الله تعالى بالكون معه؛ فالمأمور بالكون معهم بقول مطلق هم: المعصومون الأربعة عشر (سلام الله وصلواته عليهم) الصادقون بقول مطلق، وأما غيرهم فالأمر بالكون معهم محدود ومتحيِّث بحيثيةٍ، فهو المحتاج للقيد والقرينة، فتدبر.

مدح الله دليل (الصدق الشامل)

وأما «مجمع البيان»[1] فإنه استند إلى نوع آخر من الاستدلال؛ إذ أننا قد استدللنا بمتن الكلمة، وبمادة الكلمة، على (شمولية) معنى (الصادق) وأما صاحب «مجمع البيان»، فقد استدل باستدلال آخر، وهو في محله

(١) تفسير «مجمع البيان لعلوم القرآن» لشيخ المفسرين أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي قدس سره من أكابر العلماء في القرن السادس الهجري.. انظر الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج٢٠ ص٢٤ بالرقم(١٧٧٣).

متين، ففي تفسير هٰذه الآية الشريفة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

يقول: مَنْ هو الصَّادق؟

ويجيب: الصادق هو القائل بالحق، العامل به؛ لأنه صفة مدح ولا يطلق إلا على مَنْ يستحق المدح على صدقه..[1]

أي الذي قوله حق، وعمله مطابق لقوله.

إذن فقد استدل بـ(القرينة الخارجية): وهي (لأنه صفة مدح) على المعنى الشمولي للصادق، أي لكون المراد منه القائل بالحق والعامل به، كما سيتضح لاحقاً.

لكن الاستدلال الذي ذكرناه (أسبق رتبة) من هٰذا الاستدلال، وإن كان هٰذا الاستدلال تاماً دون شك؛ وذلك أننا استندنا إلى نفس الكلمة، أي إلى مادة (الصاد، والدال، والقاف)، وأن (الصدق) يعني تطابق الشيئين، إلى آخر ما ذكرناه، وهذا (أسبق) رتبة؛ لأنه في رتبة الموضوع، و(أشمل) أيضاً، لشموله للمعاني الأربعة للصادق كما سبق ذكره، لكن «مجمع البيان» استدل باستدلال استمده من خارج الآية الشريفة؛ إذ يقول: الصادق مَنْ هو؟ هو الذي قوله حق، وعمله على طبق ذٰلك القول، لماذا؟ إنه يستدل على ذٰلك بقرينة خارجية: هي (مدح الله)ﷻ لهؤلاء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ لأن الذي يصدق في قوله، لكن أعماله تكذب أقواله، فهل الله يمدحه؟

(١)مجمع البيان: ج٥، ص١٢٢. سورة المؤمنون.

فلو قال شخص: شرب الخمر محرم وضار ومستوجب للعقاب ومسقط عن العدالة، ثم وجدناه يشرب الخمر، فهل هٰذا الشخص نمدحه؟!

وهل نثني عليه بأنه إنسان صادق؟!

كلا.. إنه ليس بصادق ثبوتاً ولا يُمدح إثباتاً[1] فـ«مجمع البيان» استند إلى (مدح الله)ﷻ لأنه جل اسمه؛ لا يمدح من لا يُطابق فعله قوله، وإذا كان قوله صادقاً فقط، ولم تكن كل أفعاله كذلك، فإن الله لا يمدحه مدحاً مطلقاً فكيف بأن يأمر بإتباعه بقول مطلق؟!

ولنا أن نكمل كلام «المجمع» بأن نقول: (المدح المطلق) دليل (العصمة المطلقة) دون قيد أو شرط، فلا تتحدد دلالة (المدح) على:

أ. (أنه قائل بالحق)

ب. (عامل به)، بل يدل (المدح) المطلق على أنه

١. قائل بالحق.

٢. معتقد به.

٣. عالم به وليس علمه جهلاً مركباً ولو أحياناً.

٤. عامل به.

---

(١)فقد تمسك «مجمع البيان» (بعدم المدح) وهو صحيح دون شك، وتمسكنا بعدم صدق (الصادق) عليه حقيقة، أي أنه تمسك باللازم أو بالأثر، وتمسكنا بالملزوم أي الموضوع، أي تمسك بعالم الإثبات، وتمسكنا بعالم الثبوت، (أي عدم تحقق وصدق الصادق على الآخرين) إذن هنا دليلان على المقصود وطريقان إليه.

دليل آخر

ثم إن شفع ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ بـ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ المطلوب بقول مطلق ودون قيد أو شرط وفي كل الحالات والمجالات، دليل آخر على إطلاق الأمر بـ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أي (كونوا معهم) في جميع الأوقات وفي كل الحالات والجهات، فيدل على كونهم (صادقين) في كل الجهات والأبعاد، وإلا لما أمر بالكون معهم بقول مطلق، وهذا وجه آخر للاستدلال على (العصمة) فليتدبر جيداً.

فلنتذكر دوماً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

جبهتان: القمة، والقاعدة

النقطة الأخرى في الآية الشريفة، هي: الآية تقسّم المؤمنين إلى جبهتين: جبهة (القِمَّة) حسب تعبير اليوم، وجبهة (القاعدة)، فليست هنالك جبهة واحدة، وليسوا فئةً واحدة، وإنما هنالك فئتان:

أولاهما: فئة (القمة)، أو (القيادة)، أو (الأئمة) ـ إن شئت فعبّر ـ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[1]، وفي آية أخرى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[2] فهنالك أئمة إلى الجنة، وهناك أئمة إلى النار..

ثانيتهما: وفئة (القاعدة)، أو (الجماهير)، أو (الناس)، أو (العامة)، أو ما شئتَ فعبِّر.

(١) المؤمنون: ٧٣.

(٢) القصص: ٤١.

بل جبهة قمة القمم، وجبهة كل الناس

بل نقول: يستفاد من الآية الشريفة: وجود (قمة القمة) أي (أعلى القمم)، وهي التي أمرنا الله تعالى بإتباعها.

والآية واضحة الدلالة على ذلك؛ لأن الآية تقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فالخطاب لعامَّة المؤمنين على اختلاف درجاتهم ومراتبهم: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، فيشمل الأمر حتى كبار الأولياء أمثال: سلمان المحمدي وعمار وأبي ذر والمقداد، فعليهم أن يكونوا مع ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

ولكن مَن هم الصادقون؟

إنهم ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ إذ هم ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ بقول مطلق و﴿ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ بقول مطلق، فـ(اللازم إتباعهم) بقول مطلق.

إذن، ثُلَّةٌ خاصة، صفتهم (أنهم صادقون) بقول مطلق: هم الذين أمر الله، جميع المؤمنين بمختلف مستوياتهم على أن يكونوا معهم بشكل مطلق، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ﴾، فالخطاب لعامة الناس، أي للجماهير وللقمم أيضاً، بل لكل القمم الأدنى من (أعلى القمم): ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، أي: (قمة القمة)، أي: (الأئمة المعصومون)، أو: (القيادة السماوية الربانية العليا).

من هم الصادقون إذن؟

وإذا كان ذلك كذلك فلا بدَّ من أن نعرف: مَنْ هم (الصادقون اللازم إتباعهم)؟

لكي نلتزم بالأمر الإلهي، ونكون مع ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾؟

إن من البديهي أن ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في الآية الشريفة؛ هم: رسول الله محمد المصطفى، وأهل بيته الكرام (عليهم الصلاة وأزكى السلام)، ولكن مع ذٰلك سوف نستدل على ذٰلك بالآيات، والروايات، والعقل. وما سبق من الاستناد إلى ظهور الآية في تقسيم الناس إلى جبهتين، كان إشارة لإحدى الأدلة العقلية المستندة للآية القرآنية الشريفة، كما هو واضح.

الدليل الروائي:

«إيانا عنى الله سبحانه»

وسنقتصر هنا على ذكر رواية واحدة فقط، هي عُمدة استدلالنا في هٰذه المحاضرة، وفي هٰذه العجالة، ثم بالآيات، والعقل، وذلك مع أن الرواية بمفردها هي حجة تامة كاملة، ولا شك فيها، ولا ريب يعتريها.

علماً بأن الروايات الدالة على كون الأئمة الاثني عشر عليهم سلام الله، هم المأمور بإتباعهم بقول مطلق، هي أكثر من أن تحصى، وهي بين متواترة، ومستفيضة، وصحيحة السند وغيرها، من أمثال قول رسول الله ﷺ: «**إني تارك فيكم الثقَلين ـ أو الثِقْلين ـ: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً..**»[1] فهذه الرواية تكفيك، ولكننا في هٰذا المبحث سنستدل برواية أخرى، ونشير ـ أيضاً ـ إلى روايات أخرى على المطلوب والمقصود؛ وقد وردت تلك الروايات في تفسير

---

(١)انظر تفسير «مجمع البيان»: ج١، ص٣٣.. مقدمة الكتاب وفيها قال الشيخ (قدس سره): وصح عن النبي (صلى الله عليه وآله) من رواية الخاص والعام أنه قال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض». وإنما أحذف أسانيد أمثال هذه الأحاديث إيثاراً للتخفيف ولاشتهارهما عند أصحاب الحديث. والرواية من الروايات شبه متواترة لدى طوائف المسلمين كافة..

هٰذه الآية، موضحةً أن المراد من ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، في الآية الشريفة، هم: الأئمة الراشدون من أهل البيت الأطهار (عليهم الصلاة وأزكى السلام)..

فقد جاء في «الكافي» الشريف عن الإمام الباقر (عليه الصلاة وأزكى السلام)، في هٰذه الآية ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، قال: «**إيانا عنى الله سبحانه وتعالى**» أي قصد.[1]

وفي رواية أخرى في (الكافي)، نجد أن الإمام الرضا (عليه الصلاة وأزكى السلام)، يصرّح: في شرح هٰذه الآية الشريفة «**الصادقون الأئمة، الصديقون بطاعتهم**»..

وفي «مجمع البيان» ذكر رواية عن الإمام الباقر (عليه الصلاة وأزكى السلام) في شرح هٰذه الآية ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، قال: أي «**مع آل محمد**»..[2]

تصريح الإمام علي عليه السلام أيام عثمان

وفي رواية تجدونها في كتاب «إكمال الدِّين» يصرح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تصريحاً هاماً جداً، يكشف النقاب عن إحدى أهم، بل أهم حقيقة حاول الكثيرون تغييبها على مر التاريخ، وكما تعلمون فإن الإعلام كان ضد الأمير (عليه الصلاة وأزكى السلام)، كما كانت السلطات والحكام ضد أمير المؤمنين عليه السلام، بل كان الإرهاب ضد عامة الشيعة وضد أمير المؤمنين شخصياً، في درجة عالية، لكن

(١)انظر الكافي: ج١ ص٢٠٨ باب ما فرض الله عز وجل ورسوله (ص) ما الكون مع الأئمة عليهم السلام ح١. وفي حديث آخر عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «الصادقون هم الأئمة، والصديقون بطاعتهم». المصدر: ح٢.

(٢)راجع مجمع البيان: ج٥ ص١٢٢..

الإمام مع ذٰلك صدح بالحق جهاراً، وأيده في ذٰلك وشهد له الكبار من المهاجرين والأنصار رغم ما كان يشكله ذٰلك من خطورة عليهم؛ إذ مَن يجرؤ أن يقول للحاكم الجائر والإمبراطور(١): أنت على باطل، وأنت غاصب؟! لا أحد يجرؤ ـ عادة ـ على أن يقول هٰذا الكلام.

ولاحظوا، أنه حتى في هٰذا الزمن، فإن الناس يخافون من الحكومات، وذلك رغم وجود منظمات حقوق الإنسان، والضغط العالمي وهامش الحريات.. فكيف بذلك الوقت الذي لا كانت فيه منظمات حقوق الإنسان، ولا ضغط عالمي، ولا رأي عام، ولا انترنت ولا فضائيات، ولا.. ولا.. لأن الحكومة كانت مسيطرة على أكثر الكرة الأرضية، ولا منافس لها.

لكن أمير المؤمنين (عليه الصلاة وأزكى السلام) جهر بالحق، وأنه خليفة رسول الله ﷺ الذي أمر بإتباعه، وأن (عثمان) هو الباطل، وكان من الشجاعة الفائقة أن صدقه المهاجرون والأنصار.

ولنرجع إلى التاريخ والرواية، **فقد قال أمير المؤمنين** (عليه سلام الله) أيام خلافة عثمان «**في مجمع المهاجرين والأنصار**» لاحظوا العبارة الدقيقة إذ لم يقل: «في مجمعٍ من المهاجرين والأنصار»، بل قال: «في مجمعِ المهاجرين والأنصار»، وظاهره: أنه كان بحضور كل المهاجرين والأنصار، أو أن عُمدتهم على الأقل كانوا في المجلس، أي من يمثلونهم بأجمعهم، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أنشدكم الله** ـ أي أقسم عليكم بالله ـ **أتعلمون أن الله عز وجل أنزل في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، فقال سلمان: يا رسول الله عامَّة هٰذه ـ الآية ـ، أم خاصَّة؟**».

---

(١) من أمثال عثمان، كما هو مورد الشاهد في هٰذه الرواية الشريفة.

أي سأله سلمان المحمدي، هل هٰذه الآية عامة أم خاصة أي (الصادقون) ما المراد بها؟ هل المراد بها كل إنسان صادق، وكل قائد صادق، وكل عالم صادق أم لا، بل هي خاصة بـ(جمع وعددٍ محدد من ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾)؟ وقد أُمِر المؤمنون بإتباعهم، وقد وجّه الخطاب في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لكل المؤمنين، وكلام سلمان ليس حول ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، إذ واضح أن الخطاب لكل المؤمنين، بل الكلام والسؤال هو عن ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فهل هي: (عامّة هٰذه الآية أم خاصة)؟ بل جاء صريح جواب رسول الله ﷺ هو ذلك:

«فقال ﷺ: **أما المأمورون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، فعامَّةُ المؤمنين أُمروا بذلك، وأما (الصادقون) فخاصَّة لأخي علي، وأوصيائي من بعده إلى يوم القيامة..**

قالوا: اللهم نعم..»[1]

ومضمون هٰذه الرواية موجودة أيضاً في عدد من كتب أهل العامة، ومنها ما رواه موفق بن أحمد بإسناده عن ابن عباس في شرح هٰذه الآية، ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: **هو علي بن أبي طالب خاصَّة**[2]..

كما تجدون رواية مماثلة في كتاب «رموز الكنوز» لعبد الرزاق رزق الله بن خلف، وأيضاً هنالك مصادر أخرى عديدة شهدت بذلك..

---

(١) إكمال الدين: ج١ ص٢٧٧ ب٢٤ ح٢٥. والإحتجاج للشيخ الطبرسي قدس سره: ج١، ص٢١٦. احتجاجه عليه السلام على جماعة كثيرة من المهاجرين والأنصار لما تذاكروا فضلهم...

(٢) ينظر: شواهد التنزيل للحافظ الحسكاني: ج١ ص٣٤٢ ح٣٥١.

ولا يهمنا الآن التطرق لتفصيل الحديث حولها، إلا أن هٰذا المقدار به الكفاية في الإضاءة والهداية: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1]

إذن، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وقد انطلقنا من أن المراد من الصادقين: هم (القمة) فقط، أي الذين صدّقت أقوالهم أفعالهم، وأفعالهم أقوالهم، ومعتقداتهم وعلومهم الواقع الخارجي، والعكس صحيح أيضاً.. والآن نضيف:

(أل): في {ٱلصَّٰدِقِينَ} لـ(العهد الذكري)

إن (المستظهر) من ذٰلك كله، ومن أدلة وشواهد أخرى عديدة أن الألف واللام هنا في الآية الشريفة هي ألف لام (العهد الذِّكري).

وهذه نقطة هامة في الآية؛ لأنه قد يُتصور أن الألف واللام هي ألف ولام (الجنس) كما هو ظاهر بعض المفسرين الذين حملوها على ذلك، ولكن تلك الرواية التي قرأناها صريحة، في أن هٰذه الآية يُراد بها الإمام عليّ والأوصياء إلى المهدي المنتظر (عليهم صلوات الله أجمعين)، خاصة.

فإذن تلك ـ الرواية وأشباهها ـ تفيدنا: أن الألف واللام هنا هي ألف ولام (العهد).

ثم إنه قد يكون المستظهر: أن المراد ألف لام (**العهد الذِّكري**)؛ لأن الألف لام على أقسام:

---

(١) ق: ٣٧.

١. ألف لام (**العهد الذِّهني**)، وذلك كما لو كان المأنوس والحاضر في ذهنكما، أي أنت وصاحبك اسم شخص معين، فتقول له: اذهب إلى الرجل..

٢. ألف ولام (**العهد الحضوري**)، وذلك كما لو شاهدت رجلاً يمشي، فتقول لصاحبك: أكرم الرجل، فهذه هي ألف لام العهد الحضوري..

٣. ألف لام (**العهد الذِّكري**)، كما لو قلت: مررتُ برجل فناداني الرجل، فإذا سبق اسمٌ من قبل، ثم كررت الاسم مُحلّى بألف ولام، فهذه الألف واللام تكون ألف واللام (العهد الذِّكري)..

إن تلك الروايات هي نصٌّ في أن الألف واللام في: ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ليست (للجنس)، وإنما هي (للعهد).

ولم تصرح هٰذه الروايات بأحد الأقسام الثلاثة للعهد، وفي مقام الثبوت فإن (الحضوري) و(شبه الذهني) كلاهما ممكن، (كالذكري)، إلا أننا استظهرنا (الذكري) نظراً للقاعدة المعروفة في (الكتاب العزيز) من إيضاح بعضه لبعضه، ورجوع بعضه إلى بعضه، وتفصيل بعضه مجمل بعضه، وإحكام بعضه متشابه بعضه، وقد عرف الله تعالى: ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في آية أخرى كما سيأتي، فالعهد ذكري إذن.

هذا إضافة إلى أن (العهد الذكري) هو الممكن إقامة البرهان عليه، دون الحضوري والذهني، أو الشبيه به إلا أحياناً، بل إننا سنجد تصريحاً واضحاً من الرب سبحانه في تعريف: ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ وصفاتهم في آية كريمة أخرى، نذكرها بعد قليل، بإذن الله تعالى.

الدليل القرآني:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾

وبعد هٰذا التمهيد، فلنفتح قلوبنا للقرآن الكريم، ولنكن متعلمين صادقين، فإن القرآن الكريم قد عرّف: ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في آيات أخرى متعددة، وقد عرَّفهم بالأوصاف الدقيقة الشاملة.

فمنها قوله تعالى: في آية أخرى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[1] وهكذا نجد أن الله ﷻ يحدد مواصفات ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، بل إنه يحصر: ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الواجدين لتلك الصفات ولا غير، لوضوح ظهور: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في الحصر، فلنتوقف قليلاً عند هٰذه المواصفات:

الصفة الأولى: تكمن في كلمة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ والمراد بها: المؤمنون حقيقةً، وإلا فإن الكثير من الناس آمنوا بالله ورسوله، لكنهم لم يتحلوا الصفات اللاحقة.

العمق والدقة في: ﴿لَمْ يَرْتَابُواْ﴾

والصفة الثانية: تتجلى في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ لاحظوا دقة الكلمة فإن: ﴿لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ مقامٌ جداً سام؛ إذ عادة الناس يرتابون، وتُعرض لهم (الريبة) أو أنواع منها في لحظات الضعف، فإن كل إنسان في لحظات الضعف النفسي كما لو حلَّت به مشكلة كبيرة أو داهية عظمى أو مصيبة جليلة فإنه يرتاب، وقد تكون ريبتُه أنه: هل نحن على حق أو لا؟ وقد تعرض له أنواع أخرى من الريبة، كالريبة بلطف الله في هٰذا الحدث

---

(١) الحجرات: ١٥.

الخاص، أو في إستجابته الدعاء، أو نصره المؤزر أو ما أشبه ذلك، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾[١]، فكيف بالناس العاديين؟!

إذن، الناسُ، ـ حتى (القمم) ـ هم عادة كذلك، وذلك باستثناء المعصومين (عليهم الصلاة وأزكى السلام)[٢]؛ ولذا فإن هٰذه الآية الكريمة تُعد من الأدلة على عصمتهم (صلوات الله عليهم) في بحث كلامي يطلب تفصيله من مظانه[٣]، وربما نشير له لاحقاً في بعض الأبحاث القادمة، إذا شاء الله..

إن قوله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ كلمة دقيقة جداً، فإنها (نفي مطلق) وليست (مطلق النفي)، فإن الناس عادة ـ حتى الحواريين ـ قد يرتابون: إما في الأصل، أو في الفصل والتفاصيل، إما في التشريع، أو في التكوين، إما في الحكمة أو اللطف، وإما في غير ذلك.. فالناس تحدث لهم، ولو للحظة ريبة، ولو في أمر من الأمور أو جهة من الجهات، لكن هٰذه الآية قوية الدلالة جداً، ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ أي المؤمنون حقيقةً، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ أي لم يرتابوا: لا ليلاً ولا نهاراً، لا سراً ولا جهاراً، لا في موقفٍ خطير ولا في موقف غير خطير.. لا في التشريع ولا في التكوين، ولا.. ولا.. هٰؤلاء ﴿هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾.

ولكن ما هي سائر صفاتهم؟

يجيبنا ربنا سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾

---

(١) يوسف: ١١٠

(٢) للأدلة الكثيرة ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾.

(٣) راجع «حق اليقين» للعلامة المجلسي والسيد شبر.

الجهاد ببعض المال أو كلِّه؟

الصفة الثالثة: وتظهر لنا من التدبر في قوله تعالى: ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾، فإن المستفاد من ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ﴾ وليس الجهاد ببعض أموالهم فقط؛ إذ يمكن أن الواحد منا يجاهد بخُمس ماله، أو بنصف ماله، أو بثلثي ماله، لكن الآية لا تنطبق عليه حينئذٍ، لأن ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ﴾ جمع مضاف وهو يفيد العموم فـ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ﴾ أي بكل أموالهم، فكل ماله بذله في طريق الجهاد لإعلاء راية الإسلام والتوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد والأصول والفروع.

الصفة الرابعة: وتظهر من قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾، فإن الجهاد بالنفس في مصداقه الأجلى والأتم يعني:

أ. أن نفسه دائماً قد جعلها عُرضةً للشهادة في سبيل الله.

ب. أنه جعل نفسه بكل قواها في طريق الله تعالى، وجاهد بها بكل أبعادها، ولم يَهِن ولم ينكل ولم يضعف، ولو للحظة واحدة إطلاقاً..

إن هٰؤلاء هم عيِّنة متميزة جداً: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾، وبذلك يظهر لنا: أن الله تعالى قد عرّف ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في هٰذه الآية الشريفة، فتكون ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ عهداً ذكرياً يرجعنا إلى هٰذه الآية المباركة.

بل إننا بالتدبر في الآية الشريفة، نكتشف نقطة أخرى هامة جداً، وهي: إن الله تعالى قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ولم يضف (وخلفائه)

أو (أوصيائه) مما يستظهر منه أن المراد بـ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ و:﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾: خلفاؤه وأوصياؤه فقط، بقول مطلق.[١]

دليل آخر على (العهد الذكري) من القرآن الكريم

بالرجوع إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ نستكشف أن الألف واللام هي (للعهد الذكري) حيث ذكرت هٰذه الكلمة المباركة ﴿ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في آية قرآنية أخرى، هي تلك الآية.[٢]

وهنالك آية أخرى تعُدّ شاهداً على ما ذكرناه، وهي (آية الميثاق) وقد تكون للبعض أوضح دلالة على ذلك، حيث أن الله ﷻ يتحدث عن ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، ويذكر أسماء الأنبياء العظام، حيث يقول ﷻ في آية أخرى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾[٣] ولاحظوا أن الكلام حول الأنبياء: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.[٤]

إذن: ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ و: ﴿ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في القرآن الكريم ليس وصفاً لعامة المؤمنين، وإنما هو وصف لقمة القمة، أي أنه وصف

---

(١)ولو تنزلنا، فإن أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام سيكونون المرتبة الأولى، ونعني بـ(في المرتبة الأولى) أن الله عرف ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ و(المؤمنين بالله ورسوله) بالمتصفين بتلك الصفات، ثم يأتي دور الأمثل، فالأمثل ممن هم في الدرجات اللاحقة، ممن عليهم أن يؤمنوا بالله ورسوله وخلفائه.

(٢)أي آية: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ «الحجرات: ١٥».

(٣)الأحزاب: ٧.

(٤)الأحزاب: ٨.

للأنبياء ثم بعدهم هو وصف للأوصياء، أي أنه وصف (للأئمة)، أئمة البشرية من قِبل الله ﷻ ، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾.[١]

والأدلة على ذٰلك كثيرة[٢].

(القدر المتيقن) من ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ هو (أهل البيت) عليهم السلام

ولو فرض عدم قبول شخص ما (العهد الذكري) في الآية الشريفة فإنه غير ضار؛ وذلك لكون الأئمة الأطهار هم القدر المتيقن من الآية الشريفة، فإنهم المجمع عليهم من قبل جميع الأمة دون ريب وشك، وغيرهم لا أقل من أنه مشكوك فيه.

وبعبارة أخرى نقول: لا أقل من أنه في عالم الإثبات دققوا في هٰذا التفريع لا يوجد دليل على أن غير (الأئمة الاثني عشر) هم المأمور بإتباعهم في آية: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، الأئمة الاثنا عشر الذين كلهم من قريش كما ورد عند الشيعة والسنة: «**الأئمة من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش**»..[٣]

ومن الأدلة الواضحة على ذٰلك هي (آية التطهير).

---

(١)البقرة: ١٢٤

(٢) وربما نذكر في الأبحاث المقبلة بعض الأدلة العقلية، والنقلية الأخرى أيضاً على ذلك.

(٣)البحار للعلّامة المجلسي قدس سره: ج٣٦، ص٢٣١، وصحيح مسلم: ج٦، ص٣، صحيح البخاري: ج٨، ص١٢٧، سنن الترمذي: ج٣، ص٣٤٠، تاريخ مدينة دمشق: ج٥، ص١٩١، وأيضاً ج٢١، ص٢٨٨، مع اختلاف بسيط في الألفاظ.

مقارنة آية «التطهير» بآية ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾

لأن الآية الشريفة تقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.[1]

والريب في الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾، هو رجس ما فيه شك.. والآن نتساءل: إن الذي نُفي عنه الرجس بقول مطلق بصريح القرآن الكريم مَنْ هم؟

إنهم (أهل البيت) عليهم سلام الله.

إذن، في عالم الإثبات لدينا دليل واضح جلي، يشهد بأن أهل البيت هم ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ بقول مطلق، أما غيرهم حتى لو كان من كبار الأولياء كسلمان والمقداد وعمار رضي الله عنهم، فإنهم قد يكونون من: ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، ومعنى (قد يكونون)، أي أنه لم تعرض له لحظة من الريبة ـ فرضاً ـ في أصل، أو فصل، أو حكمة، أو حالة ضعف، أو ما أشبه؛ قد يكون ذلك، لكن ليس عندنا دليل من القرآن الكريم على ذلك، وإنما قام الدليل على أن الصادق حقيقة والمطهّر من كل دنس ورجس، وريب وشك، فقط وفقط هم: الأئمة (عليهم الصلاة وأزكى السلام)..

هذا كله مع قطع النظر عن (درجات الصادقين) وأن غير أهل البيت مهما بلغوا من درجات الصدق فإنهم لا يزالون دون مرتبة أهل العصمة والطهارة بكثير... فالواجب عقلاً: (الكون معهم) دون ريب.

والحاصل أنه: بمطابقة هٰذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ بآية التطهير، نصل للمقصود أيضاً؛ إذ نسأل مَنْ هم الصادقون؟

(١) الأحزاب: ٣٣.

ونجد الجواب: هم الذين طهرهم الله من كل رجس وشين، ومن كل دنس، وريب ومين[١]، بنصِّ الآية القرآنية الكريمة، وهم أهل البيت (عليهم الصلاة وأزكى السلام)[٢].

لماذا قدَّم الله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ على: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾؟

لقد قال تعالى: ولاحظوا الدقة في الآية، وتأملوا جيداً ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فقد قدّم الله تعالى جملة: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ثم بعد ذٰلك فرّع عليه، أو رتب عليه، وليس مجرد أخّر عنه: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.

وهذا يعني: أن مقتضى (التقوى)؛ أن تكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، فلو لم يكن المرء ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، لم يكن متقياً.

ولعل ذٰلك يستبطن نوعاً من التهديد، ونوعاً من التعنيف والتخويف، ثم إنه لا يكون هٰذا التأكيد إلا لأن هٰذه القمة، وهذه الثُلة الطيبة الطاهرة، الكثيرُ من الناس أعرضوا عنها؛ ولذلك استدعى أن يقول الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، فإنه لو لم يتق العبد ربَّه سبحانه وتعالى، فإنه ينصاع للسلطة، والرياسة، والشهرة، ويكون (معها) ومع العامة، وليس مع الخاصة الذين هم محمد وأهل بيته(عليهم سلام الله وصلواته)..

---

(١)المَيْن هو الكذب.

(٢) وهناك تتمة لهذا الحديث نتركها ربما للبحث القادم.

الأمة والإمام الصادق (سلام الله عليه)

إن الإمام الصادق (عليه الصلاة وأزكى السلام)؛ هو من القمم العليا السامقة للبشرية جمعاء، بل لعالم الإمكان كله وهو من: ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ الذين أمرنا الله ﷻ بأن نكون معهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، وسنتوقف قليلاً عند الإمام الصادق عليه السلام لنجد، ونرى، هل أن الناس كانوا معه، ومع سائر الأئمة الصادقين على مرِّ التاريخ، أو لا؟

وهل امتثلوا الأمر الإلهي في قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أم لا؟

وسنشير إلى بعض النماذج والشواهد والأمثلة، إشارة عابرة تدل على كيفية تعامل الأمة الإسلامية ـ قديماً وحديثاً ـ مع صادق أهل البيت وسبط الرسول عليهما السلام وإمام وأستاذ أئمة (المذاهب)، بل حجة الله على الخلائق أجمعين.

١. الإمام الصادق عليه السلام يشكو وحدته

نلاحظ أولاً، كلام الإمام الصادق (عليه الصلاة وأزكى السلام)، حيث يقول: «**أشكوا إلى الله وحدتي**». ـ لاحظوا صادق أهل البيت (عليهم الصلاة وأزكى السلام)، وهو مَنْ وَرِثَ علوم النبيين، ومَنْ وَرِثَ علوم المرسلين، على عظمته، ومكانته، واعتراف المسلمين وأئمة الطوائف، من أمثال أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل ومن أشبههم.. بجلالة شأنه وعلمه، ولاحظوا أمثال الكلمة المعروفة التي قالها النعمان بن ثابت: (لولا السنتان لهلك النعمان)، وهو أبو حنيفة؛ لكن مع ذلك كان الإمام مضطهداً بشكل غريب ومظلوماً غريباً حتى في دياره، حتى أنه (عليه الصلاة وأزكى السلام) يشكوا إلى الله ذلك، ويقول: «**أشكو إلى الله وحدتي وتقلقلي من أهل المدينة..**»[1].

و(التقلقل) تعني الاضطراب، والإزعاج، والضيق والمضايقة، تقول: يثير القلاقل؛ يعني يثير الاضطراب، يعني يوجِد الإزعاج، والضيق، والمضايقة.. وما أشبه ذلك..

فالإمام الصادق عليه السلام يقول: «**أشكو إلى الله وحدتي وتقلقلي من أهل المدينة..**» أي أن الضيق الذي أنا فيه هو من أهل المدينة، والإزعاج الذي أناله هو منهم، وأن الغربة، والوحشة، والاضطراب هم الذين سببوها لي!!

هكذا كان حال الإمام الصادق عليه السلام، وهو سيد أهل البيت (عليهم الصلاة وأزكى السلام)، بل سيد العالم في زمنه، بل سيد العوالم في كل الأزمان، في جملة السادة المعصومين (عليهم الصلاة وأزكى السلام)..

---

(١) راجع البحار للشيخ المجلسي قدس سره: ج٤٧، ص١٨٥.

٢. إزدحام الناس وتداكهم على الإمام الصادق عليه السلام

والآن لننتقل إلى الرواية الثانية، والتي وردت عندما كان هناك تراخٍ نسبي في الضغط الأمني، والسياسي على الإمام، وعندما كانت هناك بعض الحرية:

قال محمد بن معروف الهلالي: ذهبت إلى الحيرة لزيارة الإمام الصادق (عليه سلام الله) لأن الإمام الصادق (عليه سلام الله) كان حينذاك في الحيرة، والحيرة هي بظهر الكوفة وعلى مسافة ثلاثة أميال منها، والبعض كمعجم البلدان يرى بأن الحيرة هي النجف نفسها، والتي كان ملوك العرب سابقاً يسكنون بها)، لكنني لم أستطع ذٰلك طوال اليوم الأول من كثرة إزدحام الناس وتداكّهم عليه، ونص عبارته: (فوجدته قد تداكّ الناس عليه)، يعني ازدحمت الناس عليه؛ إذ أن (تداك) مأخوذة من مادة «دكّ» تقول: دكّ، يدك، دكاً، كأنهم يدكُّ بعضهم بعضاً، وذلك يعني حضور جماهير غفيرة من القادمين لزيارة الإمام الصادق (عليه الصلاة وأزكى السلام) ولاحظوا أنه رغم أن النجف كانت بعيدة عن العمران بشكل عام في ذاك الزمن، لكن مع ذٰلك وحيث وجد قليل من الحرية، بل نسيم حرية وإذا بالناس يتداكّون عليه[1].

يقول محمد بن معروف: اليوم الأول ذهبت من الصباح إلى المساء قاصداً زيارة الإمام الصادق (صلوات الله عليه) فلم أقدر على ذٰلك؛ للحضور الكثيف من الناس والإقبال الرهيب منهم نحو الإمام عليه السلام..

يقول: جئت أيضاً في اليوم الثاني، فما استطعت أن أرى الإمام؛ لشدة تزاحم وتداكّ الناس عليه..

---

(١) ينظر لسان العرب: ج١٩ ص٤٢٦ ماة «دكك» وفيه: وتداكَّ عليه القوم، إذا ازدحموا عليه. وفي حديث علي عليه السلام: «ثم تداككتم عليّ تداكك الإبل الهيم على حياضها» اي: ازدحمتم.

يقول: ثم جئت في اليوم الثالث، حتى أزور الإمام الصادق (عليه سلام الله) وانتظرت من الصباح إلى المساء، لكنه لم تسنح الفرصة أيضاً للتشرف بخدمة الإمام الصادق (عليه الصلاة وأزكى السلام)..

يقول: وفي اليوم الرابع، الإمام هو الذي طلبني وسط الزحمة.

ولنقرأ نص هٰذه الرواية للطافتها ودلالتها، وبعض العبر أيضاً فيها، من كتاب «بحار الأنوار»، المجلد ٤٧..[1]

يقول: (مضيت إلى الحيرة إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، وقت السفاح، فوجدته قد تداكّ الناس عليه، ثلاثة أيام متواليات، فما كانت لي فيه حيلة، ولا قدرت عليه من كثرة الناس وتكاثفهم عليه).

يقول: (فلما كان في اليوم الرابع رآني الإمام عليه السلام وقد خَفَّ الناس عنه فأدناني ومضى إلى قبر أمير المؤمنين (عليه الصلاة وأزكى السلام) وهذا لعله أيضاً شاهد على أن الحيرة كانت النجف فتبعته) ثم أن الإمام عندما كان في بعض الطريق، احتاج إلى قضاء الحاجة، فتنحّى بعيداً وهناك في الرمال إذ أوضحنا أن النجف كانت منطقة غير مأهولة وراء أكمة أو هضبة أو ما أشبه ذلك، قضى حاجته ثم (نبش الرمل) بيده، فخرج له الماء، فتطهر للصلاة، ثم قام فصلى ركعتين، ثم دعا ربه..) فلقد انفجرت الأرض ينبوعاً؛ لأنه وريث الأنبياء في علمهم وفي قوتهم، ومع ذٰلك عندما يكون في المدينة يشكو إلى الله غربته ووحدته وتقلقله عن أهل المدينة، فيقول: ثم دعا ربه فكان في دعائه: «**اللهم لا تجعلني ممن تقدّم فمرق، ولا ممن تخلّف فمحق، واجعلني من النمط الأوسط**..».

كانت هنالك تعليقات عديدة على هٰذه الكلمات النيّرة ولكن نتركها لوقتٍ آخر.

---

(١) البحار للشيخ المجلسي قدس سره: ج٤٧، ص٩٤، وهي رواية طويلة ومفيدة جداً.

من نصائح الإمام الصادق عليه السلام

يقول محمد بن معروف: (ثم مشى الإمام الصادق عليه السلام ومشيتُ معه، فقال: «**يا غلام**» إذ كان الراوي، وهو محمد بن معروف الهلالي في ذاك الوقت صغير السن، كما أنه عمّر طويلاً، حيث وصل عمره إلى المائة وثمانية وعشرين سنة، ولعله عمّر أكثر، فقال: «يا غلام! **البحر لا جار له**» فإن البحر قد يهيج، فلا تسكن عند بحر قد يهيج، بدون وقاية، وهذه الحكمة لعلها كناية عن معنى أوسع، فتشمل عدم مجاورة الظالم، وعدم مصاحبة أو مصادقة الفاسق؛ إذ الفاسق قد يهيج عليك، ويظلمك، ويضطهدك، ويسرق منك: (ما له حساب ولا كتاب) حسب المثل، فإذن لا تكن جاراً وصديقاً لإنسان بعيد عن الله، غير مسيطر على عينه ولا لسانه، فيغتاب أو يتهم أو يسب أو ينمُّ، أو ما أشبه ذلك..

«**والملك لا صديق له**» فلا تصادق الملك؛ بل صادق ملك الملوك جل جلاله؛ لأن الملك أهم شيء لديه هو سلطته وقدرته و(ملوكيته)، وليست (للصداقة) والقيم الأخرى أية قيمة لديه، «**والعافية لا ثمن لها..**» وأن المشكلة هي أننا عادة نفكر بالنواقص، ولا نفكر بما منحنا الله تعالى من عظيم نعمه ومن أهمها «العافية» فإنها (تاج على رؤوس الأصحاء) «**كم من ناعم، ولا يعلم**»؛ أي: كم من ناعم (أي في نعمة)، لا يعلم عن وجودها أصلاً، أو لا يعلم أهميتها وقيمتها، أو لا يعلم خصوصياتها وتفاصيلها.[1]

---

(١) فمثلاً: كثيراً ما لا يعلم الكثير من الناس عن وجود (العالم العامل المتقي) الفلاني في بلدهم، وإذا علموا فإنهم لا يعلمون قيمته ومكانته ومنزلته ـ حتى إذا توفي انتبه الكثير منهم لذلك؛ بل ولعل البعض يبقى حتى حينذاك في الغفلة ـ ثم إذا علموا بكل ذلك فإن بعضهم قد منهم لا يعلم شيئاً كثيراً عن إنجازاته ومشاريعه، ولا عن أفكاره ورؤاه، وغير ذلك.

وهذا الكلام كله جواهر، لكن سنقتصر لضيق الوقت على بعض الحِكَم فقط، ثم قال عليه السلام: «**تمسكوا بالخَمس**»، (أي الصلوات الخمس) «**وقدّموا الاستخارة، وتبركوا بالسهولة، وتزيّنوا بالحلم**».. إلى آخر كلامه (عليه الصلاة وأزكى السلام) وكل كلمة تحتاج إلى بحث بل بحوث..فإن «**تبركوا بالسهولة**».. مثلاً، ترشدنا إلى أساس من أهم أسس سعادة الإنسان في الحياة.. و(قدّموا الاستخارة) وذلك أيضاً أساس من أهم أسس النجاح في الحياة...

نسأل الله التوفيق لبحث ذٰلك في المستقبل بإذن الله تعالى.

هل امتثلت الأمة

والآن لنتوقف قليلاً ونسأل أنفسنا: هٰذا الإمام العظيم، الإمام الصادق (عليه الصلاة وأزكى السلام)على عظمته، على مكانته وكراماته، وعلومه، وآثاره التي خلفها، وهو الذي أمرنا الله تعالى بأن نكون معه ومع سائر ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ من الأئمة الطاهرين عليهم صلوات المصلين، هل عرفنا قدره ومنزلته، وهل كانت الأمة معه امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾؟

الأئمة عليهم السلام هم أجلى مصاديق ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾

ولنعد إلى استدلالنا السابق، فنقول: إننا (استظهرنا) من تلك الروايات و(استظهرنا) تعبير متواضع، وإلا فهذا هو الواضح والبيّن؛ لأن هٰذه الرواية ونظائرها، وقرائن الآيات الشريفة، والأدلة العقلية كلها أدلة واضحة على ذٰلك أقول: أوضحنا أن ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ يعني حصراً الأئمة (عليهم الصلاة وأزكى السلام).

ولكن لعل شخصاً لا يقتنع بتلك الروايات لعدم إيمانه بمنابعها، ومصادرها (عليهم الصلاة وأزكى السلام)، أو لأنه لم يقتنع بالأدلة التي سقناها، أو التي سنسوقها، فنقول له: لا مشكلة؛ إذ هناك طريق آخر، إذ أنه يقول: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، يعني عموم الصادقين..

فنقول ونتسائل: لكن من هم أجلى المصاديق؟

لا مجال هنالك أبداً لينكر شخص: أن أئمة أهل البيت (عليهم الصلاة وأزكى السلام) هم (أجلى المصاديق)، ونحن قلنا: إن ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في الآية الشريفة؛ هم أئمة أهل البيت حصراً (عليهم الصلاة وأزكى السلام)، فلو قال شخص: لا، الآية عامَّة، نقول: لو فرض أنها عامة؟ ولكن ألا تشمل أهل البيت (عليهم الصلاة وأزكى السلام)؟!

وأليس أهل البيت عليهم السلام من سادة ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، بل هم (سادتهم) على الإطلاق، بدلالة العشرات، بل المئات، بل الألوف من الروايات، التي تصرّح بمكانتهم، وفضيلتهم، وعلمهم، وتقواهم، وما أشبه ذلك.؟!

إذن، في كل الصور وعلى كل التقادير، فإنه لابدَّ لهذا الطرف، وإن أنكر إمامتهم أن يقبل بأن: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ تشمل الأئمة الأطهار (عليهم الصلاة وأزكى السلام).. بإعتبارهم أجلى المصاديق، أو لكونهم من أجلى المصاديق.

ولكن.. ما الذي صنعته السلطة الجائرة، وما الذي صنعه الناس، حتى نجد أن هٰذا الإمام الصادق الأمين، على عظمته وسمو مقامه ومنزلته، يقول: «**أشكوا إلى الله وحدتي**»، فما أمرّ هٰذه الكلمة، وأوجعها للقلوب المؤمنة الزاكية؟!

٣- اعتقال الإمام الصادق عليه السلام

لننتقل الآن إلى نموذج آخر: لنلاحظ المنصور العباسي كنموذج، فإن المنصور (عليه لعائن الله) هٰذا الرجل وأشباهه من الطواغيت، قصدوا قتل الإمام (عليه من الله السلام) في غير مرة، في قصص تاريخية معروفة في التأريخ، وقد أهان الإمام الصادق (عليه الصلاة وأزكى السلام) أكثر من مرة، رغم أنه (روحي فداه) سليل النبوة وبحر العلم المواج، ومن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ففي إحدى المرات، أمر منصور العباسي حاجبه الربيع بأن يذهب ويعتقل الإمام، ولكن ليس بطريقة إنسانية ولا بطريقة عادية، بل أمره بأن يجره جراً مسحوباً على الأرض..! ولكل مؤمن غيور، أن يلاحظ فداحة الخطب وعمق الفاجعة، وتأملوا في هٰذه الجريمة المقرحة للقلوب، حيث أن هٰذا الطاغية الجائر، وهو يعرف مكانة الإمام وعظمته، يأمر بأن يؤتى به معتقلاً، وأن يسحب على الأرض سحباً، وهو سبط عليه السلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحجة الله على الأرض، وأستاذ أعاظم العلماء، ومربي كبار الأولياء.

والربيع كان يعرف بعض مكانة الإمام (عليه الصلاة وأزكى السلام)، يقول: أتيت وأنا في حيرةٍ من أمري، كيف أجرُّ الإمام؟! فقلت للإمام: أنا مأمور، وإن لم أفعل ما أمرني المنصور، فإنه سيقتلني.. فقال الإمام: «**افعل ما شئت**»..

فيقول: اخترت حلاً وسطاً، وأمسكت رداء الإمام، وسحبته...

وهذا غيض من فيض من ظلاماتهم (صلوات الله عليهم).

ولكم أن تتصوروا المظلومية التي عاشها الإمام الصادق والأئمة الطاهرون (عليهم سلام الله) طوال حياتهم المباركة.

ولعمري أن هٰذا من هوان الدنيا على الله ﷻ كما أنهم قد فعلوا بمسلم بن عقيل مثل ذٰلك سابقاً:

وسحباً تجر بأسواقهم
ألست أميرهم البارحة

وفي الرواية بما معناه: **لو كانت الدنيا تسوى عند الله جناح بعوضة، ما سقى فيها كافراً شربة ماء قط..**[1]

ماذا صنع المسيحيون، وماذا صنعنا؟

لاحظوا قصورنا وتقصيرنا في حق الإمام وسائر الصادقين عليهم من الله التحية والسلام: وتأملوا في هٰذا الخبر: حيث بعض المسيحيين أنتجوا عن المسيح عليه السلام فيلماً اسموه «آلام المسيح» وقيل: إن تكلفة انتاجه بلغت (٣٠٠ مليون دولار)، وفي المقابل:

أ. هل أنتجنا وصنعنا فيلماً عن الإمام الصادق عليه السلام حتى بخمسة ملايين دولار؟!

ولنتذكر كلام الإمام عليه من الله السلام: «**أشكو إلى الله وحدتي**»، إن الإمام لم يكن وحيداً في ذٰلك الزمن فقط، بل هو في هٰذا الزمن أيضاً لا يزال وحيداً..

ب. هل هناك في جامعات العالم حتى (كرسي) واحد للإمام الصادق(عليه من الله السلام)؟!

---

(١)الكافي الشريف: ج٢، ص٢٤٦ باب الرضا بموهبة الإيمان والصبر على كل شيء بعده ح٥ وفيه عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال ـ في حديث ـ: «..لو عدلت الدنيا عند الله عز وجل جناح بعوضة ما سقى عدوه منها شربة ماء..».

الآن توجد في العديد من الجامعات سواء في أميركا، أم أوروبا كرسي وكراسي لإينشتاين وأمثاله، وإينشتاين مَنْ هو؟! إنه لا يقارن بأمثال (جابر بن حيان) أبداً.. أبداً.. فكيف بالإمام الصادق (عليه الصلاة وأزكى السلام) لتكون له كراسي عديدة في الجامعات، ولكن لا يوجد حتى كرسي للإمام الصادق (عليه الصلاة وأزكى السلام)!!..

أليس ذٰلك يعني: أن الإمام (عليه الصلاة وأزكى السلام) لا يزال وحيداً.. وحيداً؟!

ج. كم كتاباً طبعنا عن الإمام الصادق (سلام الله عليه)؟!

إن الكتب التي نطبعها هي في دائرة ألف نسخة، خمسة آلاف نسخة، عشرة آلاف نسخة، أليست هٰذه مأساة، وكتبهم يطبعون منها الملايين؟!

وهنالك كتاب واحد طبعوا منه (سبعين مليون) نسخة!! وكتب أخرى لهم عديدة طبعوا منها عشرات الملايين، وكتب أخرى كثيرة طبعوا منها الملايين، وهي ـعادةـ كتب روائية، أو قصصية لا فائدة منها ولا طائل، إن لم تكن مضرة بالأخلاق والمجتمع.

فكروا: سبعين مليون نسخة من كتاب واحد فقط، وفي المقابل كم كتاباً طبعنا عن الإمام الصادق عليه السلام، وبكم نسخة؟!

د. و«البقيع» لا يزال مُهدَّماً منذ ٨٥ عاماً، ثم ندعي أننا: ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ الذين أمرنا الله أمراً صريحاً قاطعاً بأن نكون معهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾!

إن التكاسل والتراخي في الدفاع عن البقيع وسامراء خلاف تقوى الله، أن أكون جالساً هنا، ولا أفكر بالبقيع، وسامراء.. وسائر ظلامات أهل البيت الأطهار وشيعتهم الأخيار.

لنتذكر دوماً: لا يزال البقيع بعد خمس وثمانين سنة مُهدماً، وهذا يكشف عن أننا لسنا ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ إذ أننا إذا كنا معهم، وكنا ندافع عنهم بالقول، والقلم، والقدم، والمال والنفس والنفيس، وبمختلف وسائل الإعلام، ونحن مئات الملايين، ما كان يُعقل أن يبقى البقيع مُهدماً يوماً واحداً، فكيف بخمس وثمانين سنة؟!

لنتذكر دوماً قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.

هل كان يبقى البقيع مهدماً لو كان يخرج في يوم ٨ شوال مئات الملايين من الشيعة، بل مئات الملايين من السنة أيضاً، إلى الشوارع في مظاهرات سلمية عالمية، تندد بالحكومة الوهابية الظالمة للرسول وأهل بيته الأطهار.

وهل كان يعقل أن يبقى البقيع مهدماً لو كانت مئات الملايين من الإيملات والبريد الإلكتروني ترسل يومياً إلى الحكومة السعودية وإلى حكومات العالم؛ إحتجاجاً على ظلم أهل البيت الأطهار، ومنع بناء أو إعمار أو زيارة مراقدهم المباركة، ومنع بناء المساجد والحسينيات، وسحق حقوق أتباع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا وإياكم لكي نكون مع الصادقين حقاً، وصدقاً إنه سميع الدعاء..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين..

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[٢]

بين (منهج الصادقين) و(منهج الآخرين)

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين بارئ الخلائق أجمعين باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.[1]

هنالك محطات عديدة بل كثيرة للتوقف، والتأمل، والتدبر، والتزود، والاستلهام، والاستضاءة في هٰذه الآية القرآنية الكريمة، أشرنا إلى بعضها سابقاً، وسنشير إلى بعضها الآخر في هٰذا المبحث، وربما نكملها في البحث القادم، وقد نواصل الحديث في سلسلة بحوث لاحقة إذا شاء الله..

(١) التوبة: ١١٩.

من وجوه البلاغة في آية (الصادقين)

بلاغة (النداء) القرآني

المحطة الأولى:

أ. تصدير الخطاب بحرف النداء

إن تصدير الخطاب بأداة النداء[١] أولاً، ثم تضمين المنادى[٢] صفة من الصفات، أو جعل المنادى هو (ذا الصفة)، يحمل في طيّاته أبلغ الدلالات.. فإن الإنسان تارة يُخاطب الطرف الآخر ابتداءً، فيقول له: اذهب إلى المدرسة، كما لو خاطب الأب ابنه، بـ: (اذهب إلى المدرسة)؛ وتارة يُصدِّر هٰذا الخطاب بحرف نداء، بأداة نداء، فيقول: (يا بُني اذهب إلى المدرسة)، كما نجد ذٰلك في الآية القرآنية الكريمة، حيث قال تعالى: بلسان نبي الله نوح (على نبينا وآله وعَلَيْهِ السَّلَامُ) وهو يخاطب ابنه كنعان:

---

(١)وهي : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا﴾.

(٢)وهو : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].. وكما قال عن إبراهيم النبي مخاطباً إبنه إسماعيل عليه السلام: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾.[2]

والفرق كبير وبيّن بين الأمرين؛ فإنك لو صدَّرتَ الخطاب بأداة نداء فستكون الدلالة أبلغ، والقوة أكبر، ويدلُّ ذلك على شِدَّة الطلب، والحرص على تحقق المطلوب، كما انه يستلفت انتباه الطرف الآخر أكثر، كما أن باعثيته ودافعيته أقوى وأشد؛ فلو قلت لولدك: اذهب إلى المدرسة، فهذه كلمة ذات دلالة عادية، ولكن لو قلت: يا بني اذهب إلى المدرسة، فهي ألطف وأجمل وأحب إلى القلب وأقوى في التأثير، فأين دلالة ﴿ٱرْكَب مَّعَنَا﴾، من دلالة ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ ؟

والحاصل:

أ. إن تصدير الخطاب بأداة النداء، يُفيد مزيد الألفات ومزيد التأكيد، وتركيز طلب المعنى، والعناية الأكبر لـ: تحقق المُراد من المنادى والمأمور.

ب. وصف المخاطب بصفةٍ لها المدخلية.

وبعد ذلك لو ضمَّن الخطاب، وضمَّن النداء، صفةً من الصفات، أو تعلقت أداة النداء ـ ابتداءً ـ بصفة المخاطب بدل اسمه أو لقبه أو كنيته، فإن الدلالة ستكون أبلغ عندئذ، خاصة إذا كانت الصفة مما يتجانس مع (الموضوع) المأمور به، أو (المطلب) المراد منه، وكانت مما لها مدخلية في الباعثية للإلتزام والامتثال والإطاعة.

---

(١) هود: ٤٢.

(٢) الصافات: ٢٠٢.

لاحظوا: إن الله سبحانه لماذا أحياناً يوجه الخطاب للناس فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، وأحياناً يوجه الخطاب للمؤمنين ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، كما في الآية القرآنية الشريفة؟ ولماذا لم يقل: (يا أيها الذين أسلموا)؟

فإن الفرق كبير؛ فإن تضمين المنادى بصفة من صفات المنادى، يدلُّ هٰذا التضمين على أن لتلك الصفة مدخلية كبيرة في الطلب، بل قد تكون هي جهة الطلب الأساسية، بل قد تكون الوحيدة..

استنهاض واستثارة الصفة

وتوضيحاً نقول: إن الواحد منا عندما يتكلم مع الخطباء، ويخاطبهم بقوله: (يا أيها الخطباء تحدثوا حول الموضوع الكذائي).. فإن لوصف كونه خطيباً مدخلية في الخطاب والأمر والتوجيه والطلب، فلأنكَ أنتَ خطيب، أنا أقول لك: (هذه الكلمة قُلْها)، أو: (لا تقلها)..

أو أحياناً، قد يخاطب أحدنا المفكرين، فيقول: (يا أيها المفكرون).. فإنه يستنهض فيهم ملكة التفكير، والاستنباط، والاجتهاد، بـ(يا أيها المفكرون)، أي: إنه إنذار مبكر في مستهل الكلام بأنَّ هٰذه المعضلة تحتاج إلى علاج، وإلى تفكير، أو حل ابداعي أو ما أشبه ذلك..

مثال آخر: الرئيس أو وزير الدفاع ـ مثلاً ـ حين يخاطبُ الجنودَ في المعركة ويقول: (يا أيها الجنود البواسل).. فإن معنى هٰذه الكلمة هو: (إن كونك جندياً يُحمّلك المسؤولية)، وبلحاظ أنك جندي باسل آمرك وأخاطبك، وقد يوحي الخطاب إضافة إلى ذٰلك بـ: أن ما أطلبه منك يستدعي كل بسالتك أيها الجندي الباسل.

فإذن الوصف لم يؤتَ به عبثاً، وإنما هناك عناية دقيقة؛ بأن هٰذا الوصف هو الذي يُبتنى عليه الخبر أو الطلب ويتفرع عليه..

لأنك مؤمن فكن ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾:

وفي الآية الشريفة يقول جل أسمه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وهذا يعني أنك بما أنت (مؤمن) مُطالب بأن تكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، أي مع رسول الله محمد وأهل بيته الأطهار (عليهم الصلاة وأزكى السلام)؛ ولذا لم يقل سبحانه: (يا أيها الناس) رغم أن الناس أيضاً مُطالبون بذلك، فإن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، كلام صحيح، وكذا: (يا أيها الناس كونوا مع أهل البيت) و:﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، لكن العناية في تصدير هذين الأمرين[1]؛ بأداة النداء، ثم بهذه الصفة، بيان أن مقتضى الإيمان هو ذلك..

وهذا يعني: أنه إذا كنت حقيقة مؤمناً، فإنه ينبغي أن تتقي الله وتكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، أو أن مقتضى إيمانك هو: أن تلتزم بهذين الأمرين، فتتقِ الله وتكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

البرهان اللمي والبرهان الإني

وهذا البرهان يُمكن أن يُتمسك به بنحو البرهان (اللَّمي)، كما يُمكن أن يتمسك به بنحو البرهان (الإنِّي)، وربما نوضح ذٰلك لاحقاً بالتفصيل، ونكتفي هنا بالإشارة:

أ. **البرهان اللمي**: **وهو الإنتقال من العِلَّةِ إلى المعلول**، أي إن كونك مؤمناً يدعوك ويفرض عليك أن تكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾،

---

(١) أي الأمر بـ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ والأمر بـ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

فالإيمان الحقيقي هو باعثك لأن تكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، الإيمان الحقيقي هو عِلَّةُ أن تكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.

ب. **والبرهان (الإني): هو الإنتقال من المعلول إلى العلة**، فإن الإنسان لو لم يكن ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، لاكتشفنا من ذٰلك عدم كونه مؤمناً حقيقة، فقد أفادنا تصدير النداء بـ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ هاتين الفائدتين في وقت واحد:

١. إن الإيمان علة للإلتزام بالكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.

٢. وإن الكون معهم يكشف عن الإيمان، وعدمه يكشف عن عدمه.

ثم إن الكلام بعينه جارٍ في: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، في علاقته مع ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ولنترك ذٰلك لوقت آخر؛ إذ توجد فيه تفاصيل واضافات أخرى عديدة.

والحاصل إن قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، يفيدنا ـ فيما يفيدنا: أنك بما أنت (مؤمن) فإنك مُخاطب، ومأمور بأن تكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، ومُكلف بأن تكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، أي أن ذٰلك هو مقتضى الإيمان، والإيمان يدعوك لذلك..

نعم، (الإيمان) (مقتضٍ) وليس (علة تامة)؛ لذلك كان لابد من الأمر والحث والتحريض.

علتان لوجوب الكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾

وببيان آخر إضافي وهو بيان فيه لفتة جمال، بيان لطيف، وقد أشرتُ سابقاً إلى جانب من هٰذا الحديث في كتاب للعبد الفقير اسمه «شورى

الفقهاء»[1] لكن ـ بطريقة أخرى ـ لاحظوا: إن المولى عندما يوجه أمراً لعبده، فإن على العبد أن يمتثل ويطيع؛ صحيح ذٰلك أو لا؟..

إنه كذلك دون ريب..

لكن السؤال هو: (وجوب الامتثال) من أين نبع؟ ومن أين نشأ؟

والجواب: لقد نشأ من صيغة الأمر، فمثلاً قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، يفيد الوجوب، لماذا؟ لأن ﴿وَكُونُواْ﴾ أمر؛ لذا فإنه يفيد وجوب أن نكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وذلك لأن الله المولى الحقيقي، قال: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

لكن حيث أن الله ﷻ صدّر هٰذا الأمر بنداءٍ تعلق بوصفٍ، فإن (هذا الوصف) يُعدّ دليلاً ثانياً على وجوب أن نكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾..

لماذا يجب أن نكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾؟

العلة الأولى: لأن الله ﷻ، قد أمر وقال: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾..

العلة الثانية: لأن هٰذا التصدير بهذه الصفة ـ صفة الإيمان يُشعر بإعطاء علّةِ وجوبِ أن تكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، أي لأنك (مؤمن)، فينبغي أن تكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، حتى مع قطع النظر عن أداة الأمر، أو صيغة الأمر أو الخطاب الإلهي بـ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فنفس كونك مؤمناً بالله ﷻ، يُلزمك بأن تكون مع رُسُلهُ، وأن تكون مع أوصياء رُسله.

---

(١) كتاب «شورى الفقهاء دراسة فقهية أصولية» هو دراسة فقهية وأصولية وتفسيرية وأحياناً كلامية، معمقة لقضية (شورى الفقهاء المراجع) وأن الحكم هو لأكثرية المراجع في (الشورى) وذلك في الشؤون العامة، وكافة ما يرتبط بالناس من قضايا سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية وغيرها، فيما عدا (الأحوال الشخصية) فإن لكل أحد أن يقلد مرجعاً واحداً فيها كما هو واضح، وقد طُبع منه الجزء الأول طبعة رابعة في عام(١٩٩٦م) من قبل مؤسسة الفكر الإسلامي.

فالقضية هي هٰكذا إذاً: الله ﷻ بعث رُسلاً، وأنت مؤمنٌ بالله حقيقة، فنفس إيمانك بالله يقتضي أن تكون مع رسل الله، ومع أوصياء وخلفاء أولئك الرسل..

فالنكتة الدقيقة في الآية: أن الله ﷻ لم يقل: (يا أيها الناس) مع أن الأمر موجه للناس حقيقة، فإن كل الناس مكلفون بأن (يتقوا الله)، وبأن (يكونوا مع الصادقين)، لكن الله ﷻ أراد أن يُضيف بيان علة أخرى لوجوب أن تكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾؛ وهي علة عقلية ومنطقية ووجدانية أيضاً، وهي: لأنك مؤمن بي أنا الله العلي العظيم، فيجب عليك أن تكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ الذين بعثتهم رسلاً، أو نصبتهم أوصياء: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.

ولقد كانت هٰذه هي نقطة ومحطة التأمل الأولى في الآية القرآنية الكريمة..

المحطة الثانية:

وصف ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ يرشدنا إلى:

العلة الثالثة وهي (كونهم صادقين) فإن وصف ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أيضاً يُفيد وجوب الكون معهم، بل أن دلالته لعلها أقوى على المُدعى، مما صدرنا به الحديث؛ فإن الله ﷻ يتحدث عن جبهتين كما أشرنا إلى ذٰلك سابقاً: الجبهة الأولى هي (جبهة الأتباع)، والجبهة الثانية هي (جبهة القادة)، أي (المتبوعين والتابعين)، أو (القيادة والقاعدة)..

فعندما يتحدث عن جبهة الأتباع والقاعدة والتابعين يصفهم بصفة (الإيمان)، ويقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فصدَّر الحديث بصفتهم،

ولكنه عندما يتحدث عن المتبوعين، أي القيادة، أي الأئمة، ماذا يقول وبماذا يصفهم؟

إنه يصفهم بـ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ فيقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.

و(الصادق) حقيقة هو:

أ ـ من صدق مع ربه.

ب ـ ومن صدق مع نفسه.

ج ـ ومن كان صادقاً مع مجتمعه، من كل الجهات وبكل الجهات.

هٰذا هو (الصادق) حقيقة.. الصادق حقيقة هو: الصادق مع ربه في كل شيء وفي كل حالة، وهو صادق مع نفسه مطلقاً، وهو صادق مع غيره دائماً، ومَن كان كذلك، حكم العقل بوجوب إتباعه جزماً، وهكذا نجد أن هٰؤلاء هم الذين أمرنا الله تعالى بإتباعهم بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾..

تعليق الحكم على الوصف مشعر بالعلية

هناك قاعدة أصولية تعرفونها، هي: إن تعليق الحكم على الوصف مُشعرٌ بالعلية، ونقول: إن قولهم (يُشعر) ليس لنفي الأكثر[1]، بل لأنه القدر المتيقن وأدنى المراتب، وإلا فإن (تعليق الحكم على الوصف) قد يكون دليلاً أكيداً على (العلية) وذلك حسب مناسبة الحكم والموضوع، وحسب الإرتكاز، وحسب الفهم العرفي.

(١)الأكثر هو كونه دليلاً لا مشعراً فحسب.

فلو قلت: (أكرم العالم)، فإن هٰذا يُشعر بل يدل بأنه: لكونه عالماً أكرمه، وكذا لو قلت: (أهن الفاسق)، فإنه يُشعر بل يدلُّ هٰذا وأشباهه أحياناً كثيرة، على أن (الوصف) هو (ملاك) الحكم، وهو (المدار) و(المحور) و(العلة) و(السبب) وهذا ما يعبر عنه بمناسبة الحكم والموضوع، ويوضحه من وجهٍ، ما ذكره المناطقة من أن (النتيجة تتبع أخس المقدمتين، وأخص المقدمتين)، فإنَّ الحكم نوع نتيجةٍ ـ وإن كانت اختيارية ـ لما عليه الموضوع من الخصوصيات.

والحاصل: أن تعليق الحكم على الوصف قد يدل على العلية، مثل: (أهن الفاسق) أو (اطع أباك وأمك) فعندما تقول: (أهن الفاسق) فقد علِّقَت الحكم الذي هو (أهن)، على (الفاسق)، وبمناسبة الحكم والموضوع نعرف أن (الفسق) هو تمام الملاك، والمقياس، والمدار، لـ(أهن) ولو تنزلنا فلا ريب أنه يدل على أنه هو (المقتضي) على الاقل، وكذلك نعرف أنَّ (الأبوة) و(الأمومة) هما الملاك والسبب للحكم بـ(أطِع).

وبذلك يتضح وجه الاستدلال في الآية الشريفة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾؛ إذ لو سألت: لماذا يجب أن أكون مع أئمة الهدى (عليهم الصلاة وأزكى السلام)؟ فستكتشف الجواب من تعليق الحكم وهو: ﴿وَكُونُواْ﴾ على الوصف وهو: ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ فتدبر جيداً.

و(الصادقون) بقولٍ مطلق هم ـ كما سبق ـ: (الصادقون مع الله)، و:(الصادقون مع أنفسهم)، و:(الصادقون مع الناس) أيضا، وذلك في كل الأمكنة، وكل الأزمنة، وكل الحالات..

وهنالك حديث آخر حول مفردة وكلمة: ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ سنذكره لاحقاً، إن شاء الله تعالى.

وكما أشرنا إلى بعض الحديث ـ سابقاً حيث استظهرنا ـ أن الألف واللام هنا هي ألف ولام (العهد الذكري) لأن الله ﷻ عرَّف ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في آيات أخرى، منها، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾.(1)

إذن، الله سبحانه ههنا عرَّف ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، وقال تعالى في آية أخرى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ فمن هم هؤلاء؟

إنهم هم ﴿ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ الذين عرفهم في الآية الأخرى ـ وقد أسلفنا الحديث عن ذٰلك سابقاً ـ.

ثم نسأل: لماذا يجب أن نكون مع الصادق؟

والجواب: لأنه (صادق) فتعليق الحُكم على الوصف مُشعرٌ بالعلية، بل دليل على العلية، وذلك حسب مناسبة الحكم والموضوع، وحسب الإرتكاز والفهم العرفي في مثل الآية الشريفة.

المحطة الثالثة:

مثلث: الإيمان، التقوى، الكون مع ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾

نقطة التوقف الأخرى في هٰذه الآية القرآنية الكريمة، هي: إن هٰذه الآية تشير إلى مثلث ذي ثلاثة أضلاع، ضلع منه (الإيمان)، وضلع منه

(1) الحجرات: ١٥.

(التقوى)، والضلع الآخر هو: (الكون مع الصادقين).. هٰذه الثلاثة يُكمِّل بعضها بعضاً، بل أنها متسلسلة ومتلاحقة في حلقات ثلاثة:

العلاقة بين تلك الاضلاع الثلاثة

المرحلة الأولى: ما يتعلق بالجوانح

وذلك هو ما يستفاد من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، فإن (الإيمان) يتعلق بالجوانح، أي بالقلب، والقلب هو الذي يؤمن بالله ﷻ، وبرسله، وبالأوصياء، وبأحكامه، وتشريعاته، أو لا يؤمن، فإذن الإيمان يتعلق بالقلب والجوانح والباطن..

المرحلة الثانية: ما يتعلق بالجوارح

وذلك هو الذي نستلهمه من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، فبعينك ـ وأقصد ذٰلك الإنسان البعيد، وإلا فالحضور أجلّ شأناً من ذٰلك ـ لا تنظر إلى امرأة أجنبية؛ «**فإن النظرة سهم من سهام إبليس مسموم**»[1] ـ اتق الله بالعين، وباللسان كي لا يغتاب، ولا يتهم، ولا ينمّ.. وباليد فلا تضرب بها الطفل، أو الزوجة ظلماً وعدواناً ـ والعياذ بالله ـ، وما أكثر الظلم والعدوان.. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وتوقوا معاصيه جل اسمه، والتي ترتبط بالجوارح من (لامسة) ومن (ذائقة)، فلا تتذوق لُقمة حرام، أو (سامعة)، أو (باصرة)، أو (شامَّة) وذلك كشخص يمر في مكان توجد فيه امرأة أجنبية، فيستشم عطرها ويتلذذ به، إن ذٰلك خلاف تقوى الله تعالى..

---

(١) الكافي الشريف للشيخ الكليني: ج٥، ص٥٥٩، كتاب النكاح باب النوادر ح١٢ عن الإمام الصادق عليه السلام

إذن: الضلع الأول، يتعلق بالجوانح، والضلع الثاني، يتعلق بالجوارح، وقد بدأ الله ﷻ من القلب، ثم ثنّى بالجوارح، ثم انتقل للدائرة الأوسع التي هي المجتمع..

المرحلة الثالثة: ما يتعلق بالمجتمع

وهو الذي تعلق به الأمر الإلهي الواضح، إذ قال سبحانه: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ فإن الإنسان اجتماعي بطبعه وفطرته، لكن عليه أن يحدّد موقعه الاجتماعي، ففي أية جبهة يكون؟

وتحت راية أي قيادة؟

إن الله ﷻ يحدد ذٰلك بوضوح؛ إذ يقول: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾..

إذن، هٰذه الثلاثة متسلسلة؛ (قلب)، ثم (جارحة)، ثم (مجتمع وقيادة)، ويشير إليها كلها قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾..

(المرجعية) المطلقة لـ ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ لا لـ(السلاطين)

فالمرجعية إذن هي للصادقين، وليست للسلاطين والأمراء والملوك، ومن بيدهم السلطة أو الثروة أو الجاه والنفوذ، وما أشبه ذلك.

(المرجعية) هي للإمام الصادق (عليه الصلاة وأزكى السلام) وليست للمنصور وأشباه المنصور، والحجاج وأشباه الحجاج؛ وصدام وأشباه صدام..

(المرجعية) هي للصادقين الذين أمر الله بإتباعهم، إذ يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، المرجعية لهؤلاء فقط ولا غير.. وهذا يعني أن (المرجعية السياسية) هي للإمام الصادق وسائر ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ (عليهم صلوات المصلين) وليست للمنصور

وأشباه المنصور من الظالمين والكاذبين، وكذلك (المرجعية الإدارية) و(المرجعية الفكرية) و(المرجعية العقدية) هي للصادقين، وليست للفاسقين، وليست للظلمة وليست للجائرين.. هٰذه هي المرجعية الحقيقية الإلهية..

وهذا يعني: أن (القرارات) ينبغي أن تؤخذ من ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، وأن (الأموال) يجب أن تجبى إلى ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، وإن (أزمة الامور) كلها يجب أن تكون بإيديهم.

وإننا لما كنا قد بدأنا البحث الماضي بمناسبة ولادة الإمام الصادق (عليه الصلاة وأزكى السلام)، لذا طبَّقنا هٰذه الآية على الإمام الصادق (عليه صلوات الله وسلامه) باعتباره «صلوات الله عليه» احد أئمة أهل البيت (عليهم الصلاة وأزكى السلام).

وأذكر لكم قصة ذات دلالة بالغة، ثم سننتقل إلى آية ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ ولنكتشف ـ بإذن الله تعالى ـ ارتباطها الجوهري والعضوي بآية ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾..

الإمام الصادق عليه السلام وحقد المنصور وبذاءته

وصلت إلى المنصور تقارير، جاء فيها: أن الإمام الصادق عليه السلام تُجبى له الأموال من العراق[1]، كما وصلت له تقارير تقول: بأن الإمام الصادق (عليه الصلاة وأزكى السلام) لكلمته نفوذ، وله حكومة على القلوب، وله سلطة على الأبدان فيما تيسر...

(١) وهذا ـ جباية الأموال ـ له دلالة خطيرة عند هؤلاء الطغاة، لأنهم يدعون أن لهم الزعامة الدينية والدنيوية...

ومن الواضح أن الطاغي الجبّار والمستبد لا يتحمل ذلك، فكان أن غضب أشد الغضب وغلا مرجل حقده وغيظه، فأرسل بعض جلاوزته وعُتاته إلى الإمام الصادق (عليه سلام الله) من الكوفة، إلى المدينة، وأمرهم بأن يحضروا الإمام (عليه الصلاة وأزكى السلام) مُتعباً- تصوروا: أنه لم يكن مُجرَّد استدعاء وإحضار عادي، بل أمرهم بأن يُركبوه -روحي له الفداء- الفرس مثلاً، ويُجدّوا به السّيْر ويتعبوه في المسير، ويغلظوا عليه في ذٰلك بأن يكون الجواد بغير غطاء، أو سرج أو ما أشبه ذلك.. والمسافة من المدينة إلى الكوفة هي مسيرة أيام - فأُحضر الإمام الصادق (عليه سلام الله) بتلك الحالة مُتعبا منهكاً - تصوروا حجة الله، وولي الله، وهو من الذين أمرنا الله ﷻ بإطاعتهم وبأن نكون معهم، يعامل معه بهذه الطريقة القاسية الهمجية؟! حقاً أن ذٰلك من هوان الدنيا على الله أن يحضر الإمام بهذه الطريقة (في مجلس فاسق فاجر)!!

ثم نجد المنصور يهاجم الإمام الصادق (سلام الله عليه) بكلمة نابية لا تليق إلا به هو، ويقول له: (يا عدوَّ الله).. ويا لفداحة الخطب وهول المقام!!.

تصوروا جرأة هٰذا الفاجر الجائر، وهو يخاطب حجة الله على الأرض؛ وتطاوله على الله ورسوله وأولياوئه، حيث يخاطب سليل الأنبياء بـ(يا عدو الله)!! كما قال فرعون عن موسى (عليه الصلاة وأزكى السلام): ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾.[1]

إن أولئك الفراعنة والطغاة، هم أعداء الله، وهم مراكز الفساد، ومنشؤه ومنبعه ومصدره ومبدأه ومنتهاه.. فيا للجرأة.. ويا للوقاحة..

(١) غافر: ٢٦.

هل كفر المنصور بقوله: (تلحد في سلطاني)؟

لقد تطاول المنصور العباسي على حجة الله وسبط رسول الله، صادق أهل البيت (صلوات الله عليهم)، الإمام الصادق عليه السلام وقال له: (أي عدو الله بلغني أنك تجبى إليك أموال العراق، أو الزكوات من العراق، وتلحد في سلطاني).

وذلك يعني أنه يوجه تهمتين ـ بمنطقه ـ للإمام الصادق (عليه سلام الله): تهمة اقتصادية وأخرى سياسية، فإن: (تلحد في سلطاني..) يعني بها: أن السلطان سلطاني! فكيف تكون قراراتك نافذة على الكثير الكثير من الناس من أتباعك وأوليائك وفي شتى البلاد؟!

إن المشكلة هي هاهنا بالضبط.. وهي أن الله سبحانه وتعالى يصرح بأن (المرجعية) إنما هي للصادقين، بقوله تعالى: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، وبقوله: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ ـ كما سيأتي بعد قليل ـ لكن الطغاة يرونه (سلطانهم) ويجدون في أي نفوذ كلمة للصادقين (إلحاداً في سلطانهم) وذلك يعني في جوهره الكفر بالله العظيم؛ إذ السلطان سلطان الله وقد امر بإتباع الصادقين أولياء الله وخلفائه، ثم نجد (الطاغي) ينكر ذلك بأقواله وبأفعاله أيضاً!!

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[١]، وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾.[٢]

---

(١) المائدة: ٤٤.

(٢) النساء: ٦٥.

المحطة الرابعة:

الترابط الجوهري بين آية (الولاية العظمى) وآية ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾

هي تتضمن مسألة عقدية هامة جداً ترتبط بصميم مباحثنا هذه، وهي أن كثيراً من أهل السنة ـ ويا لغرابة ذٰلك ـ يُفسرون تلك الآية الواضحة الدلالة على المقصود، بتفسير بيّن البطلان، يُخالف العقل، والنقل، والذوق، والإدراك المبدئي.. قال تعالى: في (آية الولاية): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾.(١)

إنهم يقولون: إنه تعالى يريد بقوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾: (الحاكم)، و(الملك) و(السلطان) و(الرئيس) حتى إذا كان فاسقاً، ويعللونه بعلل مختلفة واضحة البطلان.. لا يرضى بها العقل السليم، ولا الذوق المستقيم، ولا الشرع القويم، ولا الضمير اليقظ أو الوجدان النقي المتعظ.

ثم كيف يقرن الله إطاعته ـ وهو الحق ـ وطاعة رسوله ـ وهو الهدى ـ بطاعة حاكم فاسق جائر ضال باطل مبطل؟!

ثم كيف يأمر الله ﷻ، بأن تكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ من جهة، ومن جهة ثانية يأمرك بأن تكون (مع الفاسقين) في أهم ما يريده الفاسق منك وهو الإطاعة، والامتثال والإتباع في نقضه لحدود الله سبحانه، ومحاربته لتعاليمه، ومناهجه، وقيمه ومقارعته لخلفائه وأوليائه؟!

ولكننا نفسر: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ بتفسير مطابق للعقل، ولسائر الآيات، وللروايات، وللذوق، وللشعور، وللوجدان.. نقول: إن

(١) النساء: ٥٩.

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ يعني: (الذين ملّكهم الله أمركم) يعني ﴿الصَّادِقِينَ﴾.

تأملوا (التجانس) بين الآيتين الكريمتين، بل (التطابق) فإنه واضح جداً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

إن القرآن يفسر بعضه بعضاً..، و(أن تكون مع الصادقين) أجلى مصداقه: أن تطيع أمرهم؛ إذ من البديهي أن المرء إذا ذهب مع (صادق) من الصادقين، وكان معه ظاهرياً وفي مكان واحد جغرافياً، لكنه لم يسمع كلامه، بل عاداه أو خالفه وكابر.. فهل يصدق على هٰذا أنه (مع الصادق)؟!

كلا.. ثم كلا.. إنه بوضوح ليس مع الصادق.. ولو ادعى ذٰلك فإنه (كاذب) دون ريب.

ونؤكد مرة أخرى: أن القرآن يُفسِّر بعضه بعضاً، فهل يُعقل أن الله تعالى يقول: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، ثم يقول: أطع أمر الفاسقين والكاذبين؟!

لا يعقل ذٰلك أبداً؛ فإنّ ذٰلك نقض للغرض، وهدم للكلام والمبنى، وإضاعة وتفويت للمصالح الواقعية البالغة، وإيقاع في المفسدة والتهلكة، تعالى الله من ذٰلك علواً كبيراً..

إذن، تفسيرنا للآية الشريفة: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ يتجانس بل يتطابق مع تلك الآية القرآنية الكريمة، فـ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ يعني الإمام علي بن أبي طالب (عليهما الصلاة وأزكى السلام)، وأبنائه الأطهار المنتجبين الأبرار، وصولاً إلى المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف..

فـ:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، يُعدّ الإطار العام، وهو الأمر الصريح بالكون مع الصادقين، ثم إن الله تعالى يبين

في تلك الآية الأخرى إحدى مقتضَيات أن تكون مع الصادقين، وهو: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ فلو أطعت الرسول فأنا مع الرسول إذن، ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ فلو أطعت الرسول فأنا مع أولي الأمر إذن أنا ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

والحاصل: إن المرجعية هي للصادقين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.. وأن من مفردات مرجعية ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (اطاعتهم) والالتزام بأوامرهم لكونهم: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

مثلث: الإيمان، والتقوى، و﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾

وهنا نعود لنتمَّ الحديث عن المثلث، هٰذا الثلاثي الأضلاع، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، والإيمان ضلع.. ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ والتقوى ضلع آخر.. ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ هو الضلع الثالث..

وقد أوضحنا بأن العلاقة بين هٰذه الأضلاع الثلاثة هي بهذا النمط: حيث أن هناك (قلباً) يتعلق به الإيمان ويلفه، ويغمره عطرُه ونوره.. وهنالك (جوارح) ينبغي أن تتقي الله سبحانه وتعالى، وأن يوضع عليها غطاء، ويوضع لها حد لا تتجاوزه إلى معاصي الله ومساخطه.. ثم هنالك أيضاً (علاقة مع الغير) لها أطر ومسار ومسير.. وهناك إضافات أخرى عديدة في هٰذا الحقل، نتركها لوقتٍ آخر، إذا شاء الله تعالى..

المحطة الخامسة:

استنباط حكمين شرعيين وحكم عقدي

وننتقل فيها إلى نقطة أخرى هي في غاية الأهمية حول هٰذه الآية القرآنية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، إذ نقول:

إنه يُستفاد من آية ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ثلاثة أحكام ومسائل شرعية وعقدية، وسنُوضح النقطة الثالثة أكثر، وسنترك النقطتين الأوليين إذا شاء الله للمستقبل..

لا للرهبانية

النقطة الأولى: لا للرهبانية؛ فإن الآية يُستفاد منها: أن لا رهبانية في الإسلام؛ إذ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، فلا رهبانية واعتزال وانعزال، بل مصاحبة ومجاورة ومعاونة ومؤازرة لـ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾[1] وذلك يعني أنه لا يحق للمؤمن أن يذهب إلى جبل، أو يأوي إلى مغارة، أو إلى صومعة ويلبس المسوح ـ مثلاً ـ ويترك ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، ويترك قادة المجتمع، إنه لا حق له بذلك أبداً، هٰذا أولاً.

كما لا عزلة عن المجتمع وقضايا الأمة ثانياً، وهذه هي النقطة الثانية:

لا للعزلة

النقطة الثانية: لا للعزلة؛ والاستفادة الثانية من الآية القرآنية الكريمة، هي: أن لا عزلة للمؤمن؛ فينبغي أن لا يعتزل المؤمن الناس بقول مطلق فيجلس في قعر البيت متذرعاً بأنه (ما له شغل بما جرى، وبما يجري على الأمة)، بل عليه أن يكون في المجتمع سائراً على نهج ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، فيدافع عن قيمهم، وعن مبادئهم، وعن أشخاصهم، وعن منهجهم في الحياة، وعن مشاهدهم المشرَّفة أيضاً، لا أن تكون سامراء هٰكذا مُهملة، أو يكون البقيع هٰكذا مُهدَّماً، وأنا ساكت لا أحرك ساكناً، كلا.. ليس ذٰلك من صفات المؤمن أبدً.

---

(١) الحديد: ٢٧.

والحاصل: إنه (لا عزلة جغرافية) كما (لاعزلة اجتماعية أو عملية أو علمية) فـ(العزلة) هي (أعم) من (الرهبانية) بالعموم والخصوص المطلق.

ولهاتين المسألتين بحث واسع فليترك لمظانه.

لا غنى عن أئمة الهُدى

النقطة الثالثة: لا غنى عن أئمة الهُدى؛ ولا استغناء عن أئمة الحق وأوصياء الرسول وخلفائه (عليهم الصلاة وأزكى السلام)، أي أنه لا غنى عن ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ وهل يمكن للإنسان أن يستغني عن ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾؟!

الآية الكريمة تفيد: أنه كلا، ليس لك ذٰلك الحق إذ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، فمقتضى الإيمان أن تكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، في السياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق، وفي المنزل والمدرسة والجامعة، والشركة والسوق والمتجر، وفي العلم وفي العمل، بل حتى في الكيمياء والفيزياء، وفي الفلك، وعلم طبقات الأرض، وفي الطب والهندسة و.. لو أبدوا رأياً أو نهجوا نهجاً في تلك الأبعاد والمناحي وغيرها، وذلك يعني أن نكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في كافة مناحي الحياة، كيف لا، والله تعالى يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ فلا يحق للإنسان مهما كان موقعه، وبأية درجة كانت منزلته، وفي أي بعد من الأبعاد كان حقله وتخصصه، فيلسوفاً كان متكلماً، طبيباً كان أم مهندساً، سياسياً كان أم اقتصادياً أم عسكرياً.. لا يحق له أن يبتعد عن ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، وعن منهج ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، وعن تعاليم ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، وعن أوامرهم، ونواهيهم، وإرشاداتهم..

ثم إنه حيث لا يمكن العمل بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، إلا بمعرفتهم، وجب على من لا يعرفهم أن

يبحث عنهم وعن (منهج ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾) وأن يستكشفه ليكون معهم، فإن ما لا يحصل الواجب إلا به، واجب عقلاً مطلقاً، وشرعاً على القول بوجوب المقدمة، بل إن (المعرفة) في الشؤون الإعتقادية واجب نفسي كما لا يخفى..

(منهج الصادقين) و(منهج الفلاسفة)

وفي مقابل منهج ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ توجد هناك مناهج أخرى، ومن تلك المناهج منهج (السلاطين) ـ كما سبق ـ؛ ومن تلك المناهج أيضاً منهج (العرفاء)، كما أن من تلك المناهج منهج (المتصوفة)، ومن تلك المناهج منهج (الفلاسفة)..

فـ:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، لا مع الفلاسفة، ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ لا مع العرفاء، ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ لا مع الصوفية..

خط الأنبياء هو الخط المضاد لخط الفلاسفة ولا يلتقيان ابداً

إن أدنى تتبع وملاحظة، يستكشف المرء أنه على مرِّ التاريخ كان (منهج الفلاسفة) في جانب وجهة ومسيرة ومسار، وكان يجمع الكافر والمؤمن، واليهودي والمسيحي والمسلم والمجوسي وعابد الصنم وغيرهم، وكان في الجانب الآخر وفي الجهة الأخرى، منهج الأنبياء (عليهم الصلاة وأزكى السلام)، والذي كان على النقيض تماماً من الكافر وعابد الصنم، وبالضد للمسيحي واليهودي والمجوسي حسب أديانهم المحرفة.[1]

---

(١) بل أن منهج الأنبياء كان بالضد من الاستمرار على الإلتزام بالدين السابق بحذافيره، بعد بعثة النبي اللاحق.

وبعبارة أخرى: من الواضح أن منهج الانبياء عليهم السلام هو (بشرط لا) ومنهج الفلاسفة هو: (لا بشرط).

فـ(الفلاسفة) من هٰذه الجهة أشبه بـ(البهائية) الذين يرون أنهم (الجامع) بين كل الأديان، بل بين الأديان وغيرها، ويقولون: كل الأديان طرق إلى الله، وهي صحيحة!!

وبعبارة أخرى: يمكن أن يكون المرء فيلسوفاً ـ يؤمن بالعقول العشرة، أو بقاعدة الواحد لا يصدر منه إلا الواحد وغير ذٰلك ـ ويكون في الوقت نفسه مسلماً أو مشركاً أو عابد الصنم، لكنه لا يمكن أن يكون على خط الأنبياء ويكون في الوقت نفسه مشركاً أو عابد صنم أو ما أشبه.

من أدلة ابتعاد الفلسفة عن الكتاب والعترة

والغريب ـ ونتوقف هنا قليلاً ـ أننا عندما نطالع كتب الفلسفة نرى:

أ ـ كتب الفلسفة غالباً تبتعد ابتعاداً منهجياً غريباً عن الكتاب والعترة..

لاحظوا، مثلاً «منظومة» السبزواري، وهو كتاب فلسفي شهير جداً، ولاحظوا «نهاية الحكمة» وهو كتاب فلسفي شهير أيضاً، ويمكن أن يكون الكثير قد دَرَس هذين الكتابين أو درّسهما، وستكتشفون أمراً غريباً جداً ومؤلماً...

اليوم كنتُ أتثبّت من هٰذه المعلومة، فأخذتُ كتاب «نهاية الحكمة» لأرى في هٰذا الكتاب الفلسفي الذي يتطرق للحديث عن الله، أي عن المبدأ، وباصطلاحهم يتحدث عن: الموجود بما هو موجود، ويتحدث عن الصانع تعالى، عن علمه، عن قدرته، عن حياته، عن تكلمه، عن أفعاله.. وإلى آخر البحوث..

إذن، هٰذا الكتاب يتكلم مباشرة عن الله تبارك وتعالى، وعن صفاته كالعلم، والعدل، وما أشبه ذلك.. ولكن الغريب ـ حقيقةً ـ أن هٰذا الكتاب: ﴿ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ تماماً، وابتعد عن الاستدلال بالقرآن، والاستشهاد به، والاستناد إليه، والإسترشاد به، والاستضاءة بنوره وهديه تماماً، حتى أنك لا تجد ربما حتى آية واحدة أو آيتين في هٰذا الكتاب؟!

هل هٰذا معقول؟!.

وماذا يعني ذلك؟!

وذلك رغم كثرة الآيات القرآنية العقلية البرهانية والفطرية، التي تعطي أدق وأصوب الآراء و(أحسن الحديث)، ثم تجد الفيلسوف يترك حديث الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، عن ذاته وصفاته، ليتشبث بحديث فلان فيلسوف مسلم، أو مشرك عن الله وصفاته!!

كما أنكم ربما لا تعثرون على (رواية أو روايتين) في هٰذا الكتاب..!!

إن الله تعالى يقول: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ لا مع الفلاسفة، وأنا استقرأتُ استقراءً شبه تام، ولعله توجد إشارة لآية أو آيتين فقط.. والحال أنه ـ كما ذكرت ـ توجد هنالك آيات قرآنية كثيرة، جرى الحديث فيها حول الله، وصفاته وأفعاله، ومن المتحدث؟ إنه الله تعالى الذي يتكلم في القرآن الكريم، ويحدثنا عن ذاته وصفاته بأدق وأوضح عبارة، لكن هٰذا الكتاب والكثير من أشباهه من كتب الفلاسفة، لا تجد فيه حضوراً كثيفاً لآيات القرآن الحكيم، بل ولا حضوراً متواضعاً ضعيفاً، بل لعله لا يوجد حضور أصلاً!!

ماذا يعني ذلك؟!

ب- والغريب -كذلك- أنني تتبعتُ أيضاً في الفهرس عن (الأسماء) - أي أسماء الأعلام والفطاحل الذين يستشهد بهم - ومَنْ هم المذكورون في هٰذا الكتاب؟ فوجدت أن ابن سينا مذكور، والفارابي له حضور، وكذا بهمنيار والرازي و..، بل حتى أسماء فلاسفة اليونان وغيرهم قد جرى ذكرهم مراراً عديدة مثل (أرسطو) و(أفلاطون) و(ذيمقراطيس) و(فرفوريوس) و(تاليس الملطي) وغيرهم، ولكن اسم الإمام الصادقعليه السلام في هٰذا الكتاب غير موجود!! فهل الإمام الصادق (صلوات الله عليه) ليس له حديث حول اللهتبارك وتعالى؟! لا يوجد لديه حديث حول المبدأ، حول المعاد؟!

لماذا لا يوجد اسم الإمام الصادق (سلام الله عليه)؟!

ولماذا لا يوجد اسم هشام بن الحكم؟! وهشام بن الحكم عنده أحاديث كلامية وفلسفية جداً كثيرة، وحوارات، اسم هشام بن الحكم غير موجود، ولا اسم إمام من الأئمة، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ولا تلامذة الأئمة؟!

ج- والغريب أيضاً أنني راجعتُ (المصادر)؛ «الإشارات» تجده مذكوراً إلى ما شاء الله، كتاب «الأسفار» تشاهد اسمه ربما في ثلاثين إلى أربعين موضعاً، هنالك نقل عن «الأسفار»، لكن هل يوجد قول من «نهج البلاغة» أو «نهج الفصاحة»،

أو «تحف العقول عن آل الرسول» أو «الإحتجاج» أو «الكافي» الشريف؟

كلا.. ويا للغرابة!!

أَلَمْ يأمر الله جل اسمه بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾؛ إن هنالك في «نهج البلاغة» أحاديث علمية مُركَّزة

إلى أبعد الحدود، بل يعد أهم مصدر في الحديث عن الله سبحانه وتعالى وعن صفاته، بعد القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم.. اسم «نهج البلاغة» غير موجود، اسم «وسائل الشيعة» غير موجود، أسماء كتبنا الحديثية الأربعة الشهيرة غير موجودة..

أما اسم «الإشارات»، و«الشفاء» لابن سينا، و«الأسفار» و«التحصيل» و«شوارق الإلهام»، وما أشبه من هذه المصادر والكتب، فإنك تجدها هي المصدر، وعليها المعوّل!!..

فـ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، يعني: أن مقتضى إيمانك أن تأخذ (عقيدتك) من القرآن ومن ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في أهم بحث من البحوث، وهي التي تتحدث عن الله وصفاته وأفعاله، وقد امتلأ القرآن بآيات التوحيد ولوازمه،وهذا عدا عن أقوال الأئمة (عليهم الصلاة وأزكى السلام).

والآن لنتساءل: هل أن هٰذا الفيلسوف وأشباهه، لم يعلم بوجود براهين فطرية وعقلية في القرآن الكريم على وجود الله سبحانه وتعالى، وعلى علمه، وعلى عدله، وغير ذلك؛ لذلك أعرض عن الاستشهاد بالقرآن الكريم والاستناد إليه؟!

د ـ والغريب ـ أيضاً وكمثال ـ ان بحث (القضاء والقدر) يأخذونه من «الفلاسفة»، مع أن (القضاء والقدر) قد ذكرا في القرآن كراراً وتكراراً: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[١]، و:﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾[٢]، و:﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾[٣]، وبمعانيه

(١)آل عمران: ٤٧.
(٢)الأحزاب: ٣٦.
(٣)فصلت: ١٢.

المختلفة وفي آيات عديدة، ومنها أيضاً و:﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾[١]، و:﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[٢] وغيرها.

وحول «القدر» قال تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾[٣]، و:﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[٤]، و﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[٥]، و:﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾[٦]، وغير ذٰلك، وهناك مجموعة أخرى من الآيات في القضاء والقدر راجعوها، بعضها أريد به المعنى المقصود..

لقد تكلم هٰذا الفيلسوف عن رأي فلان ما هو، ورأي فلان الآخر ما هو، أما كلام القرآن فلا يوجد!! أما رأي الإمام الصادق عليه السلام فلا يوجد!!

غريب حقاً أن القرآن الكريم وكلمات ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وهما (الحجة) دون ريب، يتركان، ثم كتاب ذٰلك الفيلسوف الذي اعتزل الكتاب والعترة، يقوم هٰذا وذاك بدراستها وتدريسها والتعليق عليها وشرحها بل والتعبد بها، وكأنها (الطريق) إلى الجنة!!

لكن هٰذا الطريق، هو الطريق الذي يخالف منهج الأنبياء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وقد ذكرتُ لكم فيما سبق برهاناً عينياً، فراجعوا كتاب «نهاية الحكمة»، وعلى القاعدة فإن «بداية الحكمة» هو كذلك، وراجعوا «منظومة السبزواري» أيضاً..

---

(١) الإسراء: ٤.
(٢) الإسراء: ٢٣.
(٣) طه: ٤٠.
(٤) الاعلى: ٣.
(٥) الحجر: ٦٠.
(٦) يس: ٣٩.

ثم أنه لا يجدي نفعاً لو استكشف الإنسان آية أو آيات، أو رواية أو روايات في بعض الكتب الفلسفية الأخرى؛ إذ الكلام في عموم المنهجية والبنية العامة، وهل ذٰلك إلا كمن ينقل آراء أمثال فرعون ونمرود وهامان والحجاج وصدام، ويترك ذكر آراء وكلمات الأنبياء إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (صلوات الله عليهم)، كما يترك ذكر كلمات الأئمة: الباقر والصادق وغيرهما (عليهم صلوات الله) وكبار علماء أهل البيت ومراجع التقليد إلا نادراً؟!

وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها

العلامة الطباطبائي يشهد بـ(أجنبية) الفلسفة عن الدين

وبعد ذٰلك نأتي إلى، ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾[1] وهذا لطيف جداً، فإن نفس مؤلف «نهاية الحكمة» و«بداية الحكمة» وهو فيلسوف، ومفسر؛ يعترفُ بما ذكرناه في كتابه المشهور «الميزان في تفسير القرآن»، في المجلد الخامس الصفحة (٢٤٢) من هٰذه الطبعة التي عندي، في تفسير سورة المائدة الآية (١٥ إلى ١٩).. ماذا يقول؟

إنه يُصرِّح بالذي ذكرناه، وهو فيلسوف وليس كلامياً، ومع ذٰلك يعترف، ويقول: طريق الأنبياء هو في جهة وناحية، وطريقنا نحن الفلاسفة هو في جهة وناحية أخرى، ولا يلتقيان.. الفيلسوف نفسه يُصرح، وسيرته في كتابه أيضاً شاهد على كلامه ولله الحمد ـ وهذا لطف من الله، لأن الله يُريد أن يُتمَّ علينا الحجة، حيث يبين أن طريق الفلاسفة ليس طريقي ـ.

---

(١) يوسف: ٢٦.

لو فُرض أن فيلسوفاً حاول أن يُطعِّم كتابه بآيات من القرآن الكريم، فإنه سيكون واضحاً للعيان أن هٰذا (تطعيم) فقط، وليس القرآن الكريم هو أصل هٰذا العلم وأساسه، بل لا نجد محاولة قوية جادة في هٰذا الحقل.

ولذا مع أن هٰذا الفيلسوف هو أيضاً مُفسر، لكنه عندما يصل إلى الفلسفة لا يتجه جهة القرآن أبداً، ولا يستند حتى إلى آية واحدة إلا إشارة، وذلك على الرغم من أنه مفسر!! يعني أنه يعرف هٰذا العلم، لا أنه غريب عنه؛ إذ يمكن لفيلسوف لا يعرف القرآن الكريم، أن يقول: لم أكن مطلعاً على القرآن لأستشهد بآياته وأستند إليها، كما استندت إلى آراء كل من هب ودب من الفلاسفة، وكل مشرك وغير مشرك منهم، ولكن هٰذا الرجل فيلسوف ومفسر!! ونحن لا نتكلم عن هٰذا (الشخص)، بما هو شخص، بل نتكلم عن (منهج) هٰذا الشخص، وعن موضوع كتابه، وأن (الفلسفة ضلال).

والآن لنقرأ معاً شيئاً من كلام هٰذا الفيلسوف حيث يقول ـ في جملة كلمات له في هٰذا الكتاب: (فهذه طرق ثلاثة في البحث عن الحقائق، والكشف عنها:

* **(الظواهر الدينية)**: وهذا هو طريق الأنبياء، والقرآن، والعترة.. كما يظهر من تصريحاته السابقة واللاحقة ـ وسيأتي بعضها ـ وكما عليه عامة فقهاء الشيعة قديما وحديثاً من حجية ظواهر الكتاب والسنة، وإننا لو تركنا الظواهر لما بقي من الدين شيء؛ إذ (النص) نادر.[1]

---

(١)وأما الأخباريون، وهم أقلية بل لعلهم ندرة، فإنهم يرون حجية ظواهر السنة، وأما ظواهر الكتاب فيرون حجيتها بعد عرضها على السنة؛ لاحتمال تخصيص أو تقييد أو قرينة فيها، لا أنهم يسقطونها عن الحجية نهائياً، وحتى بعد ملاحظة الروايات، إذن الاجماع على حجية الظواهر الدينية في مرجعيتها النهائية.

* **(وطريق البحث العقلي)**.. وهو الفلسفة..

* **(وطريق تصفية النفس)**.. وهو العرفان..

(أخذ بكل منها طائفة من المسلمين)[1].. يعني أن الفقهاء سلكوا مسلك الظواهر الدينية، والفلاسفة اتبعوا طريقة البحث العقلي، والعرفاء قالوا بتصفية النفس، (على ما بين الطوائف الثلاثة من التنازع، والتدافع، وجميعهم في ذلك كزوايا المثلث كلما زدت في مقدار واحدة) ـ فإن رحتَ نحو الظواهر الدينية، ومنهج الأنبياء نقَّصتَ من الفلسفة، والعكس بالعكس (نقَّصت من الأخريين وبالعكس).. إلى آخر كلامه.. والآن نصل إلى تصريحه اللاحق.. قال:

(ولذلك رام جمعٌ من العلماء) ـ لأنهم رأوا أنه لا يمكن للفلسفة أن تكون بدون ظهير من الكتاب والسنة، إذن لابد أن نعقد صلحاً بين الفلسفة ومنهج الأنبياء، لكن الصلح لا يمكن، كما سيأتي ـ (ولذلك رام جمع من العلماء بما عندهم من بضاعة العلم على اختلاف مشاربهم؛ أن يوفِّقوا بين الظواهر الدينية، والعرفان كابن العربي، وعبد الرزاق الكاشاني، وآخرون: أن يوفقوا بين (الفلسفة) و(العرفان) كأبي نصر الفارابي، والشيخ السهروردي صاحب الإشراق، والشيخ صائن الدين محمد تركه وآخرون أن يوفقوا بين (الظواهر الدينية) و(الفلسفة) كالقاضي سعيد وغيره، وآخرون أن يوفقوا بين الجميع، أي الظواهر الدينية والفلسفة والعرفان..

---

(١)سيتضح أن التناقض بين هذه الطرق الثلاثة إنما هو بما هي طرق للعرفاء والفلاسفة والأنبياء، أي أن (الفلسفة) و(العرفان) تناقضان (ظواهر الدين) ولا تناقض بين أصل البحث العقلي وتصفية النفس أو تزكيتها في الأطار الذي حدده الشارع؛ ولذا نجد العلامة في استمرار كلامه يحول الحديث إلى: (أن يوفقوا بين الظواهر الدينية والعرفان... الخ).

(كابن سينا في تفاسيره، وكتبه، وصدر المتألهين الشيرازي في كتبه ورسائله، وعدة ممن تأخر عنه).

وهنا نجد أن العلامة الطباطبائي يبدي رأيه، وجدانه يتكلم، فطرته تتكلم، عندما تحرر من أسر الفلسفة وسلطانها، فجرى الحق على لسانه، وعلى بَنانه، فلاحظوا تصريحه الواضح: (ومع ذٰلك كله فالاختلاف العريق على حاله لا تزيد كثرة المساعي في قطع أصله إلا شدة في التعرق، ولا في إخماد ناره إلا اشتعالاً، ألفيت كل تميمة لا تنفع[1]، وأنت لا ترى أهل كل فن من هٰذه الفنون إلا وترمي غيره بجهالة، أو زندقة أو سفاهة رأي والعامة تتبرأ منهم جميعاً كل ذٰلك لـمّا) ـلاحظوا هٰذا التصريح الآخر اللطيف ـ (لمّا تخلفت الأمة في أول يوم عن دعوة الكتاب إلى التفكر الاجتماعي، ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[2] والكلام ذو شجون)[3].

طبعاً كان من اللازم أن يكون التعبير أدق، أي أن يقول: (كل ذٰلك لـمّا تخلفت الأمة عن دعوة الكتاب إلى الاعتصام بحبل الله) لا أن يقول: (عن دعوة الكتاب إلى التفكر الاجتماعي)؛ لأنه استشهد بقوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ إن الله تعالى يقول: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾، فلماذا يعتصمون بحبل (الفلسفة)؟!

وكشاهد واقعي واضح على ذٰلك، إنكم لا تجدون في «نهاية الحكمة» أثراً ولا ذكراً ولا استناداً ولا استشهاداً بالآيات القرآنية الكريمة،

---

(١) هذا عجز بيت من الشعر، وصدره:

وإذا المنية أنشبت أظفارها

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ج٥، ص٢٤٢ـ٢٤٣، في تفسير الآيات ١٥ـ١٩ من سورة المائدة.

وما أكثرها حول المبدأ تعالى، وحول عدله سبحانه، وحول قدرته ﷻ، وما أشبه ذلك.. فهل هٰذا اعتصام بحبل الله؟!

والحاصل: أن الله تعالى قد أوضح لنا المقياس وحدد لنا الإتجاه، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، لا مع السلاطين، لا مع الفلاسفة، لا مع العرفاء[1]، وأضرابهم فأنهم منشأ الضلال، والإضلال، والفساد والإفساد.

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم لكي نكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ حقاً وصدقاً إنه سميع الدعاء...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١)والجدير بالذكر، أن المقصود بالعارف المعنى المصطلح المعهود من أمثال: ابن عربي وصدر المتألهين من الذين ذهبوا إلى وحدة الوجود أو الموجود وأشباه ذلك من المباني العرفانية.
ولا نقصد بالعرفاء المعنى اللغوي، أي العارف بالله وبالرسول وبأهل البيت عليهم السلام وكثيراً ما أوقع أتباع (العرفاء الضالين) البسطاء في شباكهم بإيهامهم أنهم هم العرفاء بالله وبأهل البيت، وأننا نقصد بالعرفان ذلك!! وذلك كالذين يدعون أنهم (الموحدون) حقاً؛ ولذا يحرمون التبرك بالمشاهد المشرفة والسجود على التربة، لأنها شرك! أو الذين يدعون أنهم أهل السنة والجماعة والحال أنهم أهل البدعة والفرقة، فراجع «النص والاجتهاد» و«ليالي بيشاور» و«المراجعات» لتعرف جانباً من تلك البدع ومن تفرقهم عن الحق.



[٢]

ماذا يعني أن نكون (مع) الصادقين؟

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين بارئ الخلائق أجمعين باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً

واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[1]

أبعاد ودلالات (المعية) للصادقين

سيدور الحديث ويتمحور ـ بإذن الله ﷻ ـ حول كلمة ﴿مَعَ﴾ في هٰذه الآية القرآنية الكريمة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، فإن (المعية) قد تكون معية في الفكر، وقد تكون معية في الذِّكر، وقد تكون معيَّة في النَّصر والنُصرة، وهي معيَّة (جوارحية)، كما أنها معيَّة (جوانحية)..

والمأمور به في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ هو جميع أنوع المعية؛ إذ يجب أن يكون المؤمن مع ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في فكره وذكره وأذكاره، كما يجب أن يكون مع ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في أقواله وكلماته، كما عليه أيضاً أن يكون مع ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في أفعاله ونصرته لهم.. أي أن يكون معهم بجوانحه، وجوارحه، بما ظهر منها، وما بطن..

ولنتوقف قليلاً عند بعض الحديث عن هٰذه (المعيَّة) في هٰذه الآية القرآنية الكريمة..

١. العلاقة الترابطية في عالم التكوين

هناك ـ كما تعلمون ـ قاعدة في علم الأصول، تتحدث عن (الأقل والأكثر الارتباطيين)، كما تتحدث عن (الأقل والأكثر الاستقلاليين)، وسنوسِّع دائرة المفهوم الأول؛ إذ يحصره الأصولي ـ عادة ـ في دائرة

(١) التوبة: ١١٩.

ضيقة محددة، لأنها هي التي تهم الأصولي بما هو أصولي، إلا أن حديثنا في هٰذه الآية القرآنية الكريمة وفي كلمة (مع) وحول هٰذه الكلمة القرآنية الشريفة، سيكون في (الارتباطية) بمعناها الأوسع، والأشمل، والأتمِّ، والأكمل..

فنقول: إن الكون كله بُنِيَ على (الارتباطية): (عالم التكوين) بُني على التكامل، والتجانس، والتأثير، والتأثر، والفعل، والانفعال، والأخذ، والعطاء المتقابلين.. كما أن (عالم التشريع) بُني على ذٰلك كله..

في (عالم التكوين) نحن نلاحظ؛ أن الكون بأكمله قائم على الارتباطية، وعلى الترابط التكويني العضوي الجوهري بين شتى أجزائه، وجزئياته:

أ. مرض (الأنيميا) من الشواهد:

على سبيل المثال: فلاحظ الأوكسجين الذي يُحيط بنا من كل الجهات، فما هي العلاقة التي تربط هٰذا الموجود اللامرئي والحيوي جداً، برئة الإنسان، وبالدم، وبمخ العظام، وبالبشرة التي تغطي الجسد بأكمله؟

وإليكم إشارة واحدة فقط إلى جانب من جوانب هٰذا البُعد التكويني التكاملي المترابط..

هناك مرض مشهور يُسمى مرض (الأنيميا)، أو (فقر الدم)، هٰذا المرض المُجهد، الذي ابتلي به الكثير من الرجال والنساء خاصَّة في هٰذا العصر. هٰذا المرض من عوارضه الإجهاد، والإرهاق، والخمول.. ولذا فإن المبتلى به يُحسُّ بحاجة شديدة إلى النوم، ومن عوارضه أيضاً شحوب البشرة، كما أن من عوارضه: فقدان (التركيز) الذي يكون العالم والمفكر

بأحوج ما يكون إليه، ومن عوارضه: العصبية أيضاً، والهُزال.. إلى غير ذٰلك من العوارض التي تنجم عن هٰذا المرض..

لكن ما هو السبب في ذلك؟ السبب في ذٰلك هو أن (مخ العظام) هو الذي يولِّد الخلايا الدموية، (مخ العظام) هو الذي يصنع الخلايا الدموية، والتي تتشكل من الكريات الحمراء والبيضاء والصُّفيحات.. فالكريات الحمراء تحمل الأوكسجين معها من الرئة إلى كافة خلايا البدن، ولولا هٰذا الأوكسجين الذي يصل إلى كافة خلايا البدن لما استطاعت الخلايا أن تولِّد الطاقة، التي بها يتحرك الإنسان، وبها يتكلم، وحتى بها يسمع أو يُبصر..

فإذن هناك علاقة تكاملية وترابطية بين مخ العظام، وبين قدرتي على الحديث، وبين قدرتي على الاستماع، بل وقدرة الإنسان على التفكير.. هٰذه العلاقة بين (مخ العظام)، وبين (الطاقة) تمرُّ عبر الأوكسجين، وعبر الخلايا الحمراء، وعبر تلك الحركة المنطلقة من الرئتين إلى الخلايا حاملةً معها الأوكسجين، وراجعة بثاني أكسيد الكربون..

فالعلاقة علاقة تكاملية، وإذا حدث أدنى خلل في إحدى هٰذه المراحل، ومراحل وسيطة أخرى لم نتعرض لها، فإن البدن يختلُّ نظامه، ويُصاب فيما يصاب بمرض (الأنيميا)..

وذلك يعدّ شاهد صدق على أن: عالم التكوين كعالم التشريع بُني على الارتباطية..

ب. العلاقة بين الأرض والقمر

كذلك هناك ترابطاً جوهرياً بين الأشياء في عالم الطبيعة، لاحظوا، مثلاً: العلاقة بين الأرض والقمر، فإن هناك علاقة تكاملية بينهما، لولا القمر لما كان هناك مدٌّ وجزر، ولما كانت هناك رياح، بل لما كانت هناك

حياة، والقمر بدوره يحتاج إلى الأرض، فإن الأرض تربطها بالقمر علاقة تكاملية من الطرفين، فإن الأرض بما أنها ذات ثقل أكبر تجلب إليها القمر فهناك قوة جاذبة، لو كانت بمفردها لجذبت القمر بسرعة هائلة ليندك بها إندكاكاً، إلا أنه في المقابل هناك قوة طاردة تنبع من حركة القمر بسرعة محددة، والتوازن بين هاتين القوتين الجاذبة والطاردة، يُبقي القمر في مساره الطبيعي حول الأرض..

هٰذا في عالم التكوين...

٢. العلاقة الترابطية في عالم التشريع

أما في عالم التشريع، فلعل أوضح مثال لذلك هو ما يذكره الأصوليون، وهو مثال (الصلاة) فإن الصلاة من الحقائق الارتباطية أو المترابطة الأجزاء، ولكم أن تتصوروا إنساناً يُصلي صلاة كاملة إلا من (الركوع) وذلك بأن يتعمّد أو يغفل فيترك الركوع.. فإن صلاته حينئذٍ باطلة؛ لأنها حقيقة ترابطية.. فإذا (تعمد) ترك جزء ـ ركناً كان أو غيره ـ فصلاته باطلة، وإذا (غفل) عن فعل ركن فصلاته باطلة أيضاً، مع أن الركوع والسجود لهما قيمة ذاتية في حدِّ ذاتهما؛ فإن (الركوع) ـ كالسجود ـ في حدِّ ذاته (مُستحب نفسي)، ولكنه في ضمن الصلاة (واجب ارتباطي) فهو له استحباب نفسي لكنه في ضمن الصلاة يوجد هناك وجوبٌ منبسط عليه وعلى غيره، فله وجوب ارتباطي..

٣. (الترابطية) في (المجتمع البشري): في (الجيش) و(الشركات) و(الحوزات) و..

وكما يوجد في (عالم التشريع) و(عالم الطبيعة) تكامل، هنالك ارتباطية كذلك في (المجتمع البشري) أيضاً، كذلك هنالك تكامل وهناك

ارتباطية، فإن (الجيش) مثلاً، يرتبط بعضه ببعض ارتباطاً عضوياً، و(الشركات) كذلك؛ إذ الشركة لابد لها من مدير، لابد لها من محاسب مالي و..، فإذا لم يكن فيها محاسب مالي فإن نظام الصادر والوارد في الشركة سيختل، فتنهار عند أدنى مشكلة اقتصادية؛ وكذلك فإن (الشركة) تحتاج إلى مسؤول تسويق وهكذا وهلم جراً..

إذن، هناك ارتباطية بين هٰذه الحقائق المختلفة وبين المسؤولين المتنوعين..

كذلك ـ في مثال آخر ـ: (الحوزة العلمية) و(الجامعة)، فإن الحوزة قائمة بالطلاب وبالأساتذة أيضاً، فإذا كانت هناك حوزة بدون طلاب فهل هٰذه حوزة، أو كان لدينا مجرد أساتذة فقط، هل هٰذه حوزة؟!

ولنذكر لكم حادثة طريفة: فإن أحد أساتذتنا وكنا ندرس عنده (رحمة الله عليه) «المكاسب» و«الكفاية»، كان يقول: في أيام الشباب ـ أي قبل ثمانين سنة أو أقل أو أكثر، وكان من المُجدِّين في دراسته ـ كُنَّا نذهب لمركز الحوزة العلمية مشياً على الأقدام من منزلنا، وكان منزلنا في مكان ناءٍ، وأحياناً في الشتاء كان الثلج يهطل بغزارة على الأرض، وكنا نخرج أول الصبح الساعة السابعة مثلاً، ونمشي إلى مكان الدرس بحيطة وحذر وصعوبة، وأحياناً كنا نتزحلق وتسقط لأن الأرض تكون زلقة، والأحذية لم تكن مُسلحة ومُحصنة ومعدّة لذلك الظرف الشتائي..

يقول: كُنا بجهد جهيد نُوصل أنفسنا للمسجد للدراسة، وإذا حصل في يوم من الأيام صدفة أن يغيب الأستاذ عن الدرس، كُنا نفرح لذلك!! رغم أننا بجهد جهيد عانينا للوصول إلى المدرسة، إلا أن غياب الأستاذ كان يعني فرصة راحة استثنائية في ضمن ضغط الدروس اليومية المتواصلة.. وهذه القصة ذكرناها للطافتها، حيث تصور علاقة الأستاذ

بالتلميذ، وأن التلامذة بدون أساتذة، أو الأساتذة بلا تلامذة يعني (صفراً على الشمال) في معادلة (الحوزة) أو (المدرسة)، وإن كان لكل منهما قيمة في حد ذاته لكن في إطار المدرسة أو الحوزة أو الجامعة، فإن علاقة الأساتذة بالطلاب هي علاقة ترابطية.

فهناك إذن، ترابطية في المجتمع في الحوزات، وفي المؤسسات، وفي الشركات وغير ذلك..

وهنالك ترابطية في (التشريع)، و(الصلاة) كما سبق تجسد مثالاً واضحاً للترابط بين أجزاء المركب الواحد

الترابط بين الحقائق

وأحياناً يكون الترابط بين حقيقة، وحقيقة أخرى، وذلك مثل الخمس والصلاة، فإن (حقيقة الصلاة) أمر، و(حقيقة الخمس) شيء آخر، لكن هنالك ترابط بين (الخمس) وبين (الصلاة)، فإذا صلى في ثوب تعلق بعينه الخمس ولم يخمس؛ فهل صلاته تقبل أو لا تقبل؟

لا تقبل صلاته، إذن: هناك ترابط بين الخمس، وبين الصلاة.

وكذا لو توضأ شخص بماء مغصوب فإن صلاته ستكون عندئذ باطلة لبطلان وضوئه.

إذن، هنالك ترابط بين حقيقة تشريعية، أو أمر تشريعي معين، وبين صحة حقيقة تشريعية أخرى..

الترابط بين عالمي الأفعال والأشخاص

ولنتأمل مرة أخرى كلمة ﴿مَعَ﴾ في هٰذه الآية الكريمة، والعمق الموجود فيها والشمولية، ومن زاوية أخرى، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، فإن:

١. الترابطية -أحياناً- تكون في (عالم الأفعال)، بأن يكون بين فعل وفعل آخر نوع من الترابط.

٢. وقد تكون الترابطية أو الارتباطية في (عالم الأفراد) بين شخص وشخص آخر- وهذا النقطة نوضحها لاحقاً إن شاء الله تعالى-.

٣. وقد تكون الترابطية بين العالمين: (عالم الأشخاص)، و(عالم الأفعال) وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.[1]

العلاقة بين (آدم وإبليس) تمر عبر (السجود):

فإن العلاقة بين (آدم)، وبين (إبليس) كان ينبغي أن تمرَّ عبر (فعل مُعيَّن) هو السجود ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾ الملائكة خضعوا لهذه العلاقة الترابطية فكانوا مُفلحين، إلا أن الشيطان رفض هٰذا الترابط بين (الفعل) من جهة وبين (شخصه) و(شخص آخر) من جهة أخرى، وأصر على أن لا تمرّ علاقته مع آدم من هٰذا المجرى الذي هو السجود: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فما كان مصير إبليس؟ الطرد من رحمة الله سبحانه وتعالى.. لماذا؟ لرفضه العمل عبر تلك العلاقة الترابطية.

---

(١) البقرة: ٣٤.

ترابطية الدفاع عن (البقيع) والدفاع عن (سامراء)

فهناك ـ إذن ـ علاقة ترابطية بين (الأشخاص) وبين (الأفعال)، وقد أشرنا ـفي سبق ـ إلى الترابطية في (عالم الأفعال)، وإليكم الآن هٰذا المثال الموضّح للعلاقة الترابطية بين (الأفعال) و(الأفعال) أيضاً؛ فإنه: إذا تصدَّى شخص للدفاع عن (سامراء) فهل يكفيه ذلك؟ كلا.. ثم كلا..ـ ونحن بعد أيام سنشرف على ذكرى ترتبط بالإمام الحسن العسكري (عليه الصلاة وأزكى السلام) لماذا؟ لأن هناك علاقة ترابطية بين الدفاع عن (سامراء)، وبين الدفاع عن (البقيع)، فلو أن شخصاً، أو جهة، أو مجموعة، أو دولة، تصدت لإعمار (سامراء) فهل يغنيها ذلك، وهل يرفع عنها مسؤولية إعمار (البقيع)؟ كلا؛ ذٰلك أن هناك علاقة ترابطية بين هذين العملين، والفعلين، فلو قَصَّرَ هنالك فإنه معاقب، وذلك مثل (القلعة) و(الحصن) فإن الواحد منا لو أغلق تسعة وتسعين باباً ولكن بقي الباب رقم مئة مفتوحاً، فإنه لم يصنع شيئاً؛ لأن الغرض النهائي وهو (الوقاية) من دخول العدو و(الحصانة والتحصين) لم يحصل؛ لأنه لم يسد الأبواب بأجمعها.. فإن إغلاق كل تلك الأبواب حقيقة ترابطية واحدة وإن تكثرت الأبواب.

الإيمان بالأنبياء والأوصياء حقيقة ترابطية

وذلك كله يوضح (العلاقة التكاملية) و(الترابطية) في قضية ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ المأمور بالكون معهم في الآية الشريفة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ فلو كان الإنسان مع صادق دون صادق آخر، فإنه لم يصنع شيئاً، وذلك كشخص يؤمن بالإمام السجاد (عليه الصلاة وأزكى السلام)، وينكر الإمام الباقر (عليه من الله الصلاة والسلام)، أو يؤمن بالإمام الكاظم (صلوات الله وسلامه عليه) أي حتى

الإمام الكاظم ولكنه يقف عنده، أو يؤمن بالأئمة حتى الإمام العسكري (سلام الله عليه وصلواته) ويقف عنده، فإنه لم يصنع شيئاً؛ ذٰلك أن هناك علاقة ترابطية بين الإيمان بأي رسول من الرسل والإيمان بسائر الرُسُل، والإيمان والدفاع والذود عن أيّ معصوم، وعن معصوم آخر أيضاً..

هذه العلاقة هي علاقة تكاملية لا يرضى الله منا بسواها على الإطلاق، والإيمان بالبعض دون البعض، يعتبر في ميزانه، ﷻ، كالعدم المحض.

لاحظوا قول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ﴾.[1]

هل يقبل الله هٰذا (البعض) من العمل؟

كلا.. ثم كلا... اذ أن هنالك علاقة ترابطية تكاملية في الجوهر والعمق.. أنها علاقة عضوية لا تقبل الحلول الوسط وأنصاف الحلول.

﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[2] فلا حل وسط بين الإيمان وبين الكفر، لا يمكن أن نؤمن بموسى ولا نؤمن بعيسى (على نبينا وآله وعليهما من الله الصلاة والسلام)، أو بالعكس، أو نؤمن بالإمام السجاد ولا نؤمن بمَنْ يلحقه من الأئمة الأطهار (عليهم صلوات الملك الجبار).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾[3] إنهم أخذوا شيئاً من الإيمان، وتركوا البعض الآخر، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ لعله لأنهم خلطوا الكفر بالدجل، فان الكافر صريح إذ يقول: أنا لا أقبل الأنبياء بأجمعهم، ولكن (المبعِّض) و(المفرِّق) دجال؛ لأنه خلط الكفر

---

(١)النساء :١٥٠.

(٢) النساء : ١٥٠.

(٣)النساء : ١٥١.

بالإيمان، ولأنه زوّر عمله بدجل فكري أيضاً ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ هو الحل الوسط وأنصاف الحلول ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾، ونجد في الإتجاه المقابل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.(١)

فهناك (علاقة ترابطية) ليس فقط بين أجزاء الصلاة ونظائرها من المُركبات الارتباطية؛ بل توجد علاقة ترابطية أيضاً بين (الإيمان) بإمام و(الإيمان) بإمام، أو رسول، أو وصي آخر (عليهم أجمعين الصلاة والسلام).

كما أن هنالك علاقة ترابطية بين (نُصرة) إمام، و(نُصرة) إمام آخر، فلو نصر إماماً وخذل آخر، فإنه لم يصنع شيئاً، وهكذا وهلمَّ جراً..

فالعلاقة إذن هي: علاقة تكاملية ترابطية متماسكة.

أهل البيت عليهم السلام لهم المرجعية

إن أهل البيت (عليهم سلام الله) لهم المرجعية: السياسية والاقتصادية، كما الفقهية والأصولية، ولو أن شخصاً اعتبر اهل البيت (عليهم الصلاة وأزكى السلام) (المرجع) في الأصول والفقه.. وقد بنى حياته على ذلك، كما هو دأب الحوزات العلمية ولله الحمد؛ إذ إننا في (الفقه والأصول) نلتزم بمرجعية الآيات الكريمة، والروايات الشريفة، ونقضي من العمر في استنباط الأصول والأحكام منهما خمسين سنة أو أقل أو أكثر، لكنه ـ كشخص أو تنظيم أو مؤسسة أو دولة ـ لم يعتبرهم (المرجع) في الفلسفة، والكلام، أو في السياسة والاقتصاد

---

(١) النساء: ١٥٢.

والإدارة والحقوق وفقه الدولة مثلاً، فإن كلما تحدثنا عنه سابقاً سينطبق عليه؛ لأنه فرّق في (المَعيَّة)، وفي (المنهجية)، وفي (الكون مع الصادقين)، بين كونه معهم في جهة من الجهات، وكونه لا معهم بل مع غيرهم في جهة أخرى من الجهات، على عكس أمره تعالى الشامل المطلق بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾..

وهذا الأمر الإلهي، يعني أن عليك أن تكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في فكرك، وفي عقيدتك وسلوكك، وفي سياستك واقتصادك، كما كان عليك أن تكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في فقهك، وأصولك.

ولذلك ترون (الأصوليين)، ولأنهم متعبِّدون بالشرع، عندما لم يعثروا على رواية قديماً، استندوا في بحث (الاستصحاب) إلى العقل، ولكن بمجرد أن اكتشف والد الشيخ البهائي قُدِّسَ سِرُّهُمَا بعض الروايات ـ كصحاح زرارة الثلاثة ـ في الاستصحاب، نجد: أن غير واحد من (الأصوليين) فجأة عدلوا من الاستناد إلى العقل، إلى الاستناد إليها بالدرجة الأولى، على الرغم من تمامية دليل العقل في المقام وصحته، ولكنهم جعلوه دليلاً آخر لاحقاً على النقل، واستندوا إلى هٰذه الصحاح الثلاثة لزرارة وغيرها، وبحثوا عن إطلاقها ومدى شمولها ـ مثلاً ـ للشك في (المقتضي) أيضاً، وعدم إطلاقها، وانصرافها وعدمه، وهل أنها شاملة لقاعدة (اليقين) أم لا؟ إلى غير ذلك..

هل (الفلسفة) مبنية على الكتاب والسنة؟

والحاصل: إنه يجب على الإنسان أن يكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في فقهه، وفي فلسفته، وفي أصوله، وفي كلامه، وفي غير ذلك..

وعليه أن يكون معهم بجوانحه وجوارحه، وإلا لم يكن من الذين التزموا وأطاعوا هٰذا الأمر الارتباطي الإلهي.

وقد ذكرنا من قبل وقلنا: بأن الكثير من الكتب الفلسفية هٰذه لم تعتمد على الكتاب المجيد ولا على السنة، وقد سألني بعض الأعلام: هل من الضروري ذلك، أي أن تبتني الفلسفة ـ مثلاً ـ على الكتاب والسنة؛ إذ أليس علم الهندسة على سبيل المثال لم يبتنِ على الكتاب والسنة، فهل تعد هٰذه مثلبة له؟

والجواب على ذٰلك بايجاز: إن (الرياضيات)، أو (الجيولوجيا)، لم تُبنَ على القرآن والسنة؛ لأن مادة الحديث القرآني الأساسية الأولى هي نفس الموضوعات التي تناولها علماء الفلسفة والكلام، لكن القرآن الكريم ليس له حديث موسع ـ حسب الظاهر ـ حول الرياضيات، أو الهندسة أو الجيولوجيا، وإن كان في جوهره، وبدلالاته الأخرى غير المطابقية، والتضمنية، كالدلالة الالتزامية بأقسامها من دلالة الإشارة، ودلالة التنبيه والايماء، ودلالة الاقتضاء، وغير ذٰلك من الدلالات يدل على كل شيء لأنه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[1]، ولكن من الناحية الظاهرية لا يوجد هنالك شيء صريح أو شيء مفصل عن ذٰلك كله.

فالفرق بين (الرياضيات) وبين (الفلسفة) هو أن مادة بحث الفلسفة، هي المادة العقدية.. وهي المسائل الأولى والأساسية التي تحدث عنها القرآن الكريم، والسُنَّةُ المُطهَّرة، أي هي رسالة الأنبياء الأولى والأساسية، دون علم كالهندسة أو الفلك مثلاً.[2]

---

(١)النحل: ٨٩

(٢)ومن الضروري أن نضيف: إن العلوم الأخرى كالطب والفلك والجيولوجيا أيضاً، كان ينبغي ـ أيضاً ـ أن تستقي من الكتاب والسنة، وكان على العلماء أن ينقبوا ويحققوا عن كل ما ورد في القرآن الكريم أو السنة المطهرة، ودل بإحدى الدلالات على مطلب علمي، فان ذلك إضافة إلى كونه نوع أحياء للكتاب والسنة ونوع إكرام وتقدير واحترام، فانه خدمة للبشرية لأنه كان سيطوّر

أليس من الغريب أن الله ﷻ يتحدث عن نفسه وصفاته وأفعاله، ثم إننا نترك حديثه ونعرض عنه، ونذهب لفلان فيلسوف لنتعرف على الله تعالى عن طريقه؟!

أو نستدل على وجود الله تعالى بقول الفيلسوف، ونترك قوله تعالى وبراهينه وأدلته؟!

وكدليل على ذٰلك، يمكنكم ـ مثلاً ـ مراجعة «شُبهة ابن كمونة» المذكورة في الأسفار وغيره، والذي يعبِّرون عنه بـ(افتخار الشياطين)..[1] وعلى الرغم من أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه سلام الله) له جواب دقيق، عميق وشافٍ وافٍ، عن هٰذه الشُّبهة وحتى قبل أن تطرح تلك الشبهة، ولكنك لا تجد في الكتب الفلسفية المتداولة ـ حسب علمي ـ أحداً يتطرق إطلاقاً إلى جواب الأمير (صلوات الله عليه) عن تلك الشبهة، ويذهب ليستجدي الأجوبة من فلان فيلسوف مشائي، أو إشراقي.

وإن الأمثلة على ذٰلك كثيرة، وسنستعرض عدداً منها في وقت آخر، إذا شاء الله سبحانه..

العلوم بشكل لا يصدق، إلا أن المشكلة إن أزمة الأمور العلمية وغيرها بيد الغربي أو الشرقي البعيد عن الكتاب والسنة، وان الأمور عندما كانت بأيدي المسلمين تجاهلوا ـ غالباً ـ الكتاب والسنة حتى في مثل ذلك، ولعل السبب الأساسي في ذلك كان تسلّم حكومات ظالمة كالأمويين والعباسيين والعثمانيين زمام الحكم، وهم الذين لم تكن تهمهم إلا سلطاتهم وشهواتهم، فأين هم عن إحياء علوم القرآن الكريم؟! ولو فعل نادر منهم شيئاً من ذلك فلأنه رأى فيه في ظرف معين تدعيماً لسلطانه وسلطاته ولا غير.

(١) الأسفار لصدر الدين الشيرازي :ج٢ ص١٣٢ ،بحث : وحدة واجب الوجود ..

الإمام الصادق عليه السلام وبرهان «الفجوة»

الإمام الصادق عليه السلام يطرح برهان «الفجوة» كدليل على وحدانية الله تبارك وتعالى، وحسب استقرائي الناقص في عدد من كتب الفلسفة، فإنه لا ذِكر لهذا البرهان رغم أهميته ودقته، وأنه موجود في أمهات مصادرنا المتوفرة والموجودة في متناول الأيدي، فما الذي يبرر أن يتركه الفيلسوف ليذهب ليبحث له عن أدلة من هنا وهناك وهنالك، ويستدل على وحدانية الله بغير ذلك، أو لو استدل فإنه ينسبه لآخرين غير أئمة الهدى (عليهم صلوات الله وسلامه).

إن القرآن الكريم يستدل على وحدانية الله تعالى؛ اذ يقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1] هٰذا البرهان ليس موجوداً في ما رأيته من الكتب الفلسفية، والكتب المتداولة التي تُدرَّس لا نجد في بعضها على الأقل حديثاً عن هٰذا البرهان القرآني..

كما أن الله سبحانه يستدل على وجوده، ببرهان نفي الشك الفطري؛ اذ يقول ـ على لسان رسله ـ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.[2]

فهو جل اسمه، يستدل أحياناً ببرهان (الفطرة)، وأحياناً يستدل بالبراهين (العقلية)، ثم نجد الفلاسفة أو كثيراً منهم يتركون ما استدل به الله تبارك وتعالى وما تحدث به عن ذاته المقدسة، وصفاته، وأفعاله، ونذهب لنستجدي (الأدلة) من هنا وهنالك..!!

هل نحن والحال هٰذه مع ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾؟!

(١) الأنبياء: ٢٢.

(٢) إبراهيم: ١٠.

هل نحن مع الله عندئذ؟!

هل هٰذا الإنسان مع الله عندئذ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾؟!

بين (الصادقين) وبين العرفاء الشامخين!

شيخ العرفاء يُضاد (القرآن الكريم) في عرفانه!

ومثال آخر: إن ما يؤسف له حقيقة ـ والتعبير بيُؤسف له تعبير جداً متواضع؛ إذ انها فاجعة وأية فاجعة! ـ هو أن شخصاً يُضادُّ القرآن الكريم مباشرة، وبصريح العبارات، ويرفع راية سوداء في مقابل (الذكر المبين)، هٰذا الشخص تعتبره بعض الكتب الفلسفية مثل «الأسفار»، وغيره «شيخ العُرفاء الشامخين».. هٰذا الشخص الذي يتكلم بصراحة ضد (نصوص) القرآن الكريم، وعلى النقيض من الآيات التي هي نصٌّ مُحكم، وليس في مقابل ظواهر الآيات فقط..

إنه (محي الدين بن عربي).. هذا الذي ينسف عُرى الدِّين نسفاً، عروة عروة، ومع ذٰلك يعتبرون هٰذا الشخص قِدِيساً، ويصير هو (المرجع) الأكبر لهم، وأما (الصادقون) فيُتركون وشأنهم!..

وإليكم بعض الشواهد والأدلة السريعة على ذلك:

١. فرعون ليس فيه شيئ من الخبث!!

الآن نسألكم عن (فرعون)، فما رأيكم في فرعون؟ هل من مُتدين على وجه الأرض ـ إلا الجاهل المطلق أو السفيه ـ يعتبر فرعون إنساناً مؤمناً؟! إن الجاهل المحض فقط، أو القادم من بعض الجبال النائية، أو من مجاهيل غابات الآمازون ـ مثلاً ـ أو من لا يملك عقلاً سليماً،

هو الذي يمكن أن يعتبر أمثال: صدام والحجاج وهتلر، أفراداً صالحين مؤمنين أخياراً.

و(فرعون) كان قد جمع الشرور والآثام والإفساد في الأرض من جانب، إلى دعوى الألوهية من جانب آخر، فإن (صدام) ما ادعى الألوهية، والحجاج كذلك لم يدّع الألوهية، ولا النبوة، ولكن فرعون ادعى: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[1]، وهو إلى ذٰلك كان مجرماً سفاحاً إلى أبعد الحدود: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.[2]

إن الآيات الشريفة حول فرعون، وضد فرعون والتي تدينه، وتلعنه، وتصفه بأسوء صفات الطغاة الجبارين والعصاة الماردين، وكلكم أو أكثركم تحفظون كلها أو بعضها على الأقل كلها آيات صريحة وواضحة ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

و: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.[3]

و: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾.[4]

و: ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾[5] إنه يتهجم على نبي الله العظيم بهذه التهمة البديهية البطلان، كما يصفه الله تعالى بأنه طغى:

---

(١) النازعات: ٢٤.
(٢) القصص: ٤.
(٣) يونس: ٨٣.
(٤) هود: ٩٧-٩٩.
(٥) الإسراء: ١٠١.

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[1] لكنه لم يتذكر ولم يخشَ، والآية القرآنية الأخرى:

و: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾[2] إن ذٰلك كله يعدّ من البديهيات ومن أوليات وأبجديات الدِّين، في آيات أخرى كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ﴾.[3]

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾[4]، أي في خسار، والآية القرآنية الأخرى: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾[5]، أي أليماً شديداً ثم بعد ذٰلك هٰذه الآية تتكلم عن خاتمته: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾..

والآن نأتي لـ(محي الدين بن عربي) في كتابه «فصوص الحكم» حيث نجده يُصرّح على النقيض من القرآن الكريم مباشرة، وبكل وقاحة، وبهتك غريب لحريم أوضح المقدسات؛ فهل مثل هٰذا الشخص يعقل أن يصير (مرجعاً أساسياً) في بعض الكتب الفلسفية؟! ويصير (شيخ العرفاء الشامخين)، وهل يوجد مبرر من عقل أو شرع أو وجدان لبعض المشاهير كي يُقدسه، ويُثني عليه، ويُدافع عنه، ويُروِّج كتبه؟!.

وإليكم نص عبارة ابن عربي في «فصوص الحكم» عن (فرعون) إذ يصرح: بـ (فقبضه طاهراً مطهراً ليس فيه شي من الخبث، لأنه قبضه عند إيمانه، قبل أن يكسب شيئاً من الآثام، والإسلام يجب ما قبله، وجعله آية على عنايته لمن يشاء حتى لا ييأس أحد من رحمة الله، فإنه لا ييأس

(١) طه: ٤٤.
(٢) طه: ٧٩.
(٣) القصص: ٨.
(٤) غافر: ٣٧.
(٥) المزمل: ١٦.

من رحمة الله إلا القوم الكافرون، فلو كان فرعون ممن ييأس من رحمة الله ما بادر إلى الإيمان)[١] في مخالفة صريحة لكل الآيات الذامة لفرعون، قال تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾[٢] و: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ و: ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾. وكل الأدلة القرآنية والحديثية والعقلية، الدالة على أن الإيمان عند بلوغ الروح التراقي، مما لا يقبله الله.

٢. (موسى عليه السلام) قرة عين لفرعون

هذا هو كتاب «فصوص الحكم» احصلوا عليه من أي مكتبة شئتم، واقرؤوا ماذا يقول أيضاً عن (فرعون)، ففي «الفص الموسوي»، يقول عن فرعون مستشهداً بالآية الشريفة:: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ﴾[٣]: (فبه[٤] قرَّت عينُها بالكمال، الذي حصل لها كما قلنا)، و(كان[٥] قرَّة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق، فقبضه[٦] طاهراً مطهّراً ليس فيه شيء من الخُبث)[٧]..

وهذا هو نص عبارة (محي الدين بن عربي) في «الفصوص» في مقابل صريح القرآن الكريم الذي قرأنا بعض آياته الكريمة، ثم بعد ذٰلك يصير هٰذا الشخص قديساً؟!

---

(١)فصوص الحكم، الفص الموسوي، وهو الرقم ٢٥.

(٢)هود: ٩٨.

(٣)القصص: ٩.

(٤)أي موسى عليه السلام.

(٥)أي موسى عليه السلام.

(٦)أي فرعون.

(٧)فصوص الحكم(الفص الموسوي) رقم ٢٥ ص١٣٤ من طبعة دار صادر.

هذا معناه أن (البعض) والعياذ بالله ليس ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ حتى بالمقدار الذي يقوم فيه بالترويج للكتاب الفلسفي الذي اسمه «الأسفار»، الذي يروِّج فيه لابن عربي وأشباهه أشد الترويج، أو ذٰلك الكتاب المسمى بـ«نهاية الحكمة» أو أشباههما.

هكذا يقول هٰذا المنحرف: (لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئاً من الآثام والإسلام يجبُّ ما قبله)، فالقرآن الكريم، والآيات الشريفة الصريحة، أين صارت؟!

إنه يتركها ويتمسك برواية «الإسلام يجب ما قبله» وهي مرتبطة في صريح لفظها بـ«الإسلام» وليس الكلام في هٰذه الرواية عن الأديان الأخرى، وإلا لقال (الدين ـ أي دين كان ـ يجب ما قبله) ثم إنه يطبقها تطبيقاً ضد القرآن الكريم، إذ لو فرض أن الرواية صحيحة السند، ولو فرض أنها شاملة للأديان الأخرى، ولو فرض ثالثاً أنها شاملة حتى للكافر الذي يسلم لحظات الاحتضار وعند بلوغ الروح التراقي، فانها لا تشمل فرعون قطعاً؛ للنص القرآني، وللضرورة الدينية على أنه من أهل النار، كما سبقت الإشارة لبعض الآيات، وذلك لوضوح أنه كاذب في إيمانه هذا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾[2]

ولكم أن تلاحظوا تصريحات ابن عربي الأخرى حول فرعون..

وحقيقة أن الإنسان يستغرب كيف أن أمثال هٰذا الرجل من الضُلال، يُصبحون أئمة وسادة وأعلاماً في مجتمعاتنا، والمفروض أن تكون قمّة في الالتزام بشرائع الدين وملتفة حول ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ولا غير؟!

---

(١) الأنعام: ٢٨.
(٢) يونس: ٩١.

٣. ويدافع عن ربوبية فرعون!!

والغريب حقاً، أن ابن عربي يشرح، قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، ويعتبرها دعوى صحيحة!![1]

وفي عبارات أخرى صريحة يُصرح «بوحدة الوجود»، ومنها قوله: (فَصَحَّ قوله: أنا ربكم الأعلى، وإن كان عين الحق فالصورة لفرعون)[2] أي الظاهر فرعون، لكن الباطن هو الله، لأن هٰذا الرجل يقول بوحدة الوجود، ففرعون عين الله (فصَحَّ قوله أنا ربكم الأعلى)؛ وإن كان عين الحق، فالصورة لفرعون، فقطّع الأيدي والأرجل وصلب بعين حقٍ في صورة باطل لنيل مراتب لا تنال إلا بذلك الفعل)[3]، وما تبريره لجرائم فرعون، وقوله: أن تقطيعه للأيدي والأرجل (بعين حقٍ في صورة باطل)! أي أن جريمته هٰذه هي عين الحق، لكن الصورة صورة باطل والناس تتوهمه باطلاً!

ثم الأغرب تبريره الآخر للجريمة: (لنيل مراتب لا تنال إلا بذلك الفعل)!

وما أسوأ هٰذا التبرير سلاحاً بيد كل الجبابرة والطغاة، وأمثال الحجاج وهتلر وصدام لتعذيب الناس بصنوف العذاب (لنيل مراتب لا تنال إلا بذلك الفعل)! ولاحظوا التصريح الغريب الآخر لابن عربي حيث يقول: (فآمن) أي فرعون ـ وعلى خلاف صريح القرآن الكريم.

---

(١) يقول: (لذلك قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ وان كان الكل أربابا بنسبةٍ.... ولما علمت السحرة صدقه فيما قاله لم ينكروه واقروا له بذلك) ص ١٤٠.

(٢) الفص الموسوي: ص١٤٠.

(٣) المصدر.

٤. وفرعون من أهل الجنة!

وهذا هو نص عبارة ابن عربي حيث قال: (فآمن بالذي آمنت به بنو إسرائيل على التيقن بالنجاة، فكان كما تيقن، لكن على غير الصورة التي أراد فنجَّاه الله من عذاب الآخرة في نفسه).[١]

وهو خلاف صريح القرآن ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾، وليس: زففناه للجنة! بل: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾.

إن القرآن الكريم يُصرِّح بنجاته ببدنه فقط ليكون آية لغيره، لكن الرجل يجتهد في مقابل النص، ويُصير (القديس)! ـ عند البعض ـ قال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾، ولم يقل جل اسمه ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ ﴾ بقول مطلق، ولا قال (فاليوم ننجيك بروحك وبدنك) بل خص النجاة بالبدن: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾.[٢]

ويقول ابن عربي: (فقد عمَّتهُ النجاة حساً ومعنى) ـ وها هو يؤكد ضلالاته، لأنه يرى أن المتدينين يعتقدون أن فرعون وأشباهه ضالون من أهل النار، فيرى أن عليه أن يؤكد أنهم من أهل الجنة! ثم هو (قديس)!! ـ وبعد ذلك يقول: (ومن حقت عليه كلمة العذاب الأخروي لا يؤمن، ولو جاءته كل آية حتى يروا العذاب الأليم، أي يذوقوا العذاب الأخروي، فخرج فرعون من هذا الصنف)[٣]!! يعني الذين يعذبون العذاب الأخروي!!

(ثم إنا نقول بعد ذلك) لاحظوا كيف يهدم كل الأسس العقلية والمقاييس، بل يستهزأ بكل المتدينين والعلماء على مرِّ التاريخ، الذين

(١) فصوص الحكم، الفص الموسوي، ص١٤١.
(٢) يونس: ٩٢.
(٣) المصدر: ص١٤١.

فهموا هٰذه الآيات القرآنية الكريمة، (هذا[١] هو الظاهر الذي ورد به القرآن، ثم إنا نقول بعد ذٰلك والأمر فيه إلى الله، لما استقر في نفوس عامة الخلق من شقائه، وما لهم نص في ذٰلك يستندون إليه)![٢]

لاحظوا عباراته جيداً: (لِما استقر في نفوس عامة الخلق من شقاء فرعون)، وهذا يعني أن عامة الخلق جَهَلةٌ لا يفهمون، فيتصورون أن فرعون كان شقياً، لكن ابن عربي قد نزل عليه وحي آخر! في مقابل وحي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! ولذا حكم بأن فرعون (قبضه الله إليه طاهراً مطهراً)[٣]، و(نجاه الله من عذاب الآخرة في نفسه).[٤]

(لما استقر في نفوس عامة الخلق من شقائه، وما لهم نص في ذٰلك يستندون إليه) وإذا لم تكن كل تلك الآيات القرآنية نصوصاً، فما هو النص إذن؟!

ثم إن ابن عربي هٰذا رغم معارضته لعامة الخلق، ولصريح القرآن الكريم من قبل، تجد كتابه «الفصوص» وغيره، يصير مرجعاً في بعض المدارس العلمية، ومصدراً من أهم مصادر الكتب العرفانية، ويُعد شيخ العرفاء الشامخين!!

(وما لهم نصٌّ في ذٰلك يستندون إليه، وأما آله فلهم حكم آخر) آل فرعون لهم حكم آخر، وأما هو فكان نِعمَ الإنسان!!.. والغريب انه حتى في (آل فرعون) لا يستخدم عبارات القرآن الكريم الواضحة الفاضحة،

(١)أي خروج فرعون من الصنف الذي حقت عليه كلمة العذاب الأخروي!

(٢)المصدر: ص١٤١.

(٣)الفص الموسوي، ص١٣٤.

(٤)المصدر: ص١٤١.

بل يقول: (لهم حكم آخر) فقط! قال تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾[١]، و﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾.

وما هٰذا الضلال كله إلا لأنَّ ابن عربي وأشباهه: تركوا مرجعية القرآن الكريم ومرجعية الأئمة الصادقين عليهم السلام إلى مرجعية التلاعب بالنصوص ومرجعية الاجتهاد في مقابل النص، ومرجعية الرأي في مقابل الوحي، ومرجعية الأهواء والشهوات! وقد أفادتنا الأحاديث أن «**من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**»[٢]!

٥. (اللّٰه عين كل الموجودات)!!

حقيقة إن الإنسان يستغرب، بل يُذهل من أمثال هٰذه الكلمات، بل لعمري لئن مات المرء من ذٰلك حزناً وكَمَداً ما كان به ملوماً، بل كان به جديراً.

لاحظوا ـ مثلاً ـ ماذا يقول ابن عربي في الفص الإدريسي[٣] تحت عنوان: (في ذكر العلو الإلهية): (ومن أسمائه الحسنى «العلي» لكن على مَنْ)؟ اذ ما من شيءٍ آخر موجود في الكون عندهم! اذ ليس في الدار غيره ديّار! هٰذا رأيهم (ومن أسمائه الحسنى العلي على مَنْ؟ وما ثَمَّ)، ثمّ يعني هناك (وما ثم إلا هو) لاحظوا كيف يفسر العلي بدعوى أن العلي يتضمن نسبة بين اثنين، ولا شيء غير الله، فهو العلي لكن على من؟ (ومن أسمائه الحسنى «العلي» على من؟ وما ثمّ إلا هو) ما هنالك إلا هو، (فهو العلي لذاته أو عن ماذا) يعني علوه عن ماذا ولا

---

(١) طه: ٧٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٧، ص٢٠٢، ح(٣٣٥٩٧) ٦٦، وفيه: «من فسر القرآن برأيه إن أصاب فلم يؤجر، وإن أخطأ خر أبعد من السماء». وسائل الشيعة: ج٢٧ ص١٨٩ ب١٣ باب عدم جواز استنباط الأحكام الظاهرية. ح٣٣٥٦٦.

(٣) وهو الفص الرابع، ص٤٠.

يوجد غيره؟! (وما هو إلا هو فعلوّه لنفسه)!! (وهو من حيث الوجود، عين الموجودات) ماذا تريد بعد اكثر صراحة من هٰذه العبارة؟[1] (وهو من حيث الوجود عين الموجودات) وهل هناك شيء هو (من حيث العدم)، حتى يقيِّد بـ(من حيث الوجود)؟ وهل لله حدّ وماهية حتى يقيد بـ(من حيث الوجود)، أي من حيث وجوده لا من حيث حدّه وماهيته؟!

لا أحد يقول: إن وجود الله من حيث العدم كذا، حتى يقال إنه من حيث الوجود كذا، ولا يقول أحد أن الله له حيثية غير الوجود!

بل وكذلك الحديث عنكم أنتم، أنتم موجودات أو لا؟ فـ(أنت بوجودك)، يعني حقيقتك بوجودك، لا بعدمك، ولا معنى محصّل لقولهم (حدُّ الوجود) إذ نقول: (حد الوجود) وجود أم عدم؟[2] إذ لا شق ثالث، فقوله: (فهو من حيث الوجود) أي إنه تعالى بعين وجوده - إذ لا شيء غير الوجود - هو عين (الموجودات) أي عين كل وتمام الموجودات، إذ الموجودات لا حقيقة لها إلا وجوداتها، أما غير وجوداتها فعدم محض، والماهية - على أصاله الوجود - عدم محض، وما عداه عبارة وتخيّل!!

إذن، كلامه واضح في وحدة الموجود، وأن كل شيء من حجر ومدر وبقر وصنم ومسلم وكافر وخمر وخنزير، وغير ذلك، هو عين الله!

تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

---

(١)ولاحظ أنه قال: (عين الموجودات) ولم يقل: (عين الوجودات) فهو قائل بوحدة الموجود لا وحدة الوجود فقط!

(٢)(حد الوجود) أي حيث انتهى الوجود، فإن أريد حده الداخل فيه كان وجوداً محضاً، وإن أريد حده الخارج عنه كان عدماً محضاً، ولا واسطة بين الوجود والعدم كما هو بديهي على خلاف شاذ ممن ذهب إلى (الحال).

رجل يقول بوحدة الوجود، بل بوحدة الموجود، ويصير علماً!! ثم نقول: إننا ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾؟!

إن من يقول بذلك ليس ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، بل هو مع (المشركين) وأي شرك؟! ومع (الكاذبين) وأي كذب؟!

ودققوا في عبارته مرة أخرى: هٰكذا يقول: (وهو من حيث الوجود عين الموجودات)؟!

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

٦. كل حادث، فانه ليس الا اللّٰه!!

ولاحظوا تصريحات ابن عربي الغريبة والخطيرة والمذهلة الأخرى: (فالمسمى «محدَثات» هي العِلِّية لذاتها وليست إلا هو)[١] أي الله تعالى!

(فالمُسمى) ـ إنه يريد أن يُكرِّس هٰذه الفكرة، أي إنه لا يمارس التقية في ذلك؛ إذ أن أكثر العرفاء يمارس التقية أي يضع حديثه في لُفافة، ولكن ابن عربي صريح جداً في أقواله وعباراته، بأن كل شيء هو عين الله تعالى ـ (فالمُسمى مُحدَثات) نسألكم: أنتم مُحدثات أو قدماء؟ واضح أنكم مُحدثات بل كل لحظة من حياتكم هي حادثة... إنكم لم تكونوا فولدتم، ثم لم تكونوا شباباً فصرتم شباباً... وهكذا.

(فالمُسمى مُحدَثات هي العِليَّةُ لذاتها وليست إلا هو) إذن المحدثات تساوي العلية، والعلية تساوي الله.. فالمحدثات تساوي الله[٢]!!

تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً..

---

(١)فصوص الحكم، الفص الإدريسي، ص٤٠.

(٢)وهذا ما يعبر عنه بقياس المساواة، إذ مساو المساوي مساو!

وهذه كانت نصوص عباراته، ولو أن عبارته ما لها محصَّلة عند التدقيق؛ إذ بديهي أن المحدثات هي (المعلول) وليست (العلة) فكيف بـ(العلية)!! ولكن نحن نقرأ عبارته والتي لا معنى محصَّل لها، يقول:

(المسمى محدثات هي العلية لذاتها) إنه كلام من أوضح الكلمات بطلاناً[١]، لكن نمشي على ما يقول، فانه يسوق قياساً اقترانياً (فالمسمى محدثات) الذي هو زيد، وعمر، وبقر، وحركة الفلك.. وغير ذلك، (هي العلية لذاتها).. هٰذه هي الصغرى (وليست إلا هو)، وهذه هي الكبرى، ماذا تريد بعد أصرح من هٰذه العبارة.؟!

ثم نجد أنه يأتينا مَنْ يُروِّج لكتبه ولأفكاره، وتنقل في العديد من الكتب آراؤه، وكأنها وحي منزل! وآراء الإمام الصادق عليه السلام لا تنقل؟!

وماذا بعد الحق إلا الضلال؟!

٧.الولد عين أبيه!

وفي مكان آخر من نفس الفص الإدريسي بعد أن ينقل قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾[٢] يقول: (والولد عين أبيه)[٣] أليست عبارة صريحة، في وحدة الموجود! (والولد عين أبيه فما رأى يذبح سوى نفسه)[٤]، وقوله: (فما رأى يذبح سوى نفسه) تأكيد آخر لقوله بوحدة الموجود!.. نعم هٰذا الرجل هٰذه هي حقيقته، وذلك هو

(١)لجهات كثيرة منها: أن (العلية) أمر إنتزاعي ومن المعقولات الثانية الفلسفية، أما المحدثات فهي جواهر وأعراض، فكيف تكون عين الإنتزاعي الذي لا هو جوهر ولا هو عرض؟!

(٢)الصافات: ١٠٢.

(٣)أي أن (إسماعيل) هو عين أبيه (إبراهيم)!

(٤)فصوص الحكم، الفص الإدريسي، ص٤٢.

المضحك المبكي حقيقة، ولاحظوا العبارة مرة أخرى، (فالولد عين أبيه وما رأى يذبح إلا نفسه).

ثم يقول ابن عربي: (﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ فما نكح سوى نفسه)[1]..

ما هٰذا الكلام؟! هل هٰذا كلام يعقل صدوره من مؤمن؟! بل من أي عاقل؟! ثم في بعض المدارس العلمية يدرسون كتبه ويقدسونه!!..

٨. العبد رب! أو الرب عبد!

وكنت أقرأ «الفتوحات المكية» ولو نقلنا لكم مقاطع منه لرأيتم العجب العجاب، لكن أكتفي الآن بنقل كلامٍ ذكره محققه في المقدمة، حيث دافع بأن أشعار ابن العربي حُرِّفت ونسبَ إليه أنه يقول:

العبد رب والرب عبدٌ

يا ليت شعري مَنِ المكلف؟

إلى آخر أشعاره، فهذا (المُقدِّم) يُدافع عن ابن عربي يقول: إنّ هٰذا الشعر محرّف وأن ابن عربي لم يقل: (الربُّ عبدٌ والعبدُ ربٌّ)..!!

ويبدو أن المقدم يجهل تماماً، أو يتجاهل تماماً، أن أساس فكر ومنهج وكتب ابن عربي بنيت على ذلك، كما أشرنا إلى بعض تصريحاته قبل قليل، وأن إنكار نسبة مضمون هٰذا الشعر إليه هو كإنكار نسبة الكفر إلى إبليس، أو الظلم إلى الحجاج، أو كإنكار نسبة كتاب «الفتوحات المكية» لابن عربي!

ولننتقل إلى كلام آخر لابن عربي:

---

(١) فصوص الحكم، الفص الإدريسي، ص٤٢، ويعني أن الرجل عندما يقارب زوجته ويجامعها، فإنه لا يجامع إلا نفسه!!

٩. عذاب جهنم، عذب ولذيذ!!

يقول ابن عربي: (العذابُ من العَذْبُ)، هٰذا رأي شيخ العرفاء الشامخين! (العذاب مأخوذ من العذب) ولعمري كيف يكون (العذاب الالهي الأليم) وهو مظهر غضب الله وانتقامه، هو العذب الفرات السائغ؟!

وهكذا نجد ابن عربي يتكلم حول جهنم في مواضع أخرى، ويعتبر عذابها وشدائدها لذائذ..!

إذن ـ وعلى حسب منطقه ـ فليدعُ له المؤمنون أن يذهب إلى النار، ليذوق عذابها العذب!!

وأن يحشر مع فرعون الذي يراه موحداً!!

ومع إبليس، ويرى العذب الفرات ما هو!!

١٠. (ريح العذاب) فيها الراحة!!

بل إنه ـ في مورد آخر ـ يفسر الآية القرآنية الكريمة: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] يفسرها بنحوٍ غريب، يشكل أغرب دفاع عن المجرمين، أمثال: فرعون والحجاج وهتلر، فيقول:

(فجعل الريح إشارة إلى ما فيها من الراحة)[2]، هٰذا الفيلسوف العظيم شيخ العرفاء الشامخين، أنظروا إليه كيف يتجرأ على القرآن الكريم ويفسره بأسوأ أنواع التفسير بالرأي، فيفسر(الريح)، التي هي ريح العذاب بنص الآية الكريمة، بأنها من (الراحة) يقول:

---

(١) الأحقاف: ٢٤.

(٢) فصوص الحكم، الفص الهودي، ص٦٦.

(فقال لهم: ﴿بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ فجعل الريح إشارة إلى ما فيها من الراحة لهم، بهذه الريح أراحهم من هٰذه الهياكل المظلمة، والمسالك الوعرة والسدف المدلهمة، وفي هٰذه الريح عذاب أي أمر يستعذبونه).

إذن، دعنا ندعو (لك) لا (عليك) كما تقول وليدعُ معنا مروّجوك وأنصارك، فنقول: زادك الله «عذاباً» ومَنْ يُروجِّك! وأذاقك الله من هٰذا العذاب العذب اللذيذ عندك، والعقارب والحيات النارية عدد ما أحاط به علمه وأحصاه كتابه! إنه دعاء لكم لا عليكم فلا تغضبوا منه ولا تسخطوا!! ـ (وفي هٰذه الريح عذاب أي أمر يستعذبونه إذا ذاقوه، إلا أنه يوجعهم لفرقة المألوف)، أي إنهم فقط يتألمون لأنهم فارقوا الألفة والمالوف، لكن ما عدا ذٰلك فإن النار مكان مناسب جداً ومريح ولطيف لهم! (فباشرهم العذاب فكان الأمر إليهم أقرب مما تخيلوه «فدمرت كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم» وهي جثثهم التي عمرتها أرواحهم الحقيَّة)..

إذن، فرعون روحه روح الحق، نمرود روحه روح الحق، قارون روحه روح الحق، بل هي عين الحق؛ إذ قد (عمرّتها أرواحهم الحقيّة)! ثم أي تفسير غريب هٰذا لـ(مساكنهم) إذ الكل يعلم أن (مساكنهم) يعني منازلهم ودورهم وأن الريح دمرتها كلها، ثم نجد ابن عربي يفسر (مساكنهم) بـ(جثثهم) و(أبدانهم)... إلى آخر كلامه[1]..

(١) فصوص الحكم، الفص الهودي، ص٦٦ ـ ٦٧.

١١. (الفاحشة) أن تكشف السر وأن كل شيء هو الله!!

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.(١)

يقول ابن عربي:

(إلا أنه تعالى وصف نفسه بالغيرة، ومن غيرته حرم الفواحش، وليس الفحش إلا ما ظهر، وأما فحش ما بطن فهو لمن ظهر له فلما حرم الفواحش، أي منع أن تعرف حقيقة ما ذكرناه، وهي أنه عين الأشياء، فسترها بالغيرة).(٢)

إن الفواحش يعرف تفسيرها ومعناها كل عالم وجاهل، إنها الزنا واللواط والقتل والفساد والشرك بالله وغير ذلك، إلا أنه يفسرها بمعنى آخر، معنى لا يوجد لا في لغةٍ ولا عرف، ولا يقبله عقل ولا شرع ولا منطق، إنه يفسر الفاحشة بـ: (معرفة حقيقة ما ذكرناه)، أي (أن الله هو عين الأشياء والموجودات) هٰذه هي الفاحشة! لا لأنهم ادعوا أن الله عين الموجودات ـ فهذا حق عنده!! ـ بل لانهم كشفوا هٰذا السر!! لذا غضب الله عليهم؛ لأنه تعالى صاحب غيرة، لاحظوا نص كلامه: (فلما حرم الفواحش أي منع أن تعرف حقيقة ما ذكرناه، وهي أنه عين الأشياء فسترها بالغيرة)!!

إذن، في منطق ابن عربي (حرم ربي الفاحشة)، ليس المقصود بالفاحشة الزنا والقتل والشرك، وإنما هي إظهار هٰذه الأسرار! فنقول له: فكيف أظهرتها أنت، فارتكبت بذلك الفاحشة! ـ إذ (إن الله حرّم) أن تظهر هٰذه الأسرار للجهلة، وهم في مفاد كلامه: كل علماء المسلمين

---

(١) الأعراف: ٣٣.

(٢) فصوص الحكم، الفص الهودي، ص٦٧.

على مر التاريخ!! إذن لماذا أنت أظهرتها؟! وكيف خالفت النهي الإلهي وكشفت أوراق سائر العرفاء الشامخين أيضاً؟! فكنت الذي أظهر الفاحشة التي حرمها الله تعالى؟!

ثم يقول: (فالغير يقول السمع سمْع زيد، والعارف يقول السمع عين الحق)..

والخلاصة: أن هٰذا الكتاب «فصوص الحكم» ستجدونه مليئاً بالضلال والخرافات والأباطيل والكفر والشرك.[1]

١٢. إتهام مريم الطاهرة وإتهام جبرائيل

لاحظوا، «مريم» القديسة الطاهرة، كيف يعبِّر عنها هٰذا الرجل عند تفسير هٰذه الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾.[2]

يقول: (فَسَرَتْ الشهوة في مريم)[3] تصوروا هٰذا الإنسان القديس العارف!! ماذا يقول عن سيدة نساء عالمها الطاهرة المطهرة: (فسرت الشهوة في مريم فخلق جسم عيسى من ماء محقق من مريم ومن ماء متوهم من جبرائيل، سرى في رطوبة ذٰلك النفخ لأن النفخ من الجنس الحيواني رطب) وتأملوا في هٰذا الكلام الذي لا يقوله حتى فساق النصارى، فكيف بالمسلمين؟! كيف يتفوّه به شيخ العرفاء الشامخين، الذي يطرحونه علماً، وفي مصاف أولياء الله العظام أمثال: سلمان المحمدي والمقداد وعمار وابن التيهان، بل يعدونه أكثر من ذلك.!

---

(١)ويا ليت كلامه كان يحمل بعض الوزن العلمي، أو بعض الحكمة العقلية، أو بعض الإنصاف الوجداني، ولكن كيف يكون ذلك، وقد بنى أسس كتابه على إنكار البديهيات والضروريات؟!

(٢)النساء: ١٧١.

(٣)فصوص الحكم ـ الفص العيسوي وهو الفص الـ ١٥.

ولو لم يكونوا على خوفٍ ووجل من المسلمين فلربما صرحوا بذلك، وبالأكثر منه!!

وقد حدث لي أن التقيت بأحد المشاهير المغرمين بالفلسفة والمولعين بها، وهو مدرس لبعض كتبها، ففاجأني عندما ذكرت له اسم «كتاب الاحتجاج» وأهميته ومكانته، لأنه يتكون من كلمات واحتجاجات المعصومين الأطهار عليهم السلام فقال لي: (لكن كلمات الأئمة لا عمق فيها!!).

قلت له: «الاحتجاج» يكشف عن علوم ومعارف وعمق ودقة وصوابية لا نظير لها، فراجعه لكي تكتشف ذٰلك بنفسك! فأجاب ـ ويا للغرابة، وحقيقة انفلتت منه هٰذه الكلمة كي تكشف سوء سريرة هؤلاء ـ أجاب مؤكداً: إنني لا أرى في كلمات الأئمة عمقاً!!

يا سبحان الله!! كلام ابن عربي عميق جداً؛ لأنه يقول: أنت تساوي الله، وأنت عين الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، ويقول كل حيوان وكافر وفاسق وظالم ومستبد ونكرة، هو عين الله، والعياذ بالله من حتى مجرد تصور هٰذا الكلام المستقبح.

لكن كلام الإمام الصادق عليه السلام ـ في نظر هٰذا الفيلسوف ـ ما له عمق، وكلام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ما له عمق!! ولو تجرأ هو وأمثاله لقال بذلك عن القرآن الكريم والعياذ بالله، وأن (قل هو الله أحد) ما له عمق! لكن (وحدة الوجود)، و(وحدة الموجود)، و(قوس الصعود والنزول) و(السير من الحق إلى الحق بالحق)، فيها عمق!! إذ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ما هو عمقها في رأيه، والحال أن العمق كل العمق يوجد في: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، كما أن في هٰذه السورة الصواب كل

الصواب[1].. لكن في رأي أشباه هٰذا الإنسان البعيد عن جادة الحق، هٰذا كله لا عمق فيه أما كلمات الفلاسفة والعرفاء ففيها كل العمق!!

أعاذنا الله وإياكم من أن نسلك مسالك الشياطين، وأن نبتعد عن منهج ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين..

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين.

(١)وقد أشرنا في محاضرة أخرى، إلى جوانب من المعاني العميقة المتضمنة في كلمة ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ فقط.

[٤]

كيف نكون مع الصادقين(عليهم السلام)؟

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين بارئ الخلائق أجمعين باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرّهم تطهيراً.

واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.[1]

بمناسبة مولد الإمام الثامن من أئمة المسلمين وحجج الله على الخلائق أجمعين، الإمام علي بن موسى الرضا (صلوات الله عليهما وسلامه) سيكون البحث على ضوء هٰذه الآية الشريفة، عن جوانب من حياته (صلوات الله عليه)، وحول بعض النقاط الدقيقة والاستلهامات التي يمكن أن تستفاد من هٰذه الآية الكريمة.

وكنا قد طرحنا في البحوث السابقة سؤالاً هاماً، وهو: لماذا لم يذكر اسم ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ صراحة في الكتاب الحكيم؟

وأجبنا عن هٰذا التساؤل بمجموعة أجوبة[2]، وبقيت أجوبة أخرى عديدة، لكن سنتركها للأبحاث القادمة إذا شاء الله تعالى ويسّر.

وهذا البحث سيتمحور في الحديث بعض الشيء عن الإمام الثامن (عليه سلام الله) وسنركّز في البدء على كلمة ﴿مَعَ﴾ في الآية الشريفة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، ماذا تعني كلمة (مع) ههنا في هٰذه الآية القرآنية الكريمة؟

في الإجابة على ذٰلك نقول: توجد مجموعة من النقاط نثيرها للتفكير والتدبر..

---

(١) التوبة: ١١٩.

(٢) يلاحظ القارئ الكريم أننا غيرنا تسلسل هٰذه البحوث، وقدّمنا هٰذا البحث ـ مثلاً ـ وجعلناه في (الباب الأول) لكي تتلاحق بحوث الباب الثاني بشكل متسلسل.

النقطة الأولى:

من فوائد الأمثال

هي أن هنالك مثلين عربيين تشتق منهما قاعدتان وحكمتان؛ المثل الأول يقول: (امرأةٌ معمع لها شيئها أجمع)..[١]

المثل الثاني يقول: (رجلٌ إمّعة)[٢]..

هاتان كلمتان أو مثلان مشهوران في اللغة العربية، والثانية هي أشهر من الأولى، وتشير كل واحدة من هاتين الكلمتين إلى حكمة حقيقية، إلى منهج في الحياة، وإلى قاعدة ذهبية وهي: أن لا يكون الإنسان (إمّعةً)؛ وأن لا يكون الإنسان (معمعاً)..

فماذا يعني (المعمع)، وماذا تعني كلمة (إمّعة)؟

القاعدة الأولى: على الإنسان أن لا يكون (معمعاً)

(المعمع) في أحد معانيه يقصد به - بتعبيرنا العصري- مَنْ يتميز بحب الذات وتقديس الـ(أنا)، إنه مَنْ يرى أنه المحور للكون بأجمعه،

---

(١)جاء في الوسيط: (معمع)فلان لم يثبت على رأي كأنه يقول لكل: أنا معك، وأكثر ما يقال لمن يكثر استعمال مع: إلى كم تمعمع؟ وعمل في عجل والقوم قاتلوا شديدا وساروا في المعمعان شدة الحر والسماء المطر على الأرض صبته دفعة واحدة فقشرتها..

(المعامع) الحروب أو الفتن والخلافات الشديدة الحزبية أو التعصبية كأنه جمع معمعة..

(المعمع) امرأة معمع لا تعطي أحدا من مالها شيئا،..

(٢)رواية عن الإمام موسى الكاظم(عليه السلام)،قال لفضل بن يونس: «أبلغ خيرا، وقل خيرا ولا تكن إمعة».. قلت: وما الإمعة؟ قال: «لا تقل: أنا مع الناس وأنا كواحد من الناس. إن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: يا أيها الناس إنما هما نجدان: نجد خير، ونجد شر، فلا يكن نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير»..

والامع، والإمعة - بالكسر فالتشديد - قيل: أصله «اني معك»..راجع تحف العقول - ابن شعبة الحراني - ص ٤١٣.

هو الأناني، الذي يعبد ذاته، والذي يعبد ذاته هو الذي لا يفكر إلا في نفسه ومصالحه الشخصية، فهو الذي يريد أن يجند الآخرون كلَّ طاقاتهم لصالحه، فيخدمونه، ويطيعونه، ويلبُّون أوامره، لكي يحس ويشعر بـ(اللذة) و(العظمة الكاذبة)..

هذا الإنسان الذي يعاني من محورية الذات وعبادتها، وهو بالحقيقة عبد لأهوائه، وشهواته، يسمى(معمعاً)، أو تلك المرأة توصف بـ(معمع).

فـ(معمع) تعني ذلك، كما تلاحظون في هٰذا التعريف والوصف اللغوي: (امرأة معمع، لها شيئها أجمع)[1]، أي أن كل شيء داخل حدود مملكتها وفي دائرة امتيازاتها، فإنه (لها) لا غير، فهو (لازم) وليس (متعدياً)، بل إنها ترى كل شيء يمكن أن يكون لها، لها! فلا ترى تلك المرأة، أو لا يرى ذٰلك الرجل شيئاً إلا ما يخدمه، إلا ما يكون في صالحه، وإلا ما يكون وسيلة لإرضاء مآربه..

ولذلك تجد أن من معاني (المعمع) وأوصافه: أنه الذي لا يثبت على رأي كأنه يقول لكل أنا معك. أي إنه مع الريح حيث هبت، لماذا؟ لأنه بذلك يضمن مصالحه، فهو مع الأقوى أو الأشهر أو الأكثر مالاً...

إن بعض الناس هو كذلك.. إنه يُفكر في (شهرته)، وفي (رئاسته)، وفي نومه ويقظته وغير ذلك، فإذا كان نومه مثلاً الساعة العاشرة مساءً، أو كانت (قيلولته) العاشرة صباحاً، فأثار الأطفال في البيت ضجة بلعبهم، فإنه ستثور ثائرة هٰذا الإنسان (المعمع)، فيقيم الدنيا ولا يقعدها على عياله؛ إذ كيف يزعجونه ويقضُّون عليه مضجعه ويحرمونه نومه أو من قيلولته، وهي أقدس عنده حتى من زوجته وأولاده؟!

(١)أو التعريف الآخر: (إمرأة معمع لا تعطي أحداً شيئاً من مالها).

فـ(المعمع)؛ تعني ذٰلك الذي يعيش لـ(هواه) ومن يدور حيث دار هواه، ومن هو مع ذاته لا مع غيره..

فهذا المصطلح إذن هو مصطلح حكمي، وهو كناية عن (الأنانية)، ومحورية الذات، وعبادة الذات.. وما أقبح بالإنسان أن يكون كذلك.

القاعدة الثانية: على الإنسان أن لا يكون (إمعة)..

و(الإمعة)، ماذا تعني في قول الإمام (صلوات الله عليه) «الإمعة»؟

إنها تعني ذٰلك الإنسان الذي من شأنه أن يقول لكل أحد: (أنا معك)، فيميل حيث مالوا ويذهب حيث ذهبوا، فهو ـ كسابقه ـ هو ذٰلك الذي أعماه الله تعالى وطبع على قلبه وختم على سمعه.

بتعبير آخر: إنه هو الذي أعمى وأغمض عينه عن رؤية الحقيقة، وتعامى عنها، ومنع نفسه وعقله من التفكير، وأصم سمعه عن سماع الحق، وأخرس لسانه عن النطق به، بل كان دأبه وديدنه ومسلكه ومنهجه وطريقته في الحياة: إتباع ذوي القدرة، ومَنْ عنده مال، ثم إنه لا يسأل هل هو على حق أو على باطل؟ ولا يهمه حلال من حرام، بل إنه التابع المخلص لـمَنْ عنده سلطة سواء كان في وزارة، أو حزب، أو تجمع، أو شركة، أي مطلق مَنْ يمتلك القدرة من أي نوع كانت، من جاه أو سلطة أو مال، فهو وراءه، وهو معه بلا سؤال ولا جدال..

فهذا الإنسان يُسمى (إمعة)، و(الإمعة) هو الذي من شأنه أن يقول لكل أحد يرجو أن يفيده، وأن ينفعه: أنا معك، أنا معك، أنا معك..[1]

---

(١)وقد نقل الأخ المحقق في الهامش السابق، رواية عن الإمام الكاظم عليه السلام حيث يعرف الإمام فيها (الإمعة) بـ«لا تقل أنا مع الناس، وأنا كواحد من الناس» وهو تعريف دقيق لـ(الإمعة) ويتضمن مفهومين، الأول: ما أوضحناه، والثاني هو «أنا كواحد من الناس» والذي يحاول الفرد بذلك سلب

وهذا نمط من الناس محوريته هي: (الشخص) الذي يراه في موقع قوة، أوموقع صدارة، فذاك هو المهم عنده، وهومُستعد ليفديه بنفسه.. بل إن قسماً منهم لا يرى لنفسه أية قيمة في قبال ـ (آلهته البشرية)، فيضحي بدنياه وآخرته لأجل إرضاء سيده!

والحاصل: إن (الإمّعة) يجسد التفريط المطلق و(المعمع) يجسد الإفراط المطلق[1].. وكلاهما جهل مطلق:

النوع الأول من الجهل: (المعمعية)..

النوع الثاني من الجهل: (الإمعية)..

وعلى مرِّ التاريخ كان هذان النمطان موجودين..

أن تكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ يعني أن تكون في طليعة المجاهدين

إن الآية الشريفة، تعدّ أمراً صريحاً واضحاً إذ تقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.. وذلك يعني فيما يعني: أن يتحلى الإنسان بصفة (الجهاد) مع النفس، كي يكون مع ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ويبقى معهم، فإن (الكون مع الصادقين) بحاجة إلى أعلى درجات جهاد النفس، وعلى شتى الأصعدة، وفي مختلف المجالات، وذلك يعني أموراً منها:

١. أن لا يكون الإنسان أسير نفسه وهواها، متمحوراً حول شهواتها، ومُناها.. كلا.. ثم كلا..

المسؤولية عن نفسه بعدم التصدي للمنكرات، وعدم النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، مثلاً بذريعة «أنا كواحد من الناس».

(١)أي الإفراط في عبادة ذاته ومحورية مصالحه، والتفريط في العناية والإهتمام بذاته ومصالحها.

٢. وأن عليه أن لا يكون (مع) غيره لمجرد أنه مصدر القوة، أو ممن يرجو منه شيئاً ما.. وإن كان ضالاً مضلاً وباطلاً مبطلاً وجائراً ظالماً، أي أن عليه أن لا يكون ذاك العابد لنفسه وهواها، ولا هٰذا الذي يدور في فلك الآخرين من الظالمين والكاذبين، ليكون كما قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾[1]...

بل على الإنسان أن يكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾

بل على الإنسان أن يكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ سواء وافق صدقُهُم هواه ومصالحه، أم لا، وسواء كانوا في موقع القوة، أم لم يكونوا، وسواء كان بيدهم المال أم لم يكونوا يملكون الأموال، وسواء كان يُرجى منهم شيء تعود فائدته لدنياه أم لا..

فالإنسان عليه ـ وهذه الكلمة علينا أن نذكر بها أنفسنا وأن نرددها في بالنا دائماً ـ أن لا يكون (معمعاً)، وأن لا يكون (إمعةً).

فهناك إذن في الآية الشريفة (عقد إيجاب) وهو: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وهو المنطوق، وهناك (عقد سلب) وهو: (لا تكن مع غيرهم) مهما كانوا ومهما صنعوا، وهو المفهوم..

فعلى الإنسان أن يحذر أن يكون (معمعاً) مثل تلك المرأة التي تحتكر كل الأشياء والأرباح لذاتها، أو أن يكون (إمعةً) يركض وراء هٰذا الحاكم أو ذٰلك الغني، أو ذاك الوجيه، أو ما أشبه ذلك..

ولنذكر مثالين في إتجاهين متقابلين في (الإمعية)، و(المعمعية) وذلك ليتضح لنا قوله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ بشكل أفضل..

---

(١)الزخرف: ٥٤.

محمد ابن أبي عمير يرفض القضاء فيسجن ويعذّب!

المثال الأول: يجسد إشراقة نور لأحد أصحاب الإمام الرضا (عليه الصلاة وأزكى السلام) ـ ونحن في رحاب ميلاده الميمون المبارك ـ وهو: العالم الجليل العظيم (محمد بن أبي عمير)، وقد كان أولاً من أصحاب الإمام الرضا (عليه سلام الله)، ثم كان من أصحاب الإمام الجواد (عليه صلوات الله)، كما أنه صحب الإمام الكاظم (سلام الله عليه) من قبلهما عليه السلام وقد روى عنهم جميعاً (سلام الله عليهم)، ولكن هناك خلاف بين الرجاليين، هل أدرك هٰذا الرجل الإمام الصادق (عليه سلام الله) أم لا؟ إذ أن بعض علماء الرجال يقول: إنَّه لم يدرك الإمام الصادق (سلام الله عليه).

وعلى أي حال، فإن هٰذا العالم العظيم كان عظيماً بما للكلمة من معنى، وكان مؤلفاً، وفقيهاً، وكان مجاهداً، ومتقياً أيضاً.. هٰذا الرجل ألَّف (٩٤) كتاباً، وهذا رقم كبير بمنطق هٰذا اليوم، فكيف في تلك الأزمنة التي كانوا يكتبون فيها بالريشة وشبهها، ولذا كانت هٰذه العملية (أي التأليف) جداً صعبة، كما أن اسم ابن أبي عمير ورد في إسناد (٦٤٥) رواية.

والمؤلم أن تضطر أخت ابن أبي عمير فترة سجنه لإخفاء كتبه المخطوطة تحت الأرض وأن تدفنها في التراب، خوفاً من ديمقراطية (هارون) وعصره الذهبي، كي لا تعتبر ـ أي تلك الكتب ـ وثيقة جرم تضاف لسجل جرائمه، رغم أنها كانت تتضمن محاور إيمانية هامة، وكان منها الكتب التالية:

«التوحيد»، «الكفر والإيمان»، «البداء»، «الإحتجاج في الإمامة»، «الملاحم»، «يوم وليلة»، ورغم أن هٰذا العالم العظيم لبث في السجن

سبعة عشر عاماً، أي علينا أن نستثني هٰذه السبعة عشر سنة، من عمره لنكتشف ضخامة الإنجاز[١]..

هذا الرجل العظيم (ابن أبي عمير) كان ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ حقيقة، لا مع الأهواء والشهوات، فلم يكن (معمعاً)، ولا كان مع مصدر القوة، ليكون (إمعة)..

ثم إن هارون الرشيد ـ وهو ليس برشيد، وإنما يطلق عليه (الرشيد) من باب تسمية الشيء باسم ضده مثل (الممرّضة) حيث يسموها ممرضة، وهي مطبِّبة وليست ممرضة، وتسمية الشيء باسم ضده يعد من صنوف البلاغة، وهي علاقة في اللغة العربية جارية، بل وفي سائر اللغات أيضاً[٢] وتسمى عُلقة الضد بالضد ـ المهم، أن هارون وهو غير الرشيد، عرض عليه منصب (القضاء)، ومن الواضح أن الإنسان (المعمع) الذي يفكر في مصالحه وشهواته، يرى أن هٰذه هي أفضل فرصة؛ لأن منصب (القاضي) مهم جداً، خاصة في ذٰلك الزمن، فكيف بقاضي الإمبراطورية التي نشرت أجنحتها ما لعله يقارب ربما ثلثي الكرة الأرضية؟!

نعم، عرض عليه منصب (القضاء)، و(القضاء) يعني السلطة، والرئاسة، والجاه، والمال وكل شيء.. ولكن (ابن أبي عمير) كان: ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ حقاً وصدقاً، في قوله وفعله، وفي قراراته ومواقفه، وفي المنعطفات، ولدى الامتحان، فكان ممن يرى أنّ عليه أن يرى ما الذي يرضي إمام زمانه عنه أو يسخطه، ليحدد موقفه على ضوء ذلك إذ المهم هو معرفة التكليف الشرعي وإنطلاقاً من ذٰلك؛ رفض (ابن أبي عمير)

---

(١)للتفصيل ينظر «الفهرست» للشيخ الطوسي و«رجال النجاشي» و«تنقيح المقال» للمامقاني و«أعيان الشيعة» وغيرها.

(٢)مثلاً في الفارسية يقال: (به زنگي ميگويند كافور) أي يقال: للزنجي إنه كافور، و(الكافور ناصع البياض كما هو واضح).

هٰذا المنصب، فسخط عليه هارون العباسي (الرشيد!) وغضب، وأمر بإلقائه في السجن!! وقد بقي في السجن مدة سبعة عشر عاماً، لماذا؟ لا لشيء إلا لأنه ارتكب جريمتين على قانون الطغاة، هما:

الجريمة الأولى: هي أنه لم يكن (معمعاً)، ولم يكن (إمعة)، أي أنه ما كان مع نفسه وهواها، ولا كان مع الجائر الظالم؛ ولذلك رفض منصب القضاء..

الجريمة الثانية: أنه طُلب منه أن يُفشي أسماء أتباع إخوانه من أهل البيت (عليهم الصلاة وأزكى السلام) في العراق، فرفض أن يبوح باسم أحد منهم..

وكانت نتيجة هٰذا الرفض ليس السجن فقط، بل رافق السجن تعذيب عنيف.. فقد اعتُقل هٰذا الرجل العظيم، ثم جُرِّد من ملابسه، وتصوَّروا رجلاً عالماً عظيماً، ولعل عمره كان حينذاك خمساً وخمسين أو ستين سنة، يُفعل به هكذا؟! فقد جرد من ملابسه، ثم وضعوه بين شجرتين، أي ربطوه بشجرتين متقاربتين، وأمر هارون ـ صاحب العصر العباسي الذهبي! ـ بأن يُضرب مئة وعشرين خشبة! وهذه المئة والعشرون خشبة كانت كفيلة ـأحياناًـ بأن تقضي على حياة الإنسان وتقتل؛ إذ كانت أخشاباً خاصة قد انتخبوها للتعذيب..

وهكذا ضُرب هٰذا العالم الكبير مئة وعشرين خشبة ـ في قصة مفصلة لا علينا بها الآن ـ لكن هٰذا الرجل، كان بطلاً بحق.. إنه (رجل) وليس (إمعة)؛ ولذلك لم يستسلم ولم يتراجع ولم يعترف ولم يبُح باسم أحد، وكان المباشر لتعذيبه وسجنه هو السندي بن شاهك سيء الصيت والشهير بالحقد والخبث والنصب والقسوة.

وفي ذٰلك عبرة كبرى نستفيدها، وهي: أن عليَّ أن أفكر دائماً على ضوء هٰذه الآية الشريفة، لأعرف أين أنا، فهل أنا (إمعة) والعياذ بالله، أو أنني (معمع) والعياذ بالله، أو ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، لأن ربنا سبحانه يأمرنا يقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾..

ويرفض ابن عمير استرجاع أمواله!

نعود إلى قصة ابن أبي عمير مرة أخرى: فإنه كان ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ حقاً، ورغم أنه كان بزازاً ـ أي تاجر قماش ـ أي أنه كان عالماً نحريراً وتاجراً في الوقت نفسه، وكانت لديه ثروة لا بأس بها، وأنتم تعلمون أنه عندما تعتقل السلطات الاستبدادية ثرياً فإنها تصادر ثروته عادة، وحتى لو لم تصادر ثروته فإن تجارته تنهار ـعادةـ بإعتقاله، خاصة إذا طالت المدة، إلا أنه ضحى بكل ذلك، فكانت تضحية ابن أبي عُمير كبيرة جداً؛ لأنه فضَّل أن يُضحي بحريته، ويضحي بالمنصب، وبالشهرة، وضحى بثروته أيضاً، والإنسان كثيراً ما يصعب عليه أن يُضحي بثروته، فكيف يُضحي بهذه الأشياء كلها بأجمعها؟!!

هذا الرجل العظيم سُجن، وخسر أمواله كلها، وعندما خرج من السجن بعد سبع عشرة سنة كاملة، كان مُحتاجاً حتى إلى الدرهم الواحد، نعم؛ لأنه ينعم ببركات العصر الذهبي لسلسلة الملوك العباسيين! ويعيش في دولة المسمى هارون الرشيد!

وكان هنالك رجل قد استدان من ابن أبي عمير عشرة آلاف درهم، أي قبل سجنه الذي طال سبعة عشر سنة، ذاك الرجل كان منصفاً، ورجلاً صالحاً، فعندما رأى ابن أبي عمير قد خرج من السجن، وهو محتاج إلى المال، ذهب وباع داره التي يسكن فيها، وجاء بعشرة آلاف درهم،

وأراد أن يُسلمها لهذا (الصادق) الذي كان ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ولم يكن (إمعة) ولا (معمعاً)..

جاء لابن أبي عمير ليسلمه هٰذه الأموال المستحقة له، وقال له: (هذا مالك الذي لك عليَّ، فخذه) ولكن ابن أبي عمير كان ذكياً فطناً فإن: «**المؤمن كيّس فطن**».[1]

إنه ذكي لدينه وآخرته لا لصيد الأموال، ولإرتكاب المعاصي واقتحام الشهوات الدنيوية، عرف ابن أبي عمير بذكائه أن هٰذا الرجل ليست له تلك الثروة، فقال له: (فمن أين لك هٰذا المال، ورثته؟)

قال: لا.. قال: (هل وُهب لك؟)

قال: (لا.. ولكني بعت داري الفلانية لأقضي لك ديني).

ويبدو أنه علم بخروج ابن أبي عمير من السجن، وعرف أن ظروفه صعبة؛ لذا باع داره.

والآن تأملوا (التقوى) الحقيقية التي يتحلى بها مَن هو: ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ حقيقة، فإن ابن أبي عمير كان يحتاج حتى إلى الدرهم الواحد، إلا أنه قال له: حدثني ذريح المحاربي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لا يُخرَج الرجل من مسقط رأسه بالدين»، ارفعها، فلا حاجة لي فيها، والله إني محتاج في وقتي هذا، إلى درهم، وما يدخل ملكي منها درهم!!.[2]

---

(١)بحار الأنوار: ج٦٤، ص٣٠٧، ح٤٠.

(٢)بحار الأنوار: ج٤٩، ص٢٧٣، تاريخ الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام عن علل الشرائع باب ٣١٣، ح٢.

كان (مثالياً) رغم قسوة الظروف

والآن لنتوقف قليلاً عند هٰذه القضية التاريخية؛ لنضع أيدينا على بعض النقاط والدروس والعِبَر:

فأولاً: نكتشف بضم هٰذا الحديث إلى غيره أن هٰذا العالم الكبير على أثر سجنه لمدة سبعة عشر عاماً ثم حصار الحكومة له، كان في حالة يرثى لها من أعراض وأمراض، فلقد خرج من السجن ضريراً أعمى لا يرى شيئاً، وذلك لأنه كان قد سجن في طامورة، وفي مكان مظلم، والإنسان إذا سجن في مكان مظلم فإنه يُصاب بالتدريج بالعمى، أي أنه خلال أشهر يفقد قوة الإبصار، إذا كان الظلام مطبقاً، وهكذا نجد أن ابن أبي عمير خرج مكفوفاً ضريراً.. هٰذا إن لم يكن ذٰلك على أثر التعذيب وقبل مضي حتى أشهر، وقد اجتمعت عليه صنوف البلاء، وكان منها:

١. إنه كان رجلاً كبيراً بالسن، وربما كان عمره في ذاك الوقت سبعين سنة أو أكثر.

٢. وكان كفيفاً وضريراً..

٣. وكان قد أضحى فقيراً جداً، محتاجاً حتى للدرهم الواحد..

٤. وكان مغضوباً عليه من السلطات الحاكمة..

إذن، فلم تكن لابن أبي عمير طاقة ليتاجر، ولم يكن يستطيع أن يتحرك، وكانت الحكومة له بالمرصاد، تكتم على أنفاسه.

وثانياً: نكتشف (مثالية) هٰذا العالم العظيم وروحه الإيمانية الفريدة، عندما نلاحظ موقفه رغم ذٰلك كله! لقد قال للمدين: (والله إني محتاج في وقتي هٰذا إلى درهم، وما يدخل ملكي منها درهم).

ثالثاً: ولكن من أين استقى هٰذه (المعرفة) ومن أين (تعلم) تلك القواعد السماوية؟ وفي أية مدرسة تربى؟ إنه يجيب: (حدثني ذريح المحاربي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام...)

لاحظوا: إن الإنسان عندما يكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ يكون هكذا، نموذجياً مثالياً، وقدوة وأسوة، فإن ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ يعبّدون له طريق الآخرة، ويعبّدون له طريق الجنة، ويعبّدون له طريق السعادة، ويرشدونه لـ(الأصلح) ديناً ودنياً وآخرة، بعكس الآخرين.

رابعاً: لنلاحظ كلام الإمام عليه السلام: «لا يُخرج الرجل من مسقط رأسه بالدين»..

إن قوانين الإسلام وتشريعاته إنسانية بشكل مذهل، فإذا كنت مديوناً فلا يحق لأحد أن يجحف بك إلى هٰذه الدرجة، لكن ماذا تجد عند غير ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾؟ اذهب إلى الغرب وإلى الشرق، من أميركا إلى الصين وإلى أية دولة من دول العالم، تجد أنه إذا كان شخص مديوناً ولم يستطع سداد الديون والأقساط، فإنهم سيحاكمونه وسوف يُسجن، رغم أن كثيراً منهم غير قادر على الوفاء حقيقة، ورغم علمهم بذلك.. لكنهم سيحجزون ممتلكاته الخاصة ومسكنه الشخصي ويبيعونه بالمزاد العلني ليستوفوا منه (الدين)..

لكن ماذا يقول ابن أبي عمير؟ إنه يقول للمديون: إني لأحتاج للدرهم الواحد، لكن والله لا آخذ حتى درهماً واحداً لماذا؟ لأن ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ الذين أُمرنا بأن نكون معهم قد أرشدوه، وأمروه بأمرٍ التزم به هٰذا الرجل العظيم..

والذي نستنتجه من ذٰلك كله: إن الإنسان عليه ألا يكون (إمعة) من جهة، وألا يكون (معمعاً) من جهة أخرى؛ وإنما يكون كما قالت الآية القرآنية الكريمة:﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾.

ويكفينا الآن هٰذا المثال النموذجي لهذا الرجل العظيم المجاهد، والمتقي، والعالم الكبير المثابر المؤلف الفقيه الذي عُدَّ من (أصحاب الإجماع) كما تعلمون..

وفي المقابل: شبث بن ربعي الإنتهازي الفريد!

المثال الثاني في الإتجاه الآخر، إليكم هٰذا النموذج الغريب للشخص (الإمعة) أو الشخص (المعمع) وهو (شبث بن ربعي (عليه لعائن الله)، هٰذا الرجل السيء الصيت كان (معمعة)، و(إمعة) بكل ما للكلمة من معنى، بل إن كل إنسان صاحب ضمير، وصاحب وجدان من أيِّ دين، أو مذهب إذا سمع بهذا الشخص، فإن أقل ما يقول فيه: أنه انتهازي، لا قيمة له، ولا أخلاق عنده.. ولا ضمير ولا وازع...

لقد كان شبث بن ربعي لفترة من الزمن ضد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم بعد ذٰلك وقف مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان مدة من الزمن مع أمير المؤمنين، ثم صار ضد أمير المؤمنين (عليه سلام الله).

وكان ردحاً من الزمن مع عثمان، ثم أصبح ضد عثمان.

وكان في جزء من حياته مع الإمام الحسين (عليه سلام الله)، ثم انقلب على الإمام الحسين عليه السلام.

ثم كان وقتاً ما مع المختار الثقفي، ووقتاً ما ضد المختار...

وهكذا كانت حالة هٰذا الرجل حيث لم تكن له ذمة يرعاها، ولا عهد يلتزم به..

لقد كان الرجل (إمعة) بما للكلمة من معنى، ولاحظوا ما يقوله التاريخ بالنسبة إلى هٰذا الرجل، وعلينا أن نفكر جيداً بهذا المثال الصارخ الذي قد ينطبق على كل واحد منا في حياته، فهل ينحصر ما أفكر به في مصالحي الشخصية؟ في راحتي، طعامي، شرابي، وسائر الهموم الشخصية، أم أنني أفكر في الأولاد، والزوجة، وأفكر في الجار، والمجتمع، والأمة؟

وإليكم تفصيل صورة (شبث بن ربعي)، ذٰلك الوجه المتلون الغريب في التاريخ الإسلامي، حسب ما في المصادر المختلفة «كالطبقات الكبرى» لابن سعد، و«تاريخ بغداد» للخطيب، و«رجال» الطوسي، وغير ذٰلك من المصادر الشهيرة..

هذا المشؤوم كان مؤذناً لـ(سجاح) التي ادعت النبوة مع (مسيلمة) الكذاب، كان ضد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولكنه بعد أن رأى انتصار الإسلام وعلم أن الكفة تميل لصالح القوة، ولصالح الواقع والحق الذي لا يؤمن به، أسلم واستسلم للأمر الواقع.

بعد ذٰلك كان لهذا الرجل دور في فتنة عثمان، ثم كان مع أمير المؤمنين (عليه سلام الله) في وقعة (صفين)، ولكنه بعد التحكيم إلتحق بالخوارج وصار من رؤوسهم ومن أمراء عسكرهم، وبعد ذٰلك ترك الخوارج وعاد إلى جيش الإمام (سلام الله عليه) حين انكسر الخوارج وانهزموا.

وبعد ذٰلك صار من أعداء يزيد، وكان من الذين كتبوا رسائل للإمام الحسين عليه السلام يستنهضه ويطلب منه المجيء إلى الكوفة.

لكنه بعد ذٰلك انضمَّ إلى جماعة ابن زياد؛ لأن القوة صارت مع ابن زياد، وثبّط الناس عن مسلم بن عقيل عليه السلام، وكان من الذين قاتلوا مسلماً، ثم كان أحد القادة العسكريين في جيش يزيد في يوم عاشوراء، وبحسب مصدر آخر كان قائد الرجّالة.

لاحظوا هٰذا الرجل.. إنه يريد أن يكون قائداً، يريد أن يكون رئيساً، يريد أن يكون أميراً، فإن (الموقع) و(المنصب) بالنسبة له هو المهم وهو مدار حياته.

وبعد ما استشهد الإمام الحسين (عليه سلام الله)، وحتى يتقرب إلى بني أمية راح، وجدَّد مسجداً، معلناً أن ذٰلك جاء فرحاً بقتل الإمام الحسين (عليه سلام الله).

ولكن عندما ثار المختار الثقفي ورأى أن الأمور انقلبت نسبياً على بني أمية، التحق شبث بن ربعي بالمختار، واقتنص منصباً قيادياً لنفسه!

ثم بعد ذٰلك لما صعد نجم مصعب بن الزبير التحق بمصعب بن الزبير ضد المختار.. وهكذا كانت حياة هٰذا الرجل سلسلة من الإنتهازية حتى مات بالكوفة عام (٨٠) للهجرة[1]..

هذا الرجل كان (إمعة) صدقاً، وهذا الرجل كان (معمعاً) حقاً.. وقد ذكرنا أن (المعمع) هو الذي له محورية الذات، والذي يتميز بعبادة الذات، فلا يفكر إلا في مصالحه الشخصية فقط، ولا يحمل همّ الآخرين في داخله، بل يرى أن كل العالم يجب أن يكون فداءاً له..! إن هٰذا هو منطقه وإن لم يظهره، لكن التصرفات قد تُظهر ذلك، وقد تبديه.. وقد لا تظهره إلا أن (جوهره) هو كذلك، في علم الله تعالى،

(١)راجع تفاصيل حياته في «رجال الطوسي» و«تاريخ بغداد» و«الطبقات الكبرى» و«سير أعلام النبلاء» وغيرها.

وفي علم الراسخين في العلم، من المتوسمين والعلماء بعلم المنايا والبلايا وغيرها.

شمولية ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ للفكر والسلوك، وللسياسة والاقتصاد و...

النقطة الثانية: في هٰذه الآية الشريفة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ هي: أن كلمة ﴿مَعَ﴾ يستفاد منها العموم من جهات عديدة، نذكر منها جهتين وسببين:

أولاً: لقاعدة حذف المتعلق يُفيد العموم

الجهة الأولى: قاعدة حذف المتعلق يفيد العموم؛ إذ لم يقيد الله سبحانه، قوله: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، بجانب من الجوانب أو جهة من الجهات، ففي أي شيء تكون معهم؟

أفي الفكر، أم في السلوك، أم في كليهما؟

و: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، في العقيدة، أم في الشريعة، أم في كليهما؟

و: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في السياسة، أم الاقتصاد، أم الاجتماع، أم الحقوق، أم فيها بأجمعها؟

و: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ بأقوالكم، أو بأموالكم، أو بأفعالكم، أو بأنفسكم، أو بأجمعها؟

و: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في السراء أم في الضراء، في الأسرار أم في الإعلان، أم فيها بأجمعها؟

وهكذا وهلم جراً.

إن حذف المتعلق يفيد العموم، وعلى ذٰلك يجب أن نكون: ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في كل هٰذه القضايا، فكن ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في سياستهم، في اقتصادهم، في اجتماعهم.. وفي كل الشؤون.. وبلا استثناء.

إنه تعالى لم يخصص (كن ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾) بـ: في حياتك الشخصية، أو في حياتك الحزبية ـ إذا كان الشخص ينتمي إلى حزب ـ أو في حياتك الحوزوية، أو الجامعية، في دراستك العلمية، أو غيرها...

وما قال: (كن ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾) إن كنتَ محكوماً فقط، أو إن كنت حاكماً فقط، بل قال جل اسمه: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ بقول مطلق أي، حكاماً كنتم أم محكومين، ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ سواء كنتم في المهجر، أم في المحضر، وسواء كنتم في بلدكم أو في غيره؛ ذٰلك أن بعض الناس عندما يكون في بلده يكون نِعَم الإنسان، ولكنه عندما يُسافر إلى بلد آخر غربي أو شرقي ويرى بعض المظاهر الشيطانية، وإذا به ينسى كل ما تعلمه، وينسى حتى فطرته، ووجدانه، وشرفه، وضميره، ويسحق ذٰلك كله ـ والعياذ بالله ـ لماذا؟!

إنّ الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾

وهذا يعني:

أن الإنسان عليه أن يكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في السراء والضراء، في الشدة والرخاء، في الجهر والعلن، في السياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق، في حياته الزوجية والعائلية، وفي تعامله مع أهل محلته ومع جيرانه، وفي علاقاته العامة وأخذه وعطاءه، مع العدو ومع الصديق وغيرهما..

في كل ذٰلك إبحث عن منهج ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ وتمسَّك بذاك المنهج، فإن: «المتقدم لهم مارق والمتأخر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق»[١].

حمامة المسجد

عبد الملك بن مروان، هٰذا الرجل قصته معروفة في التاريخ، فلقد كان ـ كما روي ـ حليف القرآن، وحمامة المسجد، وكان يقرأ القرآن الكريم ليل نهار، لكنه عندما أتى إليه البشير وبُشِّر بالخلافة، قَبَّل القرآن الكريم، وقال: هٰذا فراق بيني وبينك..[٢]

وهو الذي عبّر عنه المؤرخون بأنه: (كان ناسكاً، عابداً، متعلماً في علوم القرآن) فلم يكن مجرد قارئ للقرآن بل لقد عُرف عنه ذلك، ولكن الواقع كان أمراً آخر؛ إذ لم يكن في جوهره ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾..

وهذا يرشدنا أيضاً إلى أن ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ يعني أيضاً كونوا في جوهركم، وفي مخبركم وواقعكم، وفي مظهركم وظاهركم ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، أي كونوا في جوارحكم، وفي جوانحكم ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.

إن هٰذه الآية الشريفة تعطينا منهجاً للحياة، هي كلمة واحدة إلا أن كل الحياة تُختزل حقاً وتُختصر وتُعتصر في هٰذه الكلمة الواحدة، كما أن فيها سر رضا الله ﷻ، وسر السعادة الحقيقية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾..

وذلك يعني أيضاً: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ عند اليأس وعند الرجاء؛ إذ أن بعض الناس نشط وناشط في العمل الديني، ولكن ذٰلك يكون فقط

---

(١) ينظر إقبال الأعمال: ص٦٨٧ الدعاء في شهر شعبان، عن الإمام السجاد علي بن الحسين عليهما السلام.

(٢) تاريخ الطبري المجلد السابع صفحة ١٠٢حسب الطبعة التي لدينا..

عندما يكون هناك أفق مليء بالأمل والبشائر، أما عندما يكفهرُّ الجو وتكشِّر له الأيام عن أنيابها، ويرى أنه ما من أفق هنالك، ولا أمل فإنه ييأس ويُحبَط، وينعزل في زاوية.. ويصاب بـ(الخمول والجمود) ويترك واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل لعله يتحول إلى (كابح) للحركة والنشاط والهداية والإرشاد، وعلى هٰكذا أناس أن يتذكروا (عندَ اليأسِ الرجاءُ) أن نصر الله حتمي عند إغلاق كافة الأبواب.

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.[1]

والحاصل: أن على الإنسان المؤمن أن يكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في اليأس والرجاء، وفي الشدة والرخاء، وأن يحذف كلمة (اليأس) و(الإحباط) من قاموس حياته، فإن (الإحباط) كلمة شيطانية، فلا تقل أبداً: أنا مُحبط، أنا يائس، أنا متشائم، ولا يخطرنّ ذٰلك في بالك أبداً؛ ذٰلك لأنه لا يوجد في القرآن الكريم والآيات الشريفة، وفي منهج ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ مجال للتشاؤم واليأس إطلاقاً، إذ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾[2] فالإنسان إذن عليه أن يكون متفائلاً لماذا؟ لأن الأمر بيد الله، والله رحيم، ورحمن، ورزّاق، وذو القوة المتين، ولأنه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾[3]..

فإذا كنت على الحق، وثابرت على الدرب، وإن كانت الأجواء كلها ضدك، فاعلم أن نهاية الليلة المظلمة ستكون ضياءً، ونوراً، ونهاراً.

---

(١)يوسف: ١١٠.

(٢)يوسف: ٨٧.

(٣)الطلاق: ٣.

ثم لو فُرض أنك ما وصلت في هٰذه الدنيا للنتيجة التي تصبو إليها وتريدها، فلِمَ (اليأس)؛ إذ أنك تريد الأجر ورضى الله من (العمل) وهما حاصلان ولو لم تصل للنتيجة، ثم فكر في عمرك وحياتك الدنيوية، كم سنة هي، هل هي خمسون سنة، أم سبعون سنة، أو فلتكن مائة سنة، إنها ستمضي كلمح بالبصر كما مضت سنوات عمرك السابقة، وما عليك إلا أن تؤدي وظيفتك، وتنجز مهامك ومسؤولياتك، ثم بعد ذٰلك تيقن أن وراءك الخلود في: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.[1]

مرض الكآبة

إذن ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ عامة شاملة لمختلف الحالات: حالات اليأس والرجاء، وعندما تكون متشائماً أو متفائلاً، وعندما تكون محبطاً أو غير محبط، وحتى عندما تكون مبتلى بما يسمى اليوم بمرض (الكآبة)؛ إذ يوجد اليوم وبحسب الإحصاء (٨٠٠) مليون إنسان في العالم ـ وهذا الإحصاء، قبل ثلاث سنوات والعدد ازدياد ـ مصاب بمرض الكآبة، وقسم كبير منهم من المسلمين.

لكن هل يمكن أن يصاب (المؤمن) حقاً بمرض (الكآبة)، كلا.. إن المؤمن لا يُصاب بمرض الكآبة، وفي منهج ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ لا توجد مفردة (الكآبة)، فإن الله تعالى يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.[2]

(١)آل عمران: ١٣٣.

(٢)الرعد :٢٨.

والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: «**مَنْ قال: بسم الله الرحمٰن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سبعين مرة، دفع الله عنه سبعين نوعاً من البلاء أقله الهم والغم**»..[١]

إن عندنا أسلحة ربانية، أسلحة إلهية تمنحنا الحصانة ضد جميع الأمراض النفسية، فلا معنى للكآبة، والقلق أبداً.

والمؤمن إذا كان هنالك أمر يقلقه ويحزنه، فإن عليه أن يختزنه في داخله ولا يظهره على جوارحه، فلا يتباطئ حينئذٍ عن طاعة الله سبحانه، بل يواصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهما كان؛ إذ «**المؤمن بشره في وجهه، و همّه في قلبه**»[٢] حتى لا ينقل الإحباط للآخرين لو كان مبتلى بالإحباط فرضاً، أو أصيب بداء اليأس، فعندما يلقاك الأخ المؤمن، عليك أن تكون حذراً كي لا تنقل (عدواك) المرضية إليه، بل لتكن (عدواك) له هي (عدوى) الأمل والبشائر والحركة والنشاط، بإذن الله تعالى.

وعلى أي حال، فإن الإنسان لو أصيب بداء اليأس ومرض الإحباط، فإن عليه مع ذلك أن (يكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾) كما أمره رب العالمين، ولو واصل (الكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾) ولو بتجلّد، فإن (التطبع) سيعود (طبعاً) أو سيشفيه الله تعالى من مرضه هذا، إذ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٣] و: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.[٤]

(١) ينظر مستدرك الوسائل: ج٥ ص٣٦٧ ب٣٩ ح٦١٠٤.
(٢)نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٣٣.
(٣)محمد: ٧.
(٤)العنكبوت: ٦٩.

ثانياً: لتشكيكية (المعية) ووجود مراتب لها

الوجه الثاني: هو استفادة العموم من نفس كلمة ﴿مَعَ﴾ وكل بحثنا هٰذه الليلة، كما ترون هو حول كلمة ﴿مَعَ﴾ في هٰذه الآية الشريفة، وذلك بدون الإستناد إلى قرينة، أو قاعدة لغوية أو أصولية كالتي ذكرناها في الوجه الأول[1] كلا.. بل أننا من نفس كلمة ﴿مَعَ﴾، نستفيد العموم، ولكن كيف؟

الجواب: إن (المعية) من الحقائق التشكيكية ذات المراتب[2]، ولها درجات؛ إذ تارة الإنسان يكون مع شخص ما في (الظاهر) فقط، إن هٰذه درجة من درجات المعية، وتارة يكون مع الشخص في (الظاهر والباطن) أيضاً وهذه هي الدرجة الأرقى للمعية، وكل منهما له درجات كما لا يخفى..

فالمعية إذن، هي من الحقائق التشكيكية ذات المراتب، فعندما يقول الله ﷻ: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ فإننا لا نحتاج إلى التشبث بالمتعلق وأن حذفه يفيد العموم، بل إن نفس كلمة ﴿مَعَ﴾ تكفي للدلالة على المقصود؛ لأن الله ﷻ لم يقيد بدرجة معينة من درجات تلك المعية..

وبتعبير آخر: (اللفظ) عندما يطلق فإنه ينصرف للفرد الأكمل، والفرد الأكمل من (المعية) هو ما يتضمن كافة هٰذه الدرجات والمعاني التي أشرنا إليها، وغيرها أيضاً مما لم نشر إليه أيضاً.

---

(١)أي قاعدة حذف المتعلق يفيد العموم.

(٢)ولا يخفى، أن المشهور أخيراً أن (التشكيك) جارٍ في الوجود فقط، وأنه لا تشكيك في الماهية، فالقول بالحقائق التشكيكية ملزومة القول بأصالة الوجود، لكن فيه: أنه قد يلتزم شخص بأصالة الماهية وبتشكيكيتها أيضاً بعد نقض أدلة أصالة الوجود ورد أدلة عدم إمكان التشكيك في الماهية، فراجع «تنزيه المعبود في الرد على وحدة الوجود» فهو كتاب جدير بالمطالعة، غني بالبحوث، مفيد.

ونقول مؤكدين: أن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ تفيد أن على الإنسان أن يكون مع الصادقين (بأقواله) لتكون مع أقوالهم، وأن يكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (بأفعاله) لتكون مع أفعالهم..

﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ لدى كل نظرة وعند كل فكرة

أ- إن هٰذه الآية الكريمة تفيدنا: أن على الإنسان أن يحيى ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في جلواته، كما يكون معهم في خلواته أيضاً... فعندما يمشي الإنسان في الطريق، أو عندما يجلس في المتجر، أو أمام التلفاز، فليفكر مع نفسه هل هو ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ عندئذٍ؟ إذا لم يكن ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في تلك الحالة، وفي ذٰلك الزمان، وفي ذٰلك المكان، فإنه ليس ممتثلاً للآية القرآنية الكريمة.

ب- وتفيدنا: أن على الإنسان (أن يكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾) في أفكاره وتأملاته أيضاً، فعندما يمرُّ على مزرعة أو حديقة أو بستان أو غابة أو حتى عندما يرى زرعاً هنا وهناك أو أشجاراً على الرصيف، فإن عليه أن يتذكر الروايات النبوية المشهورة، والروايات العلوية المعروفة: «**الدنيا مزرعة الآخرة**»[1] وهكذا يكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في كلماتهم، عندما يربطها بواقع الحياة، ويتخذها عبرة ومرشداً.

وعندما تمر على قنطرة وجسر ففكر بالحديث الشريف: (**الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها**».[2]

---

(١)غوالي اللآلي: ج١، ص٢٦٧، ح٦٦.

(٢)آمالي الشيخ المفيد: ص٤٣، وهي كلمة للسيد المسيح على نبينا وآله وعليه السلام للحواريين..

واستحضر هٰذه العبر: فإن الجسر لا يصح أن تبني عليه بيتاً، وإنما تعبره للوصول لمرام ومقصدٍ آخر، إذ هو (معبر) فقط، ولا غير.

ج- وعندما نرى (طائراً) يحلق في الفضاء، أو طائرة تشق الأجواء، فإن على المرء أن يتذكر عندئذٍ ما روي من: (**المرء يطير بهمته كما يطير الطائر بجناحيه**) ويذكّر نفسه بأن عليه أن يحلق في سماء المكرمات والعمل الصالح أكثر فأكثر بـ(جناحي الهمة) فإن «**المرء بهمته**»[1]، وهما جناحان معنويان، يمتلكان أكبر الطاقة الشاحنة..

والذي يفكر بهذه الطريقة تكون همته عالية فعلاً،فبدل أن يفكر بأن يهدي ألف إنسان، ينوي ويعزم ويجزم ويتحرك لأجل بلوغ هدف أسمى، هو هداية مليون إنسان -مثلاً- أو أكثر، وإن بدا ذٰلك صعباً مستصعباً، وربما يتصوره البعض مستحيلاً، ولكن في معادلات القدرة الإلهية لا يوجد شيء مستحيل، إلا إجتماع النقيضين وما يرجع إليه، مما هو في حد ذاته غير قابل لتعلق القدرة به، فلا ينفي عمومية قدرة الله تعالى؛ إذ قد أخذ في مفهوم القدرة إمكان المتعلَّق.

وتفصيل هٰذا الجواب وغيره في علم الكلام، لأن الله قادر كريم جواد رؤوف رحيم، لكن المشكلة في قابليتك أنت، وكم هي؟ وفي قابليتي وكم هي؟ فإن الله يعطي المرء بقدر قابليته وجهده ونشاطه، فكلما كانت همته أرفع وكلما (وسّع) من (أفقه) و(سعته الوجودية) كلما أفاض الله تعالى عليه أكثر فأكثر..

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٧ ف٨ ح١٠٢٦٣. وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ينبغي أن يكون التفاخر بعلي الهمم، والوفاء بالذمم، والمبالغة بالكرم، لا ببولي الرمم ورذائل الشيم». ح١٠٢٨٠.

د- وعندما الإنسان يرى شاباً غير متزوج، أو كان هو غير متزوج، فليتذكر رواية الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم): «**ركعتان يصليهما متزوج أفضل عند الله من سبعين ركعة يصليها أعزب**»[١] وبذلك يكون: ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في أقوالهم، يحياها في أفق النفس والمعنى، ثم يترجمها إلى عالم الواقع والفعل والمبنى..

هـ- وعندما يدخل للسوق ليستحضر هٰذه الآية الشريفة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.[٢]

ويخاطب نفسه: لقد خلقني الرب تعالى للجنة، ولم يخلقني للدنيا، ولا لأكون من أهل النار، ويستحضر أن الله اشترى منه (نفسه) و(أمواله)، ويوحي لنفسه وباستمرار وبإلحاح وإصرار: إنني لم أخلق كي أقضي عمري في (البيع والشراء) فإن ذٰلك وإن كان ضرورة حياتية فعلاً وأنا مضطر لذلك، إلا أنني لم أخلق لذلك، بل خلقت لما هو أكبر وأعلى وأسمى منه بما لا قياس، فعليّ أن أقتصر على قدر الضرورة، وأن أكتسب المال من حِلّه وأن أصرفه في محله.

وأيضاً فإن الإنسان عندما يدخل للسوق عليه أن يتذكر الرواية الشريفة، «**شر بقاع الأرض الأسواق، وهي ميدان إبليس يغدو برايته وضع كرسيه ويبث ذريته..**»[٣].

---

(١)الكافي للشيخ الكليني: ج٥، ص٣٢٨، والرواية عن الإمام الصادق(صلوات الله عليه)..

(٢) التوبة: ١١١.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٩٩ باب السوق ح٣٧٥١.

والحاصل: إن الإنسان عليه أن يكون في كل مناحي وزوايا ولحظات حياته ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، فإذا طلب أحدهم منه مساعدة علمية أو مالية أو اجتماعية، مما يحتاج إلى استثمار وتفعيل شبكة علاقاته الاجتماعية، إن لم يكن قادراً على تلبيتها وقضائها بنفسه، فليتذكر كلمة أمير المؤمنين ومولى الموحدين (عليه صلوات المصلين): «البخل عار، والجبن منقصة»[1] إذ أن شخصاً قد يبخل بالعلم، وآخر قد يبخل بالمال، وثالث قد يبخل بماء الوجه والوساطة وما أشبه ذلك، وليتذكر قول الإمام الصادق سلام الله عليه: «**الشفاعة زكاة الجاه**»[2] والشفاعة تعني الوساطة في أمور الخير، والزكاة تعني النمو والزيادة، فالإمام عليه السلام يفيدنا أن الوساطة لا تنقص من جاهك ووجاهتك ومكانتك شيئاً، بل تزيدها وتنميها أيضاً.

وبكلمة واحدة: علينا أن نكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في خلواتنا وجلواتنا وظاهرنا وباطننا وسرنا وعلننا، وفي كل شيء يتجلى أمامنا، وعندئذ سنكون مصداق هٰذه الآية القرآنية الكريمة، بإذن الله تعالى..

صلِّ في يوم واحد ألف ركعة لله ولو لمرة!

كان الإمام الرضا (عليه الصلاة وأزكى السلام) يصلي باليوم والليلة ألف ركعة، وبأي خضوع وبأي خشوع وبأي إنقطاع لرب الأرباب!!

لكن دعنا نرجع إلى صلواتنا نحن، فتأمل كيف نصلي صلاة (الصبح) مثلاً، فإن الكثير منّا عندما ينهض لصلاة الصبح، ينهض مترنحاً، ويصليها نعساناً وينهيها على عجل!

---

(١) نهج البلاغة: قصار الحكم: الحكمة الثالثة..

(٢) بحار الأنوار: ج٧٥ ص٢٦٨ ب٢٣ ضمن ح١٠٨.

دعنا نتمهل، ونركز، ونفكر، ونتذكر ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ونحاول أن نقتدي بهديهم ونسير بمنهجهم في القول والفعل، فنحن أين والإمام الرضا (سلام الله عليه) أين؟

ولنحاول ولو ليوم واحد أن نقتدي بالإمام الثامن من أئمة المسلمين الرضا (عليه سلام الله وصلواته) وأن نصلي ألف ركعة، وحقيقة جرِّبوا ذٰلك وتقربوا إلى الله تعالى بذلك، وامتحنوا أنفسكم، فهل بمقدوركم الاستمرار حتى إكمال الألف ركعة، أو لا؟

أو تستقيلون في الأثناء؟!

ولكن حاولوا وابدأوا بعزم، وجزم..

هدية العلامة الأميني قدس سره للإمام الرضا عليه سلام الله

علينا أن نتساءل عن سر هٰذا التوفيق النادر العجيب للعلامة الأميني صاحب «الغدير»، والعناية الخاصة التي حظي بها، وهو سؤال كثيراً ما يُطرح؟

إن من أسرار توفيقات العلامة الأميني هٰذه القضية؛ ذٰلك أن العلامة الأميني صاحب «الغدير»، ذهب ذات مرة إلى مدينة مشهد المقدسة لزيارة الإمام الرضا (عليه سلام الله) ولعله فكر هٰذه المرة بشكل مختلف؛ إذ أننا كلما نذهب لزيارة إمامٍ معصوم أو أحد الأولياء، فإننا نطلب حاجة وهدية، فلماذا لا نفكر في تقديم هدية لهم ولو لمرة واحدة؟ ولكن العلامة الأميني لعله قال لنفسه: أنا مَنْ والإمام الرضا مَنْ؟! وأين أنا من ذاك الإمام العظيم؟! ولكن مع ذٰلك فمن المحبذ أن أهدي هدية للإمام وفاءً لبعض حقه عليَّ، وراح يُفكر بالهدية! فما هي الهدية التي أستطيع أن أهديها للإمام الرضا(سلام الله عليه)؟

والآن لنتوقف قليلاً:

هل فكرنا بهذه الطريقة، أن نهدي للإمام الذي نزوره هدية؟ أم كلنا نُريد منهم كل شيء ولا نفكر بأن نقدم لهم أي شيء؟ نُريد حاجاتنا، ونرغب بهباتهم، وعطاياهم، دون مقابل! فدعنا الآن نُفكر بهدية نقدمها للسيدة زينب (عليها سلام الله) يومياً، وللسيدة رقية (عليها سلام الله)، وللأئمة الأطهار (عليهم صلوات الله)..

هذا الشيخ الجليل فكر مع نفسه: عليّ أن أهدي هدية للإمام الرضا (عليه الصلاة وأزكى السلام)، و(الهدية) التي خطرت بباله هي: أن يُصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ويهديها للإمام الرضا (سلام الله عليه)..

وهذا كما تعلمون عمل صعب جداً؛ لأن البدن والجسد غير مُتعود على ذلك، ولم يكن العلامة الأميني ذلك الشخص الرياضي، بل كان عمله التأليف والكتابة والمطالعة، ومن الواضح الصعوبة البالغة للإستمرار بهذا العمل الشاق جداً.. بل حتى (الشخص الرياضي) فإنه يصعب عليه جداً صلاة ألف ركعة باليوم الواحد!

إلا أن العلامة الأميني عزم على ذلك، وأنجز ذلك بالفعل، ولمدة شهر كامل وهي فترة وجوده في مدينة مشهد، والتزم بذلك وبأي اصرار، وما استقال مما وعد طوال تلك المدة، فصلى باليوم والليلة ألف ركعة وأهداها يومياً للإمام الرضا عليه السلام..

وقيل بأن العلامة الأميني صنع ذلك ولا مانعة جمع بين الوجهين كي يثبت عملياً إمكان ووقوع صلاة ألف ركعة باليوم والليلة، بعد أن شكك بعض المخالفين من أهل الخلاف في ذلك!

وبذلك يظهر لنا وجه آخر لمعنى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، وذلك بأن لا أفكر بأن آخذ فقط، بل أفكر في: ماذا أعطي، وكيف أعطي؟

أيضاً، وإن كان هٰذا العطاء، والإعطاء مُجهداً وشاقاً ومتعباً.

استراحات الإمام الرضاعليه السلام الثلاثة

ولنرجع إلى صلاة الإمام الرضا (عليه سلام الله) فإنه «صلوات الله عليه» رغم كثرة أعبائه ومسؤولياته، كان يُصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، كانت له ثلاث استراحات خلال ذلك:

الاستراحة الأولى: كانت في صدر النهار..

الاستراحة الثانية: قبل الزوال..

الاستراحة الثالثة: عند اصفرار الشمس، أي قبل غروب الشمس بقليل، عندما تميل الشمس للاصفرار..

لكن (استراحة) الإمام في هٰذه الفترات الثلاثة، لم تكن بمعنى النوم، بل كان يجلس فيها وينشغل بالدعاء والمناجاة، أو ببعض اللقاءات الخاصة بشيعته، وذلك رغم أن صلاة ألف ركعة أمر صعب جداً، فإن الرجل القوي إذا صلى (٣٠٠) ركعة يتعب فكيف بألف؟!

وهكذا كان يجلس الإمام في صدر النهار وينشغل بالمناجاة، وقد يظهر من الروايات أنها كانت فرصة أيضاً للّقاءات الخاصة؛ إذ أن عدداً من المؤمنين زاره في تلك الحالة..

يقول الراوي: دخلنا عليه فوجدناه (جالساً يفكر) كما في رواية، وفي رواية أخرى أنه كان (مشغولاً بالمناجاة)، ويحتمل تعدد القضية واللقاءات.

وهكذا نجد أن الإمام (عليه سلام الله) حتى هٰذه الثواني القليلة، كان يستثمرها خير استثمار، ويقضيها في التفكير في عظمة الله سبحانه وتعالى، وفي خدمة الناس وشؤون الإسلام والمسلمين.

إذن، قوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ يعني: أنّ على الإنسان أن يتذكر صفات الصادقين ومواصفاتهم وأعمالهم، فيكون معهم قدر ما يستطيع، ويبذل قصارى جهده لذلك؛ ليصل إلى ما يمكن أن يصل إليه، وإن كان الفاصل بيننا وبينهم صلوات الله عليهم أكبر من الفاصل بين الذَّرة والدُّرة، أو الحبّة والمجرّة، أو تخوم الأرض إلى عنان السماء، إلا أن الأمر كما قال أمير المؤمنين علي (صلوات الله وسلامه عليه): «**أَلا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ أَلا وَإِنَّكُمْ لا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ**».[1]

الإمام عليه السلام يتصدق بكل أمواله ويقول «إن هٰذا لمغنم»!

ولننتقل الآن إلى استعراض نموذج آخر من ملامح عظمة الإمام الرضا عليه سلام الله ومظاهر وهو: (صدقه عليه السلام) مع (ربه) جلّ وعلا؛ إذ سجّل لنا التاريخ القضية التالية:

إن الإمام الرضا (عليه سلام الله) في (يوم عرفة) قام بعمل فريد، حيث أنه صلوات الله عليه في ذٰلك اليوم (خرج من أمواله بأجمعها في سبيل الله) أي أنه أعطى وبذل كل ما يملك، أي كل شيء كان عنده، كبيراً كان أم صغيراً، حقيراً كان أم جليلاً، منقولاً كان أم غير منقول، خرج منها بأجمعها في سبيل الله..

وذلك ما أثار استغراب الفضل بن سهل فإنه رغم ذكائه، إلا أنه كان من الناس الذين يفكرون بالمنطق المادي وليس بالمنطق الإلهي والغيبي، الذي يقول: الله أعطاك من غير استحقاق، وكان له أن لا يعطيك، وقد

(١) نهج البلاغة الكتب: ٤٥ كتابه عليه السلام الإمام لواليه عثمان بن حنيف والي البصرة..

طلب منك الإنفاق، فأنت إذن أعطِ في سبيل الله كما أمر، فلماذا تبخل؟! ثم إن الله جواد وكريم، وسوف يزيد عطاءه لك «**إذ تنزل المعونة على قدر المؤونة**»(١)، هذا إذا كانت للإنسان ثقة بالله، ولكن الفضل بن سهل تفكيره مادي ضيق ـ كما يُفهم من هٰذه الرواية وكما يشهد به التاريخ ـ.

ولعله لأن الإمام عندما كان في خراسان في ذاك الوقت، كانت عنده ثروات كثيرة، وأموال طائلة، وربما كانت فترة ولاية عهده؛ لذا قال له الفضل بن سهل: (إن هٰذا لمغرم) أي أن هٰذه خسارة وغرامة كبيرة، أن تخرج كل أموالك في سبيل الله؟!

ولكن الإمام الرضا (عليه سلام الله)، قال له: «إن هٰذا لمغنم» ولاحظوا (الفارق) الكبير بين (المنطقين)؛ إذ قال له الفضل بن سهل: (إن هٰذا لمغرم)؟!، فقال عليه سلام الله: «**بل هو المغنم، لا تعدَّنَّ مغرماً ما ابتعت به أجراً وكرماً**»؟!..(٢)

وهذا يعني: أن الفضل ومن على شاكلته، لا يفهمون الحقائق والواقع، ومعادلات الكون الأعمق من الظاهر الذي يرونه؛ فإن (الانفاق) هو (الغنيمة)، وهذا هو المغنم حقاً، فإن الواحد بمنطق السماء عندما يعطي درهماً فإنه سوف يحصل على (مليار) بل أكثر بما لا قياس، أليست هٰذه هي الغنيمة الحقيقة.؟!

لم يفْنَ إلا الرقبة!

وهذا المنطق المادي كان قد جرى مع جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في قضية عائشة؛ إذ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين، كانوا تحت ضغط الفقر

(١)نهج البلاغة: قصار الحكم: ١٣٥.

(٢)راجع بحار الأنوار: ج٤٩ ص١٠٠ عن مسند الإمام الرضا عليه السلام .

الشديد في ذٰلك الوقت، وزوجات النبي كغيرهن ما كن يحصلن على اللحم إلا نادراً، وربما كانت تمر أشهر طويلة لا يأكلون فيها اللحم..

وفي هٰذه الفترة الحرجة أهدى شخص للرسولﷺ شاة، فبدأ النبي يوزع الشاة على فقراء المسلمين، فلم يبقِ منها إلا الرقبة، فخافت عائشة أن يهديها ـ أي الرقبة ـ للناس أيضاً ولا يبقى لهم شيء، فقالت: يا رسول الله لم يبقَ إلا الرقبة؟!..

فقال رسول اللهﷺ: «**لم يفنَ إلا الرقبة**»..[1] أي أن هٰذا الذي نستبقيه لأنفسنا هو الذي قد فني، وأما ذاك الذي أنفقناه فهو الذي سيبقى محفوظاً عند الله، والله يضاعف سبعمائة مرة، بل بلا حساب..

إن علينا جميعاً أن نتعلم من ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وأن نكون معهم، ولا يجب بالضرورة أن تكون لديك أموال طائلة لتنفقها كلها أو نصفها أو ربعها أو خمسها أو عشرها في سبيل الله تعالى، بل حتى لو كان لك الشيء القليل من الأموال، أو الكتب، أو بعض الملابس، أو أي شيء غير ذلك، فإن علينا أن ندرِّب أنفسنا على (الانفاق) ونروضها على (العطاء) ونربيها على (البذل)...

وبذلك يفتح الله تعالى لنا أبواب رحمته وأبواب عطائه ورزقه، إضافة إلى ما لذلك من الأثر الكبير على (تماسك) المجتمع، وما ينتج عنه من قوة وإزدهار، وما سيسببه من (حصانة) أمام الأخطار والأعداء، ثم في (الآخرة) الأجر العظيم الإلهي اللامحدود.

---

(١)انظر سبل الهدى والرشاد: ج٧ ص١٨٦ فيما أكله (صلى الله عليه وآله) من لحوم الحيوانات. وفيه: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر أن تذبح شاة فيقسمها بين الجيران قال ـ الراوي ـ: فوزعها بين الجيران..قالت عائشة: ما بقي عندنا منها إلا الذراع؟! قال (صلى الله عليه وآله): «بقي كلها إلا الذراع».

والكثير منكم يعرف أحد كبار العلماء[1] الذي كان شخصاً زاهداً حقاً، وقد توفي رحمة الله تعالى عليه منذ سنين، وكان إرثه فقط:

١. (نظارته) وكان إطارها مكسوراً، وقد شدّه بخيط!

٢. (ملابسه).

٣. (بعض الكتب).

٤. وأشياء من هٰذا القبيل؛ إذ كانت لديه مثلاً (طاولة) معمِّرة! عمرها سنين وكان يستفيد منها للكتابة، وكانت مكسورة، ومرممة عدة مرات، كان هٰذا هو إرثه الذي خلّفه لوراثه!

إن هٰذا الإنسان هو الذكي الزكي حقاً؛ لأنه يعرف أنه لم يخلق للدنيا وإنما خلق للآخرة، فأعدّ واستعد لآخرته، وعبّد الطريق إلى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

ولذا قال الإمام الرضا عليه سلام الله: «**لا تعدن مغرما ما ابتغيت به أجراً وكرماً..**»

وهكذا الإنسان عندما يكون ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيستذكر هٰذه المعاني، ويفكر فيها، ويحاول أن يتأسى بهم بالقدر الذي يمكن، فإن الله ﷻ عندئذ سيُيَسّر له سُبل الهداية والرشاد..

(١)وهو الإمام الراحل المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره مؤلف سيدة الموسوعات الفقهية.

من مواصفات الإمام الرضا عليه سلام الله

وهناك رواية رائعة، تستعرض بعض صفات الإمام الرضا عليه السلام وسنقتطف منها ما يلي؛ كي يكون صلوات الله عليه، أسوة لنا وقدوة، ولكي نكون بذلك ﴿مَعَ الصَّادِقِينَ﴾:

فعن أبراهيم بن العباس، قال: «ما رأيت أبا الحسن الرضا (عليه سلام الله) جفا أحداً بكلمة قط.

ولا رأيته قطع على أحد كلامه حتى يفرغ منه.

وما رد أحداً عن حاجة يقدر عليها.

ولا مد رجليه بين يدي جليس له قط.

ولا اتكأ بين يدي جليس له قط.

ولا رأيته شتم أحداً من مواليه ومماليكه قط.

ولا رأيته يقهقه في ضحكه قط، بل كان ضحكِهِ التبسم..

وكان إذا خلا ونصب مائدته، أجلس معه على مائدته مماليكه ومواليه حتى البواب والسائس.

وكان (عليه سلام الله) قليل النوم بالليل، كثير السهر، يحيي أكثر لياليه من أولها إلى الصبح.

وكان كثير الصيام، فلا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر، ويقول: «ذٰلك صوم الدهر».[1]

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١، ١٩٨.

وكان (سلام الله عليه) كثير المعروف والصدقة في السر، وأكثر ذٰلك يكون منه في الليالي المظلمة، فمن زعم أنه رأى مثله في فضله فلا تصدق).[1]

فالإمام ما جفا أحداً بكلمة قط، أي أنه صلوات الله عليه، لم يتكلم بكلام حاد أو عنيف، بل حتى بكلام خشن، مع شخص مطلقاً، ولنتأمل جيداً: ما أصعب ذٰلك وأشقّه! وما أعظمه من مكرمة ومنقبة! فإن الإنسان أعصابه تستثار طبيعياً من مشاكل الحياة، ويقع تحت الضغط العصبي، والنفسي، والتوتر، إلى غير ذٰلك من الأمراض والأعراض المألوفة.

ومن الواضح أن مشاكل الحياة، وضغوط الناس، وغيرها تثير أعصاب الإنسان وإلى أقصى حد أحياناً، فمن الطبيعي أن ينفجر المرء في لحظة ما، إما في وجه صديقه، أو زوجته، أو أولاده، على الأقل بكلمة خشنة أو نابية، وإذا كان ممن يتورع عن الحرام، فإنه سيسيطر على أعصابه بشدة كي لا يسب، ولا يشتم أو يجرح بقول جارح جداً، لكنه مع ذٰلك قد تفلت منه (كلمة خشنة) أو (جافة)، ولكن الإمام (عليه سلام الله) ما جفا أحداً بكلمة قط، وما أعظم دلالة (قطْ)؟!

وهكذا كان الإمام الرضا (عليه سلام الله) مصداقاً من أعظم مصاديق ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ الذين أمرنا الله تعالى بإتباعهم في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.

---

(١) عيون الاخبار: ٢ ـ ١٨٣، ومناقب آل ابي طالب عليه السلام: ج ٤ ص٣٦٠ فصل في مكارم أخلاقه ومعالي أموره عليه السلام.

هارون يهدي خراج (الموصل) لمُغَنِّية!

في الإتجاه الآخر نرى غير ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ كهارون الرشيد وليس بالرشيد، هٰذا الظالم المستبد كان حاكماً على الدولة الإسلامية العريضة، التي كان حاكمُها يخاطب السحابَ فيقول: (أينما أمطرت سيأتيني خراجك) وذلك لأنه يزعم أنها ستمطر في (بلاده)! إذ أنه يرى أن بلاد الله صارت بلاده وملكه الشخصي..

وكانت لهارون صاحب العصر العباسي الذهبي! (جارية) وكانت هٰذه الجارية الحظيّة (مغنية) وفي يوم من الأيام، جُبيت إليه أموال هائلة من الموصل، و(الموصل) منطقة غنية ذات أموال وفيرة، وناسها أناس أقوياء أصحاء، وهي ذات أراضي زراعية خصبة، لكونها تقع على ضفاف نهر دجلة، وكانت في زمن العباسيين حلقة الوصل بين الشمال والجنوب، وحلقة الوصل بين الأجزاء الغربية والشرقية للدولة العربية، كما أنها تتمتع بعذوبة مائها ولطافة هوائها، فكانت فيها خيرات كثيرة، وهي إلى ذٰلك كانت تعد مركزاً تجارياً مهماً، فكان ما جُبي إليه منها شيئاً هائلاً من الأموال والضرائب.

ومن الواضح أن على (أمير المؤمنين)! أن يُصرف هٰذه الأموال في مصالح الإسلام والمسلمين، وأن تُعبَّد بتلك الأموال الطرق والشوارع، وتجرى بها الأنهار، وأن يعطى منها ما يكون (رأس مال) للعاطلين عن العمل، حتى يعملوا، وأن يزوج بتلك الأموال العزاب، وتبنى بها الدُّور، إلى غير ذٰلك من مصالح العباد والبلاد، فإن هٰذه مسؤولية الحكومة، والأموال هي أموال الناس، فلا تصرف إلا في مصالحهم، لكن هارون الرشيد! وبكرم حاتمي! (أهدى) كل خراج الموصل (لإحدى مغنياته)!!

نعم هكذا، «**يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ**»[1] كما قال أمير المؤمنين علي (سلام الله عليه).

وعندما سمع (أبو العتاهية) بذلك، قال: (سبحان الله، مالٌ خطير يُهدى لجارية، وأنا لا يعلق بكفي شيء منه؟!) فإذا كانت (جارية) واحدة تأخذ هٰذا الكم الهائل من الأموال وبالملايين، وأنا أبو العتاهية عملاق في الشعر والأدب، فيجب أن أحصل على بعض المال لو لم يكن كله! فأنشأ ثلاثة أبيات من الشعر في مدح هارون، وذهب إلى هارون وأنشدها عنده..!

وهارون (كريم) من مال الله! (كريم) من بيت المال! (كريم) من مال الأمة! فأعطاه عشرين ألف درهم، وأهداه خمسة آلاف أخرى!! لأنه مدحه وتملقه، بدل أن يعمل بأمر رسول الله ﷺ حيث يقول: «**احثوا في وجوه المداحين التراب**».[2]

لاحظوا وتأملوا: خراج الموصل، والمأخوذ غصباً من الناس، والكثير منهم فقراء محتاجون إلى الدرهم منه، يُرسل للخليفة لينفقها في مصالح الإسلام والمسلمين، فيهبها لجارية! ثم هٰذا الكرم الحاتمي يدفع أبا العتاهية ليقول: هٰذا المال الخطير يهدى لجارية ولا تعلق بكفي شيء منه.. فينشئ ثلاثة أبيات من الشعر، لينال من ذٰلك المال الحرام..

أما الإمام الرضا (عليه سلام الله) فإنه الذي يجسد ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، لذا نجده يخرج من أمواله بأجمعها في يوم عرفة في سبيل الله، مما أثار استغراب ذاك الوزير فيقول الذي قال، ويجيبه الإمام بما أجاب...

(١)نهج البلاغة الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية..

(٢)وسائل الشيعة: ج١٧، ص١٨٣، ب٤٣، ح١، وفي مضمونه في صحيح مسلم: ج٨، ص٢٢٨، وسنن الترمذي: ج٤، ص٢٦.

وهارون يعتبر التجسيد للجبهة المقابلة؛ ولذا نجده يهدي خراج (الموصل) بأكمله لجارية مغنية ويعطي أموالاً طائلةً لمن يتملقه بأبيات من الشعر..!!

والآن لنرجع إلى أنفسنا، فإن كلاً منّا ليس بالضرورة أن يكون ملكاً، أو يكون حاكماً، حتى يكون على محكّ ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أو (الكاذبين)؛ إذ أن كل إنسان هو على المحك دوماً، ويجري (امتحانه) على مدار السنين والأيام والساعات؛ إذ أنه بمقدارٍ ما وحسب حجمه، يمتلك (سلطة) ولو محدودة على بيته، أو على أصدقائه، أو على الموظفين في الشركة، أو على الطلاب أو الزملاء في الجامعة، أو في المدرسة أو غيرها، فما الذي نعمله؟

هل ننتهج نهج ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أم نسلك سلوك غيرهم؟

ويهدي (هارون) مغنياً مليون درهم!

وإليكم روايتين للعبرة؛ كي نعرف منهج ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ كيف هو؟

ومنهج (الكاذبين) كيف؟

فقد ذكر لنا التاريخ[١] أن إبراهيم بن المهدي ـ وهو مغني معروف ـ غنّى بأغنية في محضر هارون اللارشيد، فأعطاه هارون من بيت مال المسلمين، ألف ألف درهم، أي مليون درهم، من أموال من؟

من أموال المسلمين، قربة إلى من؟ قربة إلى الشيطان!

إن هٰذا هو التجسيد الواضح لـ(الإمّعة)، ولـ(المعمع) الذي يتبع الأهواء والشهوات ولا يعرف إلا لَذّاته..

(١) كما ورد في كتاب «الأغاني».

ثروة هارون، وأحدِ ولاته!

وجاء في كتاب «تاريخ الطبري» بأن والي هارون على خراسان بلغت ثروته (٨٠ ألف ألف)، أي ٨٠ مليوناً، المليون في ذٰلك الزمن رقم نادر، وكان من الصعب أن يُنال هٰذا الرقم، بل قليلاً ما كنت تسمع ألف ألف، لكن ثروات هٰذا الوالي كانت (٨٠ مليوناً)!! ولعل قوتها الشرائية تُعادل بمنطق هٰذا اليوم (٨٠ ملياراً)، أو أكثر.

والسؤال هو: من أين جاءت هٰذه الأموال؟ ألم تكن أموال الخراج والمقاسمة والضرائب التي تؤخذ من عرق جبين الفقراء والمساكين؟!.

ثم إنه إذا كانت هٰذه ثروة والي خراسان، كما يذكره (الطبري) فثروة هارون كم كانت؟!

ستجدون جواب هٰذا السؤال في «مروج الذهب» كما سنشير له بعد قليل، بإذن الله تعالى..!

وفي المقابل نجد أن الإمام أمير المؤمنين علي (عليه سلام الله) عندما يستشهد في محرابه، كان مديوناً بـ(٨٠٠ ألف درهم، أو ٧٠٠ ألف درهم)، وفّاها عنه بعد شهادته، الإمام الحسن السبط (عليه سلام الله).

ولعمري إن هٰذا هو الحاكم الزاهد الورع المتقي الذي يجسد مجموعة ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ الذين أمرنا أن نكون معهم بنص قوله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.

ولكن لننظر كم خلّف هارون عندما مات؛ لقد خلف من الثروات، (مئة مليون دينار ذهبي) وحسب تعبيرهم (مائة ألف ألف) والتي تعني مئة مليون دينار..

وكانت هٰذه هي الأموال النقدية، وأما غير النقدية من الفُرُش والمجوهرات وما أشبه ذلك، فخلّف أيضاً، منها ما يعادل مائة مليون دينار، وخمساً وعشرين ألف دينار، إنه لأمر غريب حقاً!! بل إنه رهيب صدقاً.. أن (تضيع) أموال المسلمين هباءً هكذا، وأن تتحول أموالهم إلى إرث شخصي لحاكم جائر!!

وهذا هو ما ظهر للناس، وأما ما خفي عنهم فهو أعظم بلا شك.. وهذا هو ما نقله المؤرخون ومنهم المسعودي في «مروج الذهب»، والأخبار في هٰذا الحقل والشواهد والأمثلة على ذٰلك كثيرة.. لكن نكتفي بهذا القدر، ففيه عبرة لمن اعتبر وذكرى لمن إدّكر..

ختاماً:

ليتذكر كل واحد منّا دوماً قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ وأنّ عليه أن يكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ بقلبه وقالبه، بجوارحه وجوانحه، بفكره وسلوكه، وفي كل مناحي حياته، بل بشراشر وجوده، فإذا كان كذلك كان ممن رضي الله ﷻ عنه من أتباع الصادقين: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فأحرز خير الدارين وفاز بالحسنيين.

وربنا ﷻ يقول: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾.[1]

(١) الإسراء: ١٨_٢١.

وفي مضمون رواية (من أراد الدنيا فإن الله لا يعطيه لا الدنيا ولا الآخرة)[1] إذ إنه في دنياه حتى لو كان أثرى الأثرياء، فإنه سيعيش في دوامة من القلق، والكآبة، والمشاكل، والتفكك الأسري، إلى آخر ما هنالك من مآسي وآلام وعلل وأسقام.

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم لكي نكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ حقاً وصدقاً، إنه سميع مجيب..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين..

(١) انظر الكافي: ج١ ص١٧ كتاب العقل والجهل ضمن ح١٢. وفيه عن الإمام الصادق (عليه سلام الله) قال لهشام بن الحكم ـ في حديث ـ: «الدنيا طالبة ومطلوبة والآخرة طالبة ومطلوبة فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة، فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته..».

[٥]

العلاقة العلية والمعلولية التبادلية بين (التقوى) و(الكون مع الصادقين)

الإمام الجواد عليه السلام والحجج الالهية والادلة الربانية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين بارئ الخلائق أجمعين، باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾.[1]

في الأبحاث الماضية جرى بعض الحديث عن هٰذه الآية الشريفة، وفي هٰذا البحث سنشير بإذن الله تعالى إلى جوانب أخرى، كما سنتحدث عن الإمام الجواد (عليه الصلاة وأزكى السلام) بمناسبة أيام شهادته، في إطار هٰذا الكلام السماوي الإلهي، وهذه الآية القرآنية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾..

ما هي العلاقة بين (التقوى) و (الكون مع الصادقين)؟

السؤال الذي قد يخطر في البال، هو: ما هي العلاقة بين (التقوى) المأمور بها في بداية الآية الكريمة، وبين (الكون مع الصادقين) في الشطر الثاني أو الفقرة الثانية من الآية الشريفة، فإن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ هو الأمر الأول، بعد ذٰلك مباشرة يقول الله ﷻ: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾، فما هي العلاقة بين هذين الأمرين الإلهيين؟

يمكن أن يقال: بأن العلاقة هي علاقة العليّة والمعلولية، وذلك صحيح، ولكن قد يتساءل أنه على تقدير ذلك، لماذا لم يستخدم الله سبحانه فاء التفريع، بل استخدم الواو، أي لم يقل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ـ إخباراً ـ أو (فكونوا مع الصادقين)[2] ـ إنشاءاً ـ؟ كما هو مقتضى القاعدة؛ لأن التقوى تدفع الإنسان دفعاً لكي يكون ﴿مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾؛ فإن مَنْ اتقى الله ﷻ فإنه سيكون مع رسول الله ﷺ وسيكون مع الإمام علي بن أبي طالب (عليهما الصلاة

(١) التوبة: ١١٩.

(٢) كما تقول: (أدخل المسجد فصلِّ).

وأزكى السلام)، وسيكون مع أئمة المسلمين الحسن المجتبى، والحسين الشهيد بكربلاء، وعلي السجاد، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعلي الرضا، ومحمد الجواد، وعلي الهادي، والحسن العسكري (صلوات الله وسلامه عليهم)، ثم الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عجل الله فرجه..

فما هي العلاقة بين التقوى، وبين الكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾؟

ثم على تقدير كون العلاقة هي علاقة: (عليّة) التقوى للكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، لِمَ استخدم الله تعالى الواو، وهي تستخدم لمطلق الجمع، ولم يستخدم الفاء؟

هل العلاقة هي (العلّيّة التبادلية)؟

ربما يقال أو قد يُستظهر: أن العلاقة هي نمط خاص جداً من أنماط علاقة العلية والمعلولية بين الشيئين؛ فإن العلاقة بين (التقوى) و(الكون مع الصادقين) هي (علاقة العلية والمعلولية التبادلية) وذلك بمعنى أن (التقوى) هي علة (للكون مع الصادقين)، وبالعكس أيضاً؛ أي أن (الكون مع الصادقين) هو علة (للتقوى) كذلك، فلأن (المأمور به) الأول علة (للمأمور به) الثاني، ولأن (المأمور به) الثاني علة (للمأمور به) الأول في الوقت نفسه؛ لذا استُخدمت الواو التي تفيد مطلق الجمع، ولعلها الوحيدة من الأدوات التي تنسجم وتتجانس مع العلية والمعلولية من كلا الإتجاهين المتقابلين.[1]

وتوضيح ذلك: إن من الواضح أن العلة متقدمة على المعلول، وأجزاء العلة متقدمة على أجزاء المعلول، فلا يمكن ـ فلسفياً ـ لشيء أن

(١) فإن الأدوات الأخرى مثل: (ف، ثم، إذا ..) ذات إتجاه واحد فقط.

يكون علة لشيء ويكون معلولاً له، فإن النار مثلاً، علة للدخان ولا يعقل أن يكون الدخان علة لها، فكيف ندعي بأن العلاقة هي علاقة العلية والمعلولية التبادلية الطرفينية؟

وبعبارة أخرى: إن العلة متقدمة على المعلول رتبة، أما (زماناً) فإن العلة التامة مقارنة للمعلول زمناً بوصف كونها علة، لكن أجزاء العلة متقدمة في عالم الكون والفساد عادة زماناً على معلولها، فمثلاً: الأب الذي هو جزء العلة المعدة لوجود الولد، متقدم زمناً على الولد، فلا يوجد الابن لولا وجود الوالد، فهل يُمكن أن يكون الابن جزء العلة المعدة لوجود والده؟ كلا..

وبعبارة أخرى: مقتضى القاعدة أن تكون نسبة (العلة) إلى المعلول هي نسبة العالي للداني، وأن يكون الإتجاه اتجاهاً نزولياً، أي اتجاهاً من طرف واحد وليس من الطرفين، فكيف نقول: هنا العلية والمعلولية تبادلية، أي: أن (التقوى) علة (للكون) مع إمام الكائنات علي بن أبي طالب (عليه سلام الله)، و(الكون) مع أمير المؤمنين ومولى الموحدين (عليه صلوات الله وصلوات المصلين) علة (لتقوى) الله تبارك وتعالى؟

نقول في الإجابة على ذلك: هنالك مطلبان:

المطلب الأول يعدّ مقدمة تمهيدية.. والثاني يشكّل لب الجواب.

هل العلاقة هي علاقة (الدور المعي)؟

أما المطلب التمهيدي: فهو أن هنالك ما يسمى بـ(الدور المعي) فرغم أنه لا يمكن أن يتوقف الشيء على ما يتوقف عليه عقلاً، لكن (الدور المعي) خارج موضوعاً عن ذلك، وذلك ككتابين تسند أحدهما للآخر بطريقة فنيّة، بحيث أن هٰذا الكتاب يسند ذاك ويمنعه من أن يسقط، وذاك يسند هٰذا ويمنعه من السقوط، فكل واحد منهما لا يقف إلا بصاحبه..

فلو وضعت الكتابين بهذه الطريقة أي كرقم ٨، فإنهما يشكلان ظاهرة (الدور المعي)، وهذا مثال تقريبي توضيحي للدور المعي حيث أن كلاً منهما يتوقف على صاحبه.

المطلب الثاني: إن ما ذكر كان تقريباً للذهن، لكن المقام ـ أي العلاقة بين (التقوى) و(الكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾) ـ ليس من هٰذا القبيل، وإنما المقام من قبيل آخر وهو: أن التقوى ـ دققوا جيداً لأن هٰذا البحث جداً مهم ـ من (الحقائق التشكيكية)[1] ذات المراتب، والكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ (عليهم صلوات المصلين) أيضاً من (الحقائق التشكيكية) ذات المراتب، ونقصد من العلاقة العلية والمعلولية التبادلية أو المتعاكسة: أن مرتبة من مراتب التقوى هي علة لمرتبة من مراتب الكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، ثم إن تلك المرتبة من مراتب الكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ تكون علة لمرتبة أخرى أسمى من مراتب التقوى، ثم تلك المرتبة الأسمى من مراتب التقوى تكون علة لمرتبة أسمى من مراتب الكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.. وهكذا وهلمَّ جراً.

فالعلاقة علاقة علّية ومعلولية تبادلية، لكن لا بمعنى أن نفس (المرتبة من التقوى) هي علة (لمرتبة من الكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾) ونفس تلك المرتبة هي معلول لها، كلا.

لأنه يستحيل أن يكون الشي علة ومعلولاً في الوقت نفسه، إلا أنه يمكن أن تكون مرتبة أُولى من (ألف) علةً للمرتبة الأولى من (باء)، ثم مرتبة (باء) هٰذه تكون علة لمرتبة أسمى ثانية من (ألف) وهكذا دواليك..

---

(١)وذلك سواء قلنا بأصالة الوجود فالتشكيك في نفس الوجود، أم قلنا بأصالة الماهية، فالتشكيك في نفس الماهية أي نفس التقوى مثلاً، لما هو الحق من إمكان ووقوع التشكيك فيهما وعدم صحة دعوى العدم.

إذن؛ هٰذا المفهوم حقيقي وواقع، وهو مفهوم هام جداً.

وذلك لأن الإنسان كلما إزداد تقوى من الله وخوفاً منه وورعاً، فإنه يزداد تمسكاً وتشبثاً بالصادقين (عليهم صلوات المصلين).

وكلما إزداد تمسكاً بالصادقين واستماعاً منهم وإتباعاً لهم والتزاماً بأوامرهم وامتثالاً وطاعة لهم، فإن الله يهبه رتبة أعلى من التقوى.

وهكذا تكون المسيرة: مسيرة تكاملية تصاعدية، إلى أن يلتحق بعد عمر طويل ونلتحق إن شاء الله في الفردوس الأعلى بمحمد وعلي وآلهما (عليهم الصلاة وأزكى السلام)، إنه سميع الدعاء، فعال لما يشاء.

وهنالك أمثلة كثيرة جداً في عالم التكوين وفي عالم التشريع، لما هو من هٰذا القبيل:

أ. الصديقان والتأثير المتبادل

المثال الأول: (الصديقان)، ذٰلك أن من (الحِكَم) و(الأسباب) الأساسية وراء ضرورة أن ينتخب كل شخص: الصديق الصدوق المهذب المتقي الورع، هو السبب التالي: لأنك عندما تكون متقياً، وتكون لديك مرتبة جيدة من التوجه إلى الله سبحانه وتعالى، فإنك ستنتخب صديقاً صدوقاً من هٰذا القبيل، وعندئذٍ ستكون أنت ممن يزيده نوراً وولاءً لأهل البيت عليهم السلام وبراءة من أعدائهم، والعكس بالعكس، أي أنه كما سيكون هو أيضاً ممن يزيدك نوراً وقرباً وحباً وبغضاً حباً: بالتولي، وبغضاً: بالتبري وهذا شيء طبيعي وملموس وبديهي.

وبعبارة أخرى: لِمَ حُذِّرتَ وحُذرنا من أن نصاحب الصديق السيئ في فكره، أو عقيدته أو سلوكه أو تعامله الاجتماعي؟ إن ذٰلك إلّا لأن العلاقة هي علاقة علية تبادلية بينك ذاك البعيد وبينه، فإن ذاك يعلِّم هٰذا أمراً سيئاً، وهذا يعلِّمه أمراً آخر سيئاً، هٰذا يغتاب ـ مثلاً ـ فيوقع صاحبه

في إثم، وذاك يعلمه غيبة ثانية فيوقعه كذلك في إثم ثانٍ، وهكذا الحال في غيبة ثالثة، ورابعة، وخامسة، وهلم جراً.

فالعلاقة إذن هي: علاقة علية تبادلية على حسب مراتب الصداقة والأخوة وغيرهما.

ب. الزوجان والتأثير المتعاكس

مثال آخر: امرأة وزوجها، ولنفرضهما سيئي الأخلاق، فكلما تزداد هي شراسة لأنها تتصور أنها عندما تجابهه بشدة فإنها سوف توقفه عند حدِّه، فإنه يزداد إبتعاداً عنها وشراسة أكثر فأكثر، ولكنها لو فكرت أن تغيِّر الأسلوب من العنف والشراسة، إلى أسلوب الحب والود والإحترام، لكانت النتائج إيجابية، ولعلها تكون مبهرة، وإن احتاجت إلى بعض الصبر والزمان..

كما أن العكس أيضاً كذلك؛ إذ أنه يتصور أنه عندما يصفعها، أو يقرعها بمُرّ القول، فإنه سيوقفها عند حدها ويؤدبها.. لكنه ـ من حيث يدري أو لا يدري ـ يزيدها بذلك عدوانية وشراسة؛ لأنه كلما احتدَّ معها أكثر، كلما هيّجها الشيطان وأثار غضبها أكثر فأكثر حتى تمد لسانها عليه أكثر، وهكذا وهلم جراً.

والإنسان إذا علم بأن العلاقة بين سوء خلقه وخلقها، هي علاقة علّيّة معلولية تبادلية متعاكسة، علم أن عليه أن يغير المعادلة من سوء خلق واعتداء، إلى حسن خلق ومحبة.

وكذلك الحال في العلاقة بين سوء خلق رب العمل وعماله، أو العلاقة بين الأساتذة والطلبة.

ج. الدولة والشعب والتأثير المتصاعد

وكذلك الأمر ـ تماماً ـ في العلاقة بين (الدولة) و(الشعب)، فكلما إزدادت الدولة (ظلماً) للشعب، كلما إزداد الشعب نفوراً منها، وكلما إزداد نفوراً منها وازداد تحدياً لها، كلما إزدادت ظلماً وعدوانية وحصاراً وسجناً... حتى تسقط غير مأسوف عليها.(١)

وهكذا نجد أن (الفرد) و(المؤسسة) و(الحزب) و(النقابة) و(مطلق التجمعات) وكذلك (التجمع) و(الحاكم) و(الشعب) لو أدركوا بأجمعهم: أن العلاقة في (الفضائل) وفي (الرذائل) وفي (الإحسان) و(الإساءة)، هي من هٰذا القبيل، لغيّروا ما بأنفسهم، فبدل أن يواجه بعضهم بعضاً بالحدَّة والشدة والعنف، فإنه سيواجه بعضهم بعضاً باللطف والمحبة والعدل والإنصاف والإحسان.

والحديث في هٰذا الجانب التكويني طويل، لكن موجزه هو:

إن العلاقة بين (التقوى) وهي الأمر الأول؛ إذ يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وبين ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وهو الأمر الثاني: هي أنه كلما اتقيت الله تعالى أكثر، كلما استقمت على الصراط المستقيم، ولم تحِد عنه حتى بمقدار ذرة واحدة، وكلما فعلت كذلك والتزمت أوامرهم ونواهيهم وعشت معهم في كل لحظة من لحظات حياتك، كلما أفاض الله عليك من النور، ومن الخشية، ومن درجات الورع والتقوى، ومن مراتب القرب أكثر فأكثر.

فالعلاقة إذن، هي علاقة تبادلية علّيّة معلولية متعاكسة من الطرفين.

---

(١)وهذا ما وجدنا عليه أحوال الحكومات الظالمة، كحكومة بني أمية وبني العباس وبني عثمان... ثم أمثال: صدام، وكل باغ وطاغ وهدّام.

والآن بعد أن اتضح ذلك، سننطلق لبحث إحدى الجهتين، ففي الجانب الأول وهو إتجاه (التقوى) نحو (الكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾) وتأثيرات التقوى التي يتحلى بها الإنسان على نمط علاقته (بالصادقين)، سنجد تأثيرات ثلاثة وهي:

(التقوى) علة:

أ. للبحث عن (﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾).

ب. وللكون معهم.

ج. ولنصرتهم.

ذلك أن التقوى هي علة (للكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾) و(لِمَا يعد من العلل المعدة لذلك)[1]؛ فإن هنالك أضلاعاً ثلاثة تشكل بمجموعها (آثار التقوى) وتوضح البناء الهندسي لـ(المعلول):

الضلع الأول: التقوى تدفعك دفعاً لكي (تبحث عن الصادقين) فتتعرف عليهم. و(البحث) هو (المقدمة الموصلة) بإذن الله تعالى.

الضلع الثاني: أن التقوى تدفعك دفعاً لكي (تكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾) وتتأسى وتقتدي بهم وتستضيء بنور علمهم.

الضلع الثالث: أن التقوى تدفعك دفعاً (لنصرتهم)، وللدفاع عنهم، وللذود عن حياضهم، وللذبّ عن حريمهم.

و(النصرة) هي (لازم) الكون مع الصادقين، إن لم يكن مصداقاً من مصاديقه ـ فتأمل.[2]

---

(١)أي للكون معهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

(٢)إذ التأسي والإقتداء بهم كذلك، إلا أن يراد بالكون معهم أن يكون في جمعهم وحزبهم، وما عداه لازم، وربما يقال بتعميم (الكون معهم) إلى ذلك كله في المتفاهم العرفي، والأمر في

إذن: التقوى هي علة للكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ بمراتبها الثلاثة:

١. البحث عن الصادقين واستكشاف ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ والتعرف على الصادقين، أولاً.

٢. الكون معهم والتأسي بهم، ثانياً.

٣. الدفاع عنهم ونصرتهم، ثالثاً.

في هٰذا البحث سنقتصر في الكلام على الجانب الأول فقط، وفي الأبحاث المقبلة لعلنا سنتكلم عن الجانب الآخر من العلاقة، إذا شاء الله تعالى، أي كيف أن الكون ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ يدفع الإنسان دفعاً لكي يكون أكثر تقوى وورعاً وخوفاً من الله ﷻ، فذاك له بحث مستقل..

وأما الآن فلنبحر إلى الجانب الأول الهام والاستراتيجي، فنقول:

أولاً: التقوى من الله، تدفع الإنسان دفعاً لكي (يستكشف ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾) ويتعرف عليهم.

لماذا يتبع مفاخر البشرية ومئات الملايين فتى عمرُه تسع سنين؟

ولكي تتضح لنا الصورة أكثر، فلنسأل من أنفسنا هٰذا السؤال: مئات الملايين من أتباع أهل البيت عليهم السلام المتواجدين الآن في أرجاء العالم، وكذلك من كانوا منهم، ومن سيلتحق، وإلى ما شاء الله تعالى، وفيهم كبار العلماء والمفكرين والأطباء والفيزيائيين والفلاسفة والحكماء، هل هٰؤلاء بما لهم من وزن وثقل علمي وفكري عبثاً راحوا (يرفعون راية

ذلك سهل.

الإمام الجواد (عليه الصلاة وأزكى السلام)، و(يحمونها) و(يتهافتون للذب عنها) و(يفتخرون بها) على العالم كله؟!

وذلك ـ أولاً ـ: رغم أن السلطات، والأجواء، والإعلام، كلها كانت ضدهم على مر التاريخ.

ثانياً: ورغم أن الكل يعرف: بأن الإمام الجواد (عليه الصلاة وأزكى السلام) تسلَّم الإمامة وهو صغير السن جداً، فهل يعقل أن (يتأسى) هٰذا الجمع الهائل الغفير الآخذ بالإزدياد يوماً فيوماً، وأن يتبعوا (طفلاً) ـ من الناحية الظاهرية ـ عمره تسع سنوات؟!

وذلك مع العلم أن فيهم أمثال: نصير الدين الطوسي الذي يفتخر به العالم، والشيخ الطوسي الذي تفتخر به البشرية، والسيد المرتضى والشريف الرضي وهما من أعلام الكون بدون كلام، وفيهم كذلك العلامة الحلي والمحقق الحلي والمقدس الأردبيلي والسيد بحر العلوم، والشيخ مرتضى الأنصاري، والميرزا الشيرازي، وفيهم مَنْ فيهم، من كبار العلماء، والفطاحل، والمفسرين، والمحدثين، والفقهاء، والأصوليين، فهل كان ذٰلك منهم دون أسباب ومبررات وعلل قوية؟!

وهل يعقل أن ذٰلك كان منهم (عبثاً) وبدون إدراك ووعي وعلم وبراهين؟

هل يعقل ذلك؟!

لأنهم رأوا البراهين الربانية

كلا.. يا إخوتنا الكرام، إن (الشيعة) بل كل أولئك الذين عرفوا شيئاً عن (أئمة الهدى) و(أهل بيت الرسول) صلوات الله عليهم أجمعين، إنما آمنوا بهم واتبعوهم لأنهم وجدوا (الحجج العقلية والنقلية القاطعة)؛

ولأنهم رأوا (البراهين الإلهية) واكتشفوا (الأنوار الربانية) فـ(أغرموا) بذلك (البيت) الطاهر المطهر و(أحبوه)، بل (تفانوا في حُبّه) واتخذوهم (مناراً) وارتضوهم (الأدلاء على الله) و(الأمناء على حلاله وحرامه) وشاهدوا في تعاليمهم ومناهجهم (طريق الهداية وسبيل السعادة) في الدنيا والآخرة.

هل كل مقدرات الكون بأيديهم؟

وهذه القضية ليست خاصة بالشيعي فقط؛ فإن كل مَنْ يريد أن يستكشف الحقيقة، فإنه سيجد أعلامها لائحة؛ إذ كيف لطفل عمره تسع سنوات أن يدَّعي أنه مُتصل بالله ﷻ، وبعالم الغيب كله عن طريق الوراثة من رسول الله ﷺ، وعن طريق (عمود النور) و(النقر في الأسماع) و(النكت في القلوب)، وأنّ الكون كله تحت تصرفه، بإذن الله ﷻ، وأن مقادير الأمور تهبط إليهم (عليهم الصلاة وأزكى السلام)، وتصدر عن بيوتهم، وأن الفيض الإلهي المتواصل على الخلائق ببركتهم، وأزمَّة الأمور بإذن الله ﷻ منوطة بهم، نعم.. كيف يمكن إدعاء كل ذلك، وفي محضر المخالف والمؤالف، ورغم شدة وضراوة عداوة الأعداء لهم من علماء ومن حكام ومن جهال، كل ذلك بدون برهان ساطع، ودليل قاطع، بل بدون براهين وأدلة متواترة متعاضدة؟!

نعم، إن ذلك هو ما تدل عليه العشرات من الآيات والألوف من الروايات، ومن الآيات ما نقرأه في سورة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[1]، فإن ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، و﴿تَنَزَّلُ﴾ يعني تتنزل تدل على الاستمرار، فإنه إذا كان هنالك تنزل واحد فقط، أو تنزلات عديدة، لكنها بأجمعها كانت قبل ألف وأربعمائة سنة، على

(١) القدر: ١ـ ٥.

رسول الله ﷺ فقط ولا غير، لما قال ﷺ: ﴿ تَنَزَّلُ ﴾، لأن ﴿ تَنَزَّلُ ﴾ صيغة مضارع وهي تدل على الاستمرار، بل كان يقول: تنزلت الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر.. كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾، فالقرآن: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ أما: ﴿كُلِّ أَمْرٍ﴾ فإن الملائكة تتنزل به بإستمرار.

إن من البديهي أن كلام الله حكيم متقن ودقيق بما لا يضارعه شيء، وأن كل حرف منه قد وزن بميزان دقيق إلى أبعد الحدود لا يرقى إليه حتى الخيال، وها هو يصرح بـ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾، ولكن بماذا تتنزل الملائكة؟

وعلى مَنْ تتنزل؟

وجواب السؤال الأول هو: أنها تتنزل بكل أمر يسير أو خطير، كبيراً كان أو صغيراً، مما يتعلق بكل شخص وبكل عائلة وبكل مؤسسة وبكل شعب وبكل أمةٍ، لصريح قوله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾، و﴿أَمْرٍ﴾ يشمل ذلك كله، بل إن ﴿أَمْرٍ﴾ يعد كـ(الشيء) أوسع المفاهيم شمولاً وعموماً، ولكون ﴿كُلِّ﴾ نصاً في العموم.

فليلة القدر إذن (مستمرة) وغير منقطعة على مدى السنين والعقود والقرون، ففي كل سنة توجد ليلة قدر، وهي: إما ليلة التاسع عشر من شهر رمضان، أو الواحد والعشرين، أو الثالث والعشرين، أو على احتمال آخر السابع والعشرين، كما أن طليعة لليالي القدر، عُدَّت حسب بعض الروايات ليلة الخامس عشر من شعبان حيث مولد نور الأنوار وغياث الأخيار والأبرار، ولي الله الأعظم الحجة بن الحسن المهدي المنتظر أرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء.

وأما جواب السؤال الثاني، وهو: على مَنْ تتنزل الملائكة والروح؟

فهو: إنها تتنزل على أوصياء الرسول الأعظم الاثني عشر عليهم صلوات الله أجمعين، واحداً إثر آخر، وفي هذا الزمن تتنزل على سيد الكائنات، ولي الله الأعظم، الإمام المنتظر عجل الله فرجه.

والآن لنعد إلى ما كنا فيه فنقول: أتباع أهل البيت (عليهم سلام الله)، يقولون بأن هذا الإنسان الذي تتنزل عليه ملائكة الله بمقادير الكون كله، ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، كان شخصاً عمره تسع سنوات، ثم قتل واستشهد وعمره خمسة وعشرون سنة، فهل يعقل أن يعتقد ويلتزم مئات الملايين من الناس، وفيهم أبرز علماء العالم بذلك، من دون حجة ساطعة وبراهين قاطعة؟!

وكيف يعقل أن يقولوا بأن طفلاً منذ أن كان في التاسعة من عمره يعلم ما كان، وما يكون، وما هو كائن، إلى يوم القيامة، بدون دليل أو برهان، أو حجة أو هدى أو دلالة ربانية؟!

هل يعلم الإمام الجواد عليه السلام عدد قطرات دجلة؟

ذاك الشخص اعترض على الإمام الجواد، أو سأله ـ وكانا واقفين على نهر دجلة ـ فقال له: أن شيعتك يقولون، أو أن شيعتك يدعون: بأنك تعلم قطرات نهر دجلة.!!

إذ أن ذلك مما يثير الاستغراب الشديد، بل لعل البعض توهم استحالته؛ إذ كيف يمكن لشخص عمره عشر سنوات، أو حتى ثماني عشرة سنة، أو عشرين سنة، أو ليكن عمره ألف سنة، كيف يمكن أن يعرف عدد قطرات نهر دجلة؟!

إن أكثر الكمبيوترات تطوراً في هذا الزمن لا تعرف عدد قطرات نهر دجلة، أو الفرات، أو النيل، أو جيحون، وسيحون، كم هي القطرات؟!

ولكن الإمام (سلام الله عليه) يعلم، ويقرعه بالحجة التي تدفع شبهة استحالة ذلك، فيقول عليه السلام: «**أرأيت لو أن الله تبارك وتعالى أراد أن يفوِّض علم ذٰلك لنملة أيستطيع أو لا؟**»

قال: نعم يستطيع.

قال: «**فأنا أكرم على الله من نملة، ومن كثيرٍ من خَلْقِهِ**»[1].

السلسة النورية في عصر التحدي

إن كلام الإمام (صلوات الله عليه) يشكّل برهان الإمكان، وأن لا استحالة ذاتية ولا وقوعية، كما يشكّل رفعاً للاستغراب، وأما الوقوع فإن أدلته لا محدودة، من الآيات والروايات كما أشرنا لبعضها.

وكما تجدون، فإن هٰذه القضية ليست قضية عادية أبداً، أن شخصيات عظيمة على مرِّ التاريخ لهم وزنهم ومكانتهم، وهم من كبار العلماء، ومشاهير العظماء وفي مختلف الحقول المعرفية، يدَّعون بأن هٰذه (السلسلة النورية) هم وسائط الله تعالى في الكون كله!!

وذلك بدأً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابنته الصديقة الزهراء، ومروراً بالإمام علي بن أبي طالب، ثم الإمام الحسن، ثم الإمام الحسين، والإمام السجاد، والإمام الباقر، والإمام الصادق، والإمام الكاظم، والإمام الرضا، والإمام الجواد، والإمام الهادي، والإمام العسكري، وختماً بالإمام الحجة المنتظر (عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى السلام)، ولمدة مئتين وخمسين سنة، بل وعلى امتداد (١٤٣٠) سنة وحتى يوم الظهور المبارك، بل وحتى يوم القيامة.

---

(١) عيون المعجزات: ص١١٣ باختلاف يسير باللفظ.

أين تجد في التاريخ، أسرة واحدة تنجب جيلاً بعد جيل، مَن لا نظير له في كل الجهات، ولاثني عشر جيلاً كاملاً[1]، كابراً عن كابر، بهذا المستوى الغريب بل والرهيب، والذي يعترف به القاصي والداني والعدو والصديق!!

و(الأئمة الاثنا عشر) كانوا في عصر تحدي وكأعنف ما يكون التحدي، فإن السلطات الجائرة على امتداد الأزمان كانت ضدهم، كأشد ما يكون، وقد جندت كل القوى لتصفيتهم جسدياً وضربهم علمياً واجتماعياً، وكذلك فإن كبار علماء البلاطات كانوا ضدهم ومن شتى الاتجاهات الأخرى، والإمام الجوادعليه السلام، كان ـ بمنطق العمر والسنين ـ طفلاً صغيراً، ومع ذٰلك كان يقول: إنه الإمام على الخلائق أجمعين وأنه وسيط رب العالمين...!

وبذلك يظهر: أنه لا يعقل أن يتصور عاقل ـ ملتفت ـ بأن هٰذه القضية قضية عادية، وهي أن يدَّعي شخص، مهما بلغ العلم والكمال، ويقول: أنا إمام على الكون كله، أعلم كل شيء.. كل شيء.. ويكون صادقاً في ذلك، إلا بإعجاز إلهي وبإرادة ربانية غيبية.. إذ أن العلماء سوف يدوخونه إن لم يكن حقيقة كذلك، وسيظهر عجزه فوراً، بل إن أحدهم يكفي أن يسأله عشرة أسئلة فقط ليدوخه وليتقهقر، ولكن الإمام الجوادعليه السلام أذهل كل ممتحنيه وسائليه من أوليائه وجاحديه على السواء...

إن الشيعة ـ كما تعلمون ـ أذكياء جداً وحكماء وأتقياء.. وكل إنسان ينبغي أن يكون ذكياً فإن: «**المؤمن كيِّس فطن**»[2]، والإمام الرضاعليه السلام

---

(١)نظراً لأن الإمامين الحسن والحسينعليهما السلام، هما من جيل واحد، فإذا اعتبرنا الإمام المرتضى وزوجته الرضية الزهراءعليهما السلام من جيل واحد أيضاً، فعدد المعصومين هو (١٤) يتوزعون على (١٢) جيلاً (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

(٢)تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص٢٩٧ باب ذكر جمل من مناهي النبي (ص).

توفي وابنه الإمام الجواد (صلوات الله عليه) صغير السن، وله من السنين تسع سنوات فقط، وقد ادعى أنه الإمام، أي أنه صرَّح بأنه الإمام على البشرية كافة، بل على الكائنات كلها، ومن الواضح أن الناس لا يقبلون مثل هٰذه الدعوى النادرة والغريبة ببساطة ومن دون تحقيق شديد ومستوعب، بل حتى الشيعة منهم؛ إذ صحيح أن الإمام الرضا عليه السلام وصّى وأوضح، وأن أحاديث الرسول الكريم بالنص على الأئمة واحداً بعد آخر موجودة، لكن الكثير من الشيعة قالوا: علينا أن نجرّب أيضاً ونتأكد، ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[1].

إن (الشيعة) على مر التاريخ (امتحنوا) إن صحَّ هٰذا التعبير (أئمتهم) إما يزدادوا اطمئناناً، أو لكي يكتشفوا هل هم أئمة حقاً؟ أو لكي يبرهنوا بذلك للآخرين، وكانت النتائج مذهلة بحق.

والآن نحن ندعو العالم كله، ونقول لهم: تعالوا وامتحنوا.. تعالوا وجربوا.. إن الإمام الجواد (عليه سلام الله) غير موجود، ولكن كلماته موجودة، وحكمه ومواعظه وقصصه ومواقفه كذلك.. هل لها من نظير؟ فراجعوا كلماته في «تحف العقول عن آل الرسول(عليهم سلام الله)» وفي كتاب «الإحتجاج» وغيرهما.

أئمتنا عليهم سلام الله غير موجودين الآن بأبدانهم بين ظهرانينا، ولكن بعض آثارهم موجودة بأيدينا..

(١) سورة البقرة: ٢٦٠.

«نهج البلاغة»

لاحظوا ـ مثلاً ـ كتاب «نهج البلاغة»، الذي فيه بعض خطب ورسائل وكلمات الإمام علي(عليه أفضل الصلاة والسلام)، إن الإمام غير موجود ولكن «نهج البلاغة» متوفر ويكفيك شاهداً ودليلاً وبرهاناً.

إن البشرية منذ أربعة عشر قرناً لا تستطيع ولن تستطيع أن تنتج كتاباً كنهج البلاغة، وهم أعجز من أن يأتوا بخطبة واحدة من خطبه، أعطونا كتاباً آخر في قوة المضامين، في عمق المحتوى، في روعة الأسلوب، وقوة الأداء، وغزارة العطاء، ونضارة المسائل والبحوث و.. إنه حقيقة شيء رهيب وغريب!

إن الشيخ محمد عبده ـ وهو العالم الشهير ـ كان يعتقد بالإمام علي كخليفة رابع حسبما تعلّمه، ولكنه عندما رأى كتاب «نهج البلاغة»، داخ الرجل، وذهل ولعله صعق من عظمة الإمام عليه السلام، ولذا كتب فيما كتب: (وأحياناً كنت أشهد عقلاً نورانياً لا يشبه خلقاً جسدانياً، فصل عن الموكب الإلهي واتصل بالروح الإنساني فخلعه عن غاشيات الطبيعة، وسما به إلى الملكوت الأعلى، ونما به إلى مشهد النور الأجلى..) إلى أن يقول (وليس في أهل هٰذه اللغة إلّا قائل: بأنّ كلام الإمام علي بن أبي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، وأغزره مادّة، وأرفعه أسلوباً، وأجمعه لجلائل المعاني..).[1]

وقبل ذٰلك بألف عام يقول الشريف الرضي قدس سره: (... ومن عجائبه عليه السلام التي إنفرد بها، وأمن المشاركة فيها، أن كلامه الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر، إذا تأمله المتأمل وفكر فيه المتفكر، وخلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظُم قدرُه ونفذ أمرُه وأحاط بالرقاب

(١)مقدمة شرح «نهج البلاغة» للشيخ محمد عبدة..

ملكُه، لم يعترضه الشك في أنه كلام من لا حظ له في غير الزهادة، ولا شغل له غير العبادة، وقد قبع في كسر بيت، وانقطع إلى سفح جبل، ولا يَسمع إلا حسه، ولا يرى إلا نفسه، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب مصلتاً سيفه، فيقطّ الرقاب، ويجدل الأبطال، ويعود به ينطف دماً، ويقطر مُهجاً، هو مع تلك الحال زاهد الزهاد، وبدل الأبدال... وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة التي جمع بها الأضداد وألّف بين الأشتات...).(١)

ويقول الشارح الكبير ابن أبي الحديد المعتزلي: إنّ سطراً واحداً من «نهج البلاغة» يساوي ألف سطر من كلام الأصبغ بن نُباتة، وهو الخطيب الفاضل الذي اتّفق الناس على أنّه أوحد عصره في فنّه..

ثم لاحظوا: هل في كتب العالم كتاب مثل «الصحيفة السجادية» التي وُصفت بأنها زبور آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي بحق المعجزة الحقيقية؟

إنّ الإمام محمد الجواد عليه السلام غير موجود بيننا الآن، ولكن كلمات الإمام الجواد عليه السلام موجودة! ادرسوا كلمات الإمام الجواد (عليه سلام الله)، فإن حجة الله قائمة على كل العباد في كل الأزمان وعلى مر التاريخ..

البراهين الخمسة الساطعة على إمامة العترة الطاهرة

ونحن عندما اتبعنا أهل البيت عليهم السلام والتزمنا قوله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، فاقتدينا بالأئمة الهداة المعصومين (عليهم سلام الله)

(١)من خطبة الشريف الرضي قدس سره التي صدّر بها كتاب «نهج البلاغة» لأمير المؤمنين ومولى الموحدين علي ابن أبي طالب عليهما صلوات المصلين.

فإنما كان ذٰلك كله عن حجة وبرهان ودليل، العقلي منه والنقلي، لا تشهياً أو تقليداً، أو لسذاجة، أو ما أشبه ذلك، فقد:

١. لاحظنا الكرامات الثابتة بالتواتر القطعي للأئمة الإثنا عشر.. والمشاهدة بما لا يعد ولا يحصى في هٰذا الزمن.

٢. ولاحظنا العلم المتدفق منهم كالسيل المنهمر، فهم أعلم الأمة دون منازع.. فهم كلهم كما قال الإمام علي (صلوات الله عليه وعليهم): «**ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير**»[1].

٣. ولاحظنا وبحثنا عن الحجة والأدلة النقلية من الآيات والروايات الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن آبائهم (صلوات الله عليهم»، فوجدناها قد قامت بهم وأرشدت إليهم..

٤. لاحظنا ودرسنا (سلوكهم) و(أخلاقهم) في كافة حالاتهم، وهم في الحكم أو في المعارضة، وهم في الشدة والرخاء، والسراء والضراء، وغير ذلك، فوجدناهم أنقى من الينابيع، وأطهر من ماء السماء، وأصفى من اللُّجين، وأحلى من العسل الخالص.

وقد اكتشفنا بذلك: أن (المنهج العملي) للأئمة الأطهار عليهم السلام في الحياة، ليس له نظير لدى كافة حكماء وعلماء وحكام العالم.

٥. لاحظنا ودرسنا الأعاصير الهوجاء والتموجات الجائرة العاتية ضدهم، والهجمات المنظمة الشرسة التي شُنَّت ضد أهل البيت (عليهم صلوات الله) على مرّ القرون والعقود والسنين والأشهر والأسابيع والأيام والساعات واللحظات.. ومع ذٰلك وجدناهم ازدادوا تألقاً وقوة

(١) نهج البلاغة: الخطبة الشقشقية.

ونفوذاً وتأثيراً، فهل يعقل كل ذٰلك إلا لو كان وراء كل ذٰلك سر من (المهيمن العزيز الجبار)؟

ذلك أنه على مر التاريخ ـ واستثنوا العصر الحديث الذي فيه نوع من الحريات وفي بعض الدول فقط ـ ولمدة تزيد على الألف وثلاثمائة سنة، كانت الدول والحكومات والإمبراطوريات تحمل أكبر العداء والبغض، لهذه السلسلة النورية السماوية، وكانت تواجههم وأتباعهم بتشكيلة متنوعة شديدة قاسية من أساليب الإقصاء والحصار والتعذيب، من (السجن) و(النفي) و(التشريد) و(فرض الإقامة الجبرية) و(مصادرة الأموال والحقوق) ثم وصولاً إلى (التصفية الجسدية والإغتيال)، ومع ذٰلك كله، ويوماً بغد يوم كانوا يزدادون نوراً وتألقاً وهيمنةً على النفوس والأفكار والعقول وعلى مسار التاريخ، وهذا بمفرده يكفيك إعجازاً وشاهداً ودليلاً وبرهاناً.

ونحن عندما اتبعنا أهل البيت (عليهم صلوات الله وسلامه) وعندما ندعو العالم لإتباع أهل البيت؛ فذلك إنما هو لأجل تلك البراهين المتنوعة من إعجاز إلى علم إلى خُلُقٍ لا ترقى إليه الملائكة إلى غير ذلك:

١. برهان الكرامات الممتدة بإمتداد الزمن

ونقول: المعجزات[1] أو الكرامات، كانت ولازالت تتجلى على أيديهم، وتتفجر من مشاهدهم، وتتواتر ببركتهم، ثم يقول أحدهم: الإمام الجواد هل هو موجود حتى أرى معجزاته؟!

(١)لا يخفى أننا استخدمنا (المعجزة) بمعناها الأعم.

نقول له: نعم هو موجود[١]، والآن معجزاته موجودة، والآن تفضل وشد الرحال إلى (الكاظمية المقدسة) لترى كل ذلك بأم العين، بل إنك لست بحاجة للسفر، بل فكر وتسائل: لماذا هذه الملايين من الناس بل عشرات الملايين من الناس، من الشيعي والسني، ومن المسلم وغير المسلم، ومن الجامعي والحوزوي، والفقير والثري، والحاكم والمحكوم، لا يزالون يذهبون في (القاهرة) و(دمشق) و(النجف المشرف) و(كربلاء المقدسة) و(مشهد المقدسة) وغيرها إلى مشهد الإمام الحسين (عليه سلام الله) أو إلى مرقد السيدة زينب عليها السلام وسائر المشاهد المشرفة؟

لماذا هذه الملايين وعشرات الملايين من الناس، يأتون إلى الزيارة عاماً بعد عام، وشهراً بعد شهر، وكثيراً ما أسبوعاً بعد أسبوع بل يوماً بعد يوم، بل البعض ـ وهم كثير ـ ساعات بعد ساعات.؟

هل هؤلاء جميعاً هم ممن لا يفهمون ـ والعياذ بالله ـ وفيهم كبار العلماء والمفكرين والمثقفين والمحامين والمهندسين والأطباء وغيرهم، وفيهم السني والشيعي وحتى الكافر الذي يأتي ويأخذ حاجته، أليس ذلك إلا لأنهم يرون الكرامة تلو الكرامة والمعجزة اثر المعجزة![٢]

فكروا وتدبروا، في حالة العشرات من الملايين من الناس الذين يذهبون إلى مشهد المقدسة، إلى الكاظمية المقدسة، إلى كربلاء المقدسة والنجف المقدس، إلى سامراء المقدسة، وإلى البقيع الغرقد، وإلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وإلى مشاهد أولادهم وأحفادهم بل ومواليهم، ليأخذوا حاجاتهم، فهل هذه كرامات كانت قبل ألف وأربعمائة سنة

(١)لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ «آل عمران:١٦٩»
(٢)لا يخفى أننا استخدمنا (المعجزة) بمعناها الأعم.

وانتهى الأمر؟! كلا، بل هي موجودة، وعشرات الملايين من الناس، بل مئات الملايين من الناس هم شهود صدق؛ إذ لا يزالون يأخذون الحوائج منهم..

ولأنقل لكم الآن هٰذه الكرامة التي حدثت في ذاك الوقت، وهي ونظائرها تتكرر على مر السنين، كلما تكررت تجليات الشمس والقمر، ليعرف الجميع أننا لم نتبع أهل البيت عليهم السلام ولم نكن ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ عبثاً، كلا؛ بل بحجج وبراهين قوية متقنة محكمة رصينة، متصلة إتصال الأيام بالأيام والساعات بالساعات والدقائق بالدقائق، ولله الحمد وذلك كله مصداق: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ﴾، ولو لم يكن ذٰلك كذلك في كراماتهم وعلومهم وطهرهم ومثاليتهم صلوات الله عليهم لما كانت لله الحجة البالغة، والعياذ بالله، لأغلق باب الحجة الإلهية على الخلق..

الإمام الجواد عليه السلام (رضيعاً) يقرأ الرسائل ويشفي الأعمى بإذن الله

فقد خلّد لنا التاريخ المحادثة التالية: فإن (محمد بن ميمون) كان كفيفاً وأعمى، فزار الإمام الرضا صلوات الله عليه في (مكة)، والإمام الجواد عليه السلام حينذاك كان في (المدينة) طفلاً صغيراً في المهد، ربما كان عمره سنة أو ستة أشهر، و(في المهد) يعني أنه كان رضيعاً لا يمشي، والخادم كان يحمل الإمام حينذاك.. زمن هٰذه القصة..

محمد بن الميمون الكفيف بصراً، لكنه البصير قلباً وذهناً والمتفتح عقلاً، جاء إلى الإمام الرضا عليه السلام، وطلب منه أن يكتب رسالة للإمام الجواد (الرضيع!) حيث كان يريد الذهاب للمدينة للزيارة..

تبسم الإمام الرضا عليه السلام وكتب رسالة، وختمها ووضعها في مظروف على القاعدة، ولعله يبدو من كلمة (فضّها) أو (ففضه ونشره بين يديه)ـ فتأمل.

هذا الكفيف (محمد بن ميمون) جاء إلى المدينة، إلى دار الإمام الجواد (عليه سلام الله)..

ثم إن (موفق) الخادم، حمل الإمام الجواد عليه السلام وهو طفل رضيع، وأتى به إلى الغرفة، لكي يلتقي بهذا القادم من مكة والذي يحمل معه رسالة مكتوبة من الإمام الرضا، أي من الوالد إلى الولد، أي الإمام الجواد (عليهما سلام الله)..

يقول محمد بن الميمون: فجئت وسلمت على الإمام، وأعطيت الرسالة له، فتسلمها الإمام الجواد (عليه سلام الله) بيده الصغيرة، ثم أعطاها للخادم حتى يفضها، تصوروا طفلاً رضعياً.. فكم يداه صغيرتان؟!

الخادم فضّ الرسالة، ونشرها أمام الإمام، فقرأها وأعطاه جوابها، ثم خاطبه الإمام الجواد وهو طفل رضيع قائلاً: **«ما حال بصرك»**؟

قال: كما ترى يا ابن رسول الله، وعند ذاك مدَّ الإمام يديه الصغيرتين المباركتين، فمسحهما على عينيه فارتدتا بصيرتين.[1]

---

(١)الثاقب في المناقب ـ ابن حمزة الطوسي ـ ص ٥٢٥، والرواية هي، عن محمد بن ميمون، قال: كنت مع الرضا عليه السلام بمكة قبل خروجه إلى خراسان، قال: فقلت له: إني أريد أن أتقدم إلى المدينة، فاكتب معي كتاباً إلى أبي جعفر عليه السلام، فتبسم وكتب، وحضرت إلى المدينة، وقد كان ذهب بصري، فأخرج الخادم أبا جعفر عليه السلام إلينا فحمله من المهد، فتناول الكتاب وقال لموفق الخادم: «ففضه وانشره» ففضه ونشره بين يديه، فنظر فيه، ثم قال: «يا محمد، ما حال بصرك؟» قلت: يا ابن رسول الله، اعتلت عيناي فذهب بصري كما ترى. قال: فمد يده ومسح بها على عيني، فعاد بصري إليَّ كأصح ما كان، فقبلت يده ورجله، وانصرفت من عنده وأنا بصير، والمنة لله.

وهكذا تكرر الإعجاز الإلهي الذي جرى لعيسى المسيح (على نبينا وآله وعليه السلام)، إذ كان يكلم الناس في المهد، ثم كان يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، على يد سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذه معجزة حقيقية، ويأتينا أحدهم ويقول: هٰذا كلام تاريخي فما هو سنده؟!

نقول له: (السند) الآن موجود، فإن حكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد، فاذهب الآن وحقق: لماذا الملايين من الناس، سنة وشيعة وغير مسلمين وحتى علمانيين وغيرهم، لا يزالون في القاهرة، في الزينبية، في كربلاء المقدسة، في مشهد المشرفة، في باكو، هناك بي بي هيبت، أو السيدة حكيمة عليها السلام أخت السيدة المعصومة عليها السلام على ما في بالي، وفي مختلف بقاع العالم الناس يقصدونهم، وتُلبّى طلباتهم، ويأخذون حوائجهم.. هل هٰذا تاريخ؟!.

إن في ذٰلك لدليلاً على أن (حجج الله) لا تزال قائمة إذ أن: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾.

إذن، الأمر الإلهي الصريح هو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ونحن امتثلنا هٰذا الأمر فكنا مع أئمة أهل البيت (عليهم سلام الله) عن حجة وبرهان ودليل: دليل الكرامات.. ودليل العلم أيضاً..

ولننتقل لدليل العلم، فنقول:

٢. برهان (العلم اللامتناهي)

الإمام الجواد (عليه الصلاة وأزكى السلام) قام بأمر مذهل لا تجد له نظيراً على مر التاريخ؛ إذ أنه وعندما كان عمره تسع سنوات، أجاب في مجلس واحد على ثلاثين ألف مسالة، تصوروا وتدبروا: ثلاثون ألف

مسالة[1]، إنه حقاً رقم رهيب لا نظير له على مر التاريخ من طفل عمره في التاسعة، بل لا نظير له حتى من أكابر الرجال، أن يجيبوا في مجلس واحد على ثلاثين ألف مسألة!

وقد سبق أن قلت: بأن الشيعة أذكياء حقاً، فإن المؤمن ينبغي أن يكون ذكياً، والمسألة هي مسألة خطيرة، لأنها مسالة الآخرة والحياة الأبدية.

يا اخوتنا الكرام، حيث إنني مثل مئات الملايين من المؤمنين أريد أن أسلم حياتي ولحيتي ومستقبلي ومصيري بيد شخص محدد، حتى يسوقني إلى الجنة أو إلى النار لا سمح الله.. فمن غير المعقول في الإنسان الذي يمتلك أدنى إدراك وشعور، أن يقتدي بإمام عبثاً، كلا، ثم كلا، بل إننا عرفناهم صلوات الله عليهم معرفة جزماً، وعلمنا علماً حتماً، حتى أضحى علمنا ولله الحمد (عين اليقين)، وليس فقط (علم اليقين).

العلماء يمطرون الفتى ذا التسع سنين بـ٣٠ ألف مسألة!!

ولنتدبر في هٰذه الرواية التي يرويها علي بن إبراهيم، الراوي والمفسر والعالم الكبير الجليل المعروف، حيث يقول: (لما مات أبو الحسن الرضاعليه السلام حججنا فدخلنا على أبي جعفر (سلام الله عليه) وقد حضر خلق من الشيعة من كل بلد)[2]. كلهم كانوا قادمين ليتثبتوا من إمامته

---

(١)راجع بحار الأنوار للشيخ المجلسي قدس سره: ج٥٠، ص٨٦، عن الإختصاص للشيخ المفيد قدس سره: ص١٠٢..

(٢)راجع بحار الأنوار للشيخ المجلسي :ج٥٠ ص٨٦، والرواية هي،قال: لما مات أبو الحسن الرضا عليه السلام حججنا فدخلنا على أبي جعفر عليه السلام وقد حضر خلق من الشيعة من كل بلد لينظروا إلى أبي جعفر عليه السلام فدخل عمه عبد الله بن موسى، وكان شيخا كبيرا نبيلا عليه ثياب خشنة وبين عينيه سجادة، فجلس وخرج أبو جعفر عليه السلام من الحجرة، وعليه قميص قصب، ورداء قصب، ونعل حذو بيضاء . فقام عبد الله واستقبله وقبل بين عينيه ـوقامت الشيعةـ وقعد أبو جعفر عليه السلام على

صلوات الله عليه أو ليحصلوا على حجة جديدة.. ولعل بعضهم كان قادماً للإمتحان والإختبار، ولعله يظهر من الرواية أن بعضهم كانوا متحيرين في (المصداق) ومن هو الإمام؟ فهل هو الابن أو العم؟

وتدبروا في كلمة: (وقد حضر جمع من الشيعة من كل بلد) فمن كم بلداً من بلدان العالم كانوا؟ خمسين بلداً؟ مئة بلد؟ ربما أقل أو أكثر، ولا يبعد ذلك؛ لأن زوار الأئمة (سلام الله عليهم) ـ كما تعلمون ـ يتوافدون عليهم من كل أنحاء العالم، وتكفيكم ملاحظة الوضع الآن، حيث أن الشيعة يأتون لزيارة المراقد المطهرة حتى من الصين، ومن اليابان، وموسكو، ومن جبال الهيمالايا، ـ إذ يوجد هناك أناس من المؤمنين يقيمون مجالس الإمام الحسين عليه السلام على قمم هيمالايا أيضاً ـ ومن غابات الأمازون، ومن جزر القمر، إنهم يأتون من كل مكان، من البلاد الإسلامية المعروفة وغير المعروفة.

وإذا كان ذٰلك حال (مراقد الأئمة الأطهار) عليهم السلام فما بالك بهم وهم أحياء حاضرون؟

إن (الداعي) لزيارة الإمام الحي الحاضر، أشد عند أكثر الناس من زيارة قبورهم ومشاهدهم المباركة؛ لذا فإن التوافد عليهم من شتى بلاد

كرسي ونظر الناس بعضهم إلى بعض تحيرا لصغر سنه. فانتدب رجل من القوم فقال لعمه: أصلحك الله، ما تقول في رجل أتى بهيمة؟ فقال: تقطع يمينه ويضرب الحد، فغضب أبو جعفر عليه السلام ثم نظر إليه فقال: «يا عم اتق الله اتق الله. إنه لعظيم أن تقف يوم القيامة بين يدي الله عزّ وجلّ فيقول لك: لم أفتيت الناس بما لا تعلم؟!» فقال له عمه: يا سيدي أليس قال هٰذا أبوك (صلوات الله عليه)؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: «إنما سئل أبي عن رجل نبش قبر امرأة فنكحها. فقال: أبي تقطع يمينه للنبش ويضرب حد الزناء. فان حرمة الميتة كحرمة الحية» فقال: صدقت يا سيدي وأنا أستغفر الله. فتعجب الناس فقالوا: يا سيدنا أتأذن لنا أن نسألك؟ فقال: «نعم»، فسألوه في مجلس عن ثلاثين ألف مسألة، فأجابهم فيها وله تسع سنين!!

العالم يكون على القاعدة جداً، خاصة إذا كانت المرحلة مصيرية، كشهادة الإمام السابق ومحاولة إكتشاف الإمام من بعده..

(وقد حضر خلق من الشيعة من كل بلد، لينظروا إلى أبي جعفر) وفي المجلس عم الإمام (سلام الله عليه) وهو رجل كبير جليل وآثار الهيبة والوقار موجودة عليه (وبين عينيه كسجادة) أي (الثفنة) من أثر كثرة السجود، وكثير من الناس لعلهم تصوروا أن هٰذا العم لجلالة شأنه، هو الإمام، ولم يعلموا أن ذاك الفتى الشاب ذا الأعوام العشرة هو الذي قد اختاره الله تعالى وفوَّض إليه أمر الإمامة، فهذا هو المفوّض من قبل الله وليس ذاك (فدخل عمه عبد الله بن موسى وكان شيخاً كبيراً نبيلاً عليه ثياب خشنة وبين عينيه سجادة)....

إذن، إذا كانت الظواهر والعمر وآثار العبادة والزهد هي الملاك والمقياس، فإنه في منطق كثير من الناس وتفكيرهم، فإن عبد الله بن الإمام موسى الكاظم (عليهما سلام الله)؛ لا إبن أخيه الذي لم يبلغ الحلم، هو الأولى بالإمامة...

لكن نقول: كلا.. أننا لا نتمسك إلا بمن أمرنا الله تعالى بالتمسك به، ومع احترامنا وإعظامنا لعبد الله ومع جلالة شأنه، لكننا تمسكنا بذاك الفتى، لماذا؟ لأنه هو الذي ثبت أن الله ﷻ قد فوّضه أمر الولاية والإمامة..

وفي رواية أخرى: لما مضى الرضا (عليه سلام الله) جاء محمد بن جمهور وعلي بن مهزيار وخلق كثير من سائر البلدان، جاءوا ليمتحنوا الإمام، نعم؛ يمتحنونه حتى يكونوا على بصيرة، يقول الراوي: لما دخلنا على بيت الإمام، فإذا الناس فيه متكابسون[1]!!

---

(١)راجع بحار الأنوار للشيخ المجلسي ﷺ: ج٥٠، ص٩١، عن المناقب لابن شهرآشوب: ج٤، ص٣٨٢، والرواية هي: الجلاء والشفاء في خبر أنه لما مضى الرضا ﷺ جاء محمد بن جمهور

كم كانوا؟

أكانوا ألفاً أو أكثر؟ الله أعلم؛ لقد جاءوا يبحثون عن (الحق)..

وفي رواية «عيون المعجزات» ـ ولاحظوا كيف أن الشيعة والعلماء كانوا دقيقين ـ يقول: فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلماءهم ثمانون رجلاً..[1] وهذا يعني أنهم لم يكتفوا بإرسال عالم واحد أو عشرة أو عشرين بل أرسلوا ٨٠ عالماً!

ولاحظوا: أن هٰذا عدد الفقهاء فقط، وليس عدد كل الناس الحاضرين.

العمي والحسن بن راشد وعلي بن مدرك وعلي بن مهزيار وخلق كثير من سائر البلدان إلى المدينة، وسألوا عن الخلف بعد الرضا عليه السلام، فقالوا: بصريا ـ وهي قرية أسسها موسى بن جعفر عليه السلام على ثلاثة أميال من المدينة ـ فجئنا ودخلنا القصر، فإذا الناس فيه متكابسون، فجلسنا معهم إذ خرج علينا عبد الله بن موسى شيخ فقال الناس: هٰذا صاحبنا؟! فقال الفقهاء: قد روينا عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: **أنه لا تجتمع الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين** عليهما السلام» فليس هٰذا صاحبنا، فجاء حتى جلس في صدر المجلس. فقال رجل: ما تقول أعزك الله في رجل أتى حمارة؟ فقال: تقطع يده ويضرب الحد وينفى من الأرض سنة، ثم قام إليه آخر فقال: ما تقول آجلك الله في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء؟ قال: بانت منه بصدر الجوزاء والنسر الطائر والنسر الواقع (كواكب). فتحيرنا في جرأته على الخطأ!! إذا خرج علينا أبو جعفر عليه السلام وهو ابن ثمان سنين، فقمنا إليه فسلم على الناس، وقام عبد الله بن موسى من مجلسه فجلس بين يديه وجلس أبو جعفر عليه السلام في صدر المجلس، ثم قال: «سلوا رحمكم الله». فقام إليه الرجل الأول وقال: ما تقول أصلحك الله في رجل أتى حمارة؟ قال: «**يضرب دون الحد ويغرم ثمنها ويحرم ظهرها ونتاجها وتخرج إلى البرية. حتى تأتي عليها منيتها سبع أكلها ذئب أكلها ثم قال بعد كلام: يا هٰذا ذاك الرجل ينبش عن ميتة يسرق كفنها، ويفجر بها، ويوجب عليه القطع بالسرق والحد بالزناء، والنفي إذا كان عزبا، فلو كان محصنا لوجب عليه القتل والرجم**». فقال الرجل الثاني: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ما تقول في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء؟ قال: «**تقرأ القرآن؟**» قال، نعم، قال: «**اقرأ سورة الطلاق إلى قوله ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ﴾ (الطلاق: ٢) يا هٰذا لا طلاق إلا بخمس: شهادة شاهدين عدلين، في طهر، من غير جماع، بإرادة عزم، ـ ثم قال بعد كلام: ـ يا هٰذا هل ترى في القرآن عدد نجوم السماء؟**» قال: لا..

(١) راجع بحار الأنوار للشيخ المجلسي قدس سره: ج٥٠، ص١٠٠، عن «عيون المعجزات».

إن عالماً واحداً لو شاء وأمطرك بالأسئلة الاختبارية، لحيّرك ودوّخك.. اجلسوا مع عالم واحد في النجف، أو في قم، أو في أي مكان آخر من العالم، وانظروا ماذا يصنع بكم لو أمطركم بالأسئلة! إن العالم الذي له قيمته، وله منطقه وحجته، تصعب جداً (مناورته) و(الجواب عن كل أسئلته الامتحانية) فكيف بثمانين عالماً يحاصرون طفلاً صغيراً من الناحية الظاهرية، عمره تسع سنوات، ثم تجدهم بأجمعهم يستسلمون له ويخضعون ويؤمنون..!

أي عظيم هٰذا الفتى؟

وأية معجزة هٰذه التي شهدها ثمانون عالماً؟

حتى خضعوا واستكانوا واستسلموا؟

خاصة وأنهم قد أمطروه بوابل هائل من الأسئلة؛ إذ الرواية تقول: بأن الإمام الجواد (عليه سلام الله) في هٰذا المجلس الحافل أجاب عن ثلاثين ألف مسألة..!!

الوجوه السبعة في تحليل (الجواب عن ٣٠ ألف مسألة في مجلس واحد)

إن علماء أهل البيتعَلَيْهِمُ السَّلَامُ هم العلماء حقاً وبكل المقاييس لأنهم قد زقوا العلم زقاً.

لكن لعل شَكّاكاً يتساءل، أو لعل باحثاً عن الحقيقة يستعلم: كيف يمكن الإجابة عن ثلاثين ألف مسالة في مجلس واحد؟!

العلامة المجلسي[١] يقول: (يشكل هٰذا بأنه لو كان السؤال والجواب عن كل مسألة بيتاً واحداً أعني خمسين حرفاً، لكان أكثر من ثلاث ختمات للقرآن، فكيف يمكن ذٰلك في مجلس واحد؟! أي إننا لو افترضنا أن كل مسألة وجوابها يتكونان من خمسين حرفاً؛ إذ يمكن أن يكون الجواب مثلاً: نعم، أو لا.. فثلاثون ألف مسألة عندما تضربها في خمسين حرفاً، يصير حاصلها مليون وخمسمائة ألف حرف، ومليون وخمسمائة ألف حرف يعادل ثلاث ختمات للقرآن الكريم، فكيف يمكن ذلك؟! وأضيف لكلامه للتوضيح؛ أنه إذا قرأت القرآن بشكل سريع فأنت بحاجة لكي تختم القرآن إلى حوالي ثمان ساعات، فثلاث ختمات للقرآن تستغرق إذن ٢٤ ساعة؟! وأي مجلس هٰذا المجلس؟ ومَنْ غير علماء أهل البيت عليهم السلام بمقدورهم حل أمثال هٰذه المعضلة؟!

وهذا الإشكال من وجه يعد نظير الإشكال على القرآن الكريم، حيث أن البعض ممَن لا يعلم الحقائق، قد يستشكل على الآية الشريفة: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٢] فيقول: بأنه كيف: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾؟ فهل القرآن قد ذكر ولادة كل شخص وكل كبير وصغير ودقائق حياتهم من حركة وسكون وبيع وشراء ودراسة ونجاح ورسوب وزواج وسفر وحضر، وما أشبه ذلك، وكذلك تفاصيل جرائم دكتاتور مستبد ظالم كصدام والحجاج، وهتلر وأعوانهم، وأساليب تعذيبهم الناس ومن يطيح بهم ومتى..، وكذا تفاصيل حياة الصالحين والمصلحين، وأيضاً تفاصيل الاختراعات والاكتشافات والأمراض والأعراض؟!

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج٥٠ ص٩٤.

(٢) الأنعام: ٥٩.

ونجيب: نعم، ولكن كيف؟ ـ سيأتي بعد قليل بإذن الله تعالى.

وفي آية أخرى يقول جل اسمه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[1]، وكما أن هٰذا السؤال بحاجة إلى جواب، وكما أن الأمر ثابت لا ريب فيه بنص القرآن الكريم، إنما علينا العثور على الجواب، ولو لم يعرف شخص بدواً الجواب، لعدم وجود مصادر لديه أو عالم يسأله، فإن عليه أن (يتعبّد) بذلك، ويكفيه فخراً الإقرار بجهله، ولا يحق له أن ينكر ما لم يُحِط به خُبراً، ولعل بعض الأوجه التي تذكر للإجابة عن الشبهة حول القرآن[2]، تصلح للإجابة على إشكال الثلاثين ألف مسألة، كما أن بعض الأجوبة المذكورة في كلام العلامة المجلسي رحمه الله الآتي تصلح للإجابة عن الشبهة على القرآن الكريم.

وقد ذكر العلامة المجلسي رحمه الله تعالى في «بحار الأنوار» للإجابة على هٰذا التساؤل، سبعة من الوجوه، ومن الأقوال، ومن التوجيهات وهي:

---

(١) يس: ١٢

(٢) ومن الأجوبة: أن القرآن تضمن رموزاً مثل ﴿كهيعص﴾ ولعل فيها كل العلوم، ومثاله التوضيحي (حروف الهجاء) فإنها ٢٨ حرفاً، لكنها مفتاح كل العلوم، المثال الآخر: (لغة الكمبيوتر) حيث أنها تتكون من صفر ورقم واحد وهي مفتاح مليارات الكلمات، بل الترليونات من الكلمات.

ومن الأجوبة: أن البناء الهندسي لكلمات القرآن ونسبة بعضها مع بعض، هي المتضمنة لكل شيء ومثاله التقريبي ما ذكره العلماء عن (أهرام مصر) وأن طريقة هندسة أحجارها تضمنت علوماً دقيقة رياضية وفلكية وغيرها.

ومن الأجوبة: أنه يحتمل كون كل جملة أو كلمة أو حرف من كلمات وحروف القرآن، مجعولة للكثير، بل لما لا يحصى من المعاني، لا يعلمها إلا الله تعالى والراسخون في العلم، ومثاله (المشترك اللفظي) كـ(عين) الموضوعة لـ٧٠ معنى لا يعلمها إلا الخبير، وقد فصلنا في كتاب «الضوابط الكلية لضمان الإصابة في الأحكام العقلية» و«مباحث الأصول القطع» الحديث عن ذلك وعن وجوه أخرى عديدة.

(**الأول**: أن الكلام محمول على المبالغة في كثرة الأسئلة والأجوبة، فان عد مثل ذلك مستبعد جداً).

أقول: هذا التوجيه خلاف الظاهر جداً، بل خلاف نصوص التاريخ، ولم نعهد في المبالغات ذكر رقم ثلاثين ألف أو أشباهه، فإن المتداول في المبالغة في اللغة العربية هو رقم سبعين، كـ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾[1] أو ما أشبه.

ولا استبعاد في (العد)؛ لأن الشيعة وكبار علمائهم توافدوا من كل حدب وصوب، متفرغين لاستطلاع وضع الإمام، وكانوا يرصدون الوضع بكل دقة ويحصون كل صغيرة وكبيرة.. إذ لذلك جاءوا، وكان يهمهم جداً أن ينقلوا للكثيرين ممن ينتظرون، نتائج تقييمهم، وشتى التفاصيل خاصة الهامة منها...

ثم إن (الرقم) لعله كشف عنه الإمام (عليه سلام الله) أو كاتبه أو الإمام الذي خَلَفَه، فلم الاستبعاد؟!

(**الثاني**: يمكن أن يكون في خواطر القوم أسئلة كثيرة متفقة، فلما أجاب (عليه سلام الله) عن واحد فقد أجاب عن الجميع).

أقول: وهذا بعيد كسابقه ولاحقه؛ إذ أنه إضافة إلى كونه خلاف الظاهر من اللفظ، وكونه مبنياً على عدم العثور على وجه وافٍ للتقيّد برقم الثلاثين ألف، والحال أنه موجود ومنه الوجه الرابع الآتي فإنه في ذاته مستبعد جداً؛ إذ من أين عُلِمَ عدد ما جال في خواطر القوم وأنه كان ٣٠ ألفاً؟!

---

(١)التوبة: ٨٠.

(**الثالث**: أن يكون إشارة إلى كثرة ما يستنبط من كلماته الموجزة المشتملة على الأحكام الكثيرة، وهذا وجه قريب).

أقـول: بل هو بعيد كسابقه؛ فإنه لا يطلق على ذٰلك ـ عادة ـ بـ: ٣٠ ألف مسألة، كما أنه من أين عُلِمَ أن ما استنبط من كلماته هي ثلاثون ألفاً؟!

(**الرابع**: أن يكون المراد بوحدة المجلس (الوحدة النوعية) أو (مكان واحد) كمنى، وإن كان في أيام متعددة).

أقول: وهما وجهان كما لا يخفى[1] ولا مانعة جمع بينهما، وإن كفى أحدهما في الصدق. وهذا الوجه بشقيه هو الظاهر، وسيأتي توضيحه بعد قليل، بإذن الله تعالى.

(**الخامس**: أن يكون مبنيا على بسط الزمان الذي تقول به الصوفية، لكنه ظاهرا من قبيل الخرافات).

أقول: هٰذا ـ وإن كان خلاف الظاهر ـ لكنه ممكن ذاتاً، ولا استحالة لا ذاتية ولا وقوعية فيه، كما أنه لا ربط له بالصوفية، هٰذا أولاً.

وثانياً: إنه إن لم يصح القول ببسط الزمان وقبضه، فإنه يمكن القول بـ(نسبية الزمان)، وهو غير (بسطه)[2] وتفصيله يطلب من مظانه، ولذلك سنعده جواباً مستقلاً[3].

(١)فإن (الوحدة النوعية) قد تكون (اعتبارية في أمكنة مختلفة) مثل مؤتمر واحد يعقد لثلاثة أيام، لكن كل يوم في عمارة أو فندق أو مدرسة مثلاً.
(٢)وعلى أي حال، فإن (نسبية الزمان) تشكل إجابة و(بسط الزمان وقبضه) تشكل إجابة أخرى، ونسبية الزمان ثابتة في العلم الحديث كما لا يخفى، وأما (بسطه وقبضه) فلعله ثابت عندهم بشواهد مثل (الحفر السوداء) كما سيأتي في المتن.
(٣)وهو الجواب الثالث عشر الآتي.

وكإشارة أقول: إن نسبية الزمان هي الظاهر من الآيات أيضاً، قال تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[١] وقال جل اسمه: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[٢] وبه يفسر إسراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمسجد الأقصى ثم معراجه للسماوات العلى، حيث رأى من آيات ربه الكبرى، ولعل مسيرته (صلوات الله عليه) في السماوات وما جرى له وشاهد، لو كان بساعات الدنيا لعادل ألوف السنين.

ويؤيده: ما ورد منه أنه صلى الله عليه وآله وسلم عندما خرج من المنزل صفق الباب فتحركت (الحلقة) وعندما رجع كانت لا تزال متحركة...

وما ورد من أنه عندما أراد ركوب (البراق) أو قبله بقليل، أصابت قدمه المباركة إناء ماء، فإنسكب الماء، وعندما عاد كان الماء لا يزال منسكباً.. إلى غير ذلك.

أما (بسط) الزمان و(قبضه) فيوضحه: ما يظهر من تجمّد الزمان ووقوفه أو كاد في (الحفر السوداء)، ويوضحه: أيضاً أن الزمان كالمكان قابل للضغط والتكثيف وللبسط والتمديد، بل إذا كان الزمان (مقدار حركة الفلك) فإن قبضه وبسطه واضح.

وعلى أي: فإن (نسبية الزمان) مما يتوافق مع المقام؛ إذ كان الإمام الجواد عليه السلام في مقام الإعجاز، والله العالم.

ونظير هٰذا الوجه القول بـ(العوالم الموازية)[٣] والله أعلم.

---

(١)المعارج: ٤.

(٢)الكهف: ١٩.

(٣)وهي ـ على فرض ثبوتها ـ تعد جواباً آخر ثالثاً ـ ولعله تدل عليه روايات عديدة، مثل قول الإمام لذلك المرتاض الهندي أنه (العالم) سار في أربعة عشر ألف (عالَم) وهو جالس عنده! والعوالم الموازية تتصور على نحوين: أحدهما الانتقال لعالم آخر موازي، والآخر أن يكون للشيء وجودات عديدة في عوالم عديدة متوازية، في وقت واحد ـ فتأمل ـ والله أعلم.

(**السادس**: أن يكون إعجازه عليه السلام أثّر في سرعة كلام القوم أيضاً، أو كان يجيبهم بما يعلم من ضمائرهم قبل سؤالهم).

أقــول: هذان وجهان وليسا وجهاً واحداً كما لا يخفى، وكلاهما محتمل.

(**السابع**: ما قيل: إن المراد السؤال بعرض المكتوبات والطومارات، فوقع الجواب بخرق العادة) انتهى.

وهكذا نجد أن العلامة المجلسي رحمه الله ذكر سبعة[1] أقوال أو وجوه للإجابة عن هٰذا السؤال، وقد خطرت في البال القاصر بعض الوجوه الأخرى إضافة إلى ما ذكره العلامة المجلسي رحمه الله، سأشير لها بعد قليل بإذن الله تعالى، ولكن دعونا نوضح إحدى تلك الأجوبة حتى لا تبقى الشبهة عالقة في بعض الأذهان، فإن العلامة المجلسي رحمه الله يذكر في **الوجه الرابع**:

أن المراد من المجلس الواحد (المجلس النوعي الواحد)، أي لا يراد والمجلس الشخصي الواحد، والملجس النوعي الواحد قد يطول ثلاثة أيام كما هو واضح، ومثاله الجلي في هٰذه الأيام (المؤتمرات) فإنكم تعلمون أن بعض المؤتمرات قد تستغرق ثلاثة أيام أو أكثر، ويسمونه مؤتمراً واحداً، وإن كانت فيه جلسات عديدة افتتاحية، وجلسات صباحية وأخرى مسائية، وجلسة ختامية.. ومع ذٰلك يسمّون كل ذٰلك (مؤتمراً واحداً)، فقد يسمى ـ مثلاً ـ «مؤتمر القرآن والعترة»، ولا يسمونه تسعة مؤتمرات، بل هو مؤتمر واحد يمتد لعدَّة أيام وله العديد من الجلسات..

---

(١) بل هي تسعة لدى التأمل، لأن (الرابع) تضمن وجهين و(السادس) تضمن وجهين أيضاً كما أوضحنا، ومع ما أضفناه من (نسبية الزمان) و(العوالم الموازية) بلغت ١١ جواباً.

فالمراد إذن، من المجلس الواحد المذكور، ليس المجلس الشخصي الذي يستغرق ساعتين متواصلتين دون إنقطاع، بل هو مجلس نوعي واحد، ويشهد له: أن الناس الحاضرين كانوا من بلاد عديدة، وفيهم من كبار العلماء، والخواص والعوام، فتواجدهم في مكان واحد إذا استمر لغرض واحد فإنه يسمى مجلساً واحداً، وإن استمر لثلاثة أيام، فإنهم اجتمعوا حتى يتعرفوا على إمامهم، وكان لديهم ثلاثون ألف مسألة، وقد أجاب عنها الإمام الجواد (صلوات الله عليه)، في ذلك المؤتمر الواحد أو المجتمع الواحد أو المجلس الواحد..

وجوه سبعة أخرى في تحليل الجواب عن ٣٠ ألف مسألة

الوجه الثامن:

إنه يمكن أن يكون الكثير من الأسئلة والأجوبة، متكوناً (سؤالاً وجواباً) من عشرين حرفاً أو أقل، بل حتى من عشرة أحرف، وبذلك ينخفض الوقت المستغرَق، إلى النصف أو الثلث أو أقل.

ولو فرض أن (معدل) الأسئلة والأجوبة كان ١٦ حرفاً، فإن مجموع الوقت ينخفض إلى حدود ختمة واحدة للقرآن الكريم أو ٨ ساعات، ومن الواضح أن هنالك الكثير من الناس ممن يستطيع مواصلة الاجتماعات لـ٨ ساعات، بل يوجد عدد منهم ممن يستطيع المواصلة لـ١٦ ساعة وأكثر، خاصة إذا عرفنا أن الأئمة عليهم السلام كانوا قمة في الصحة الجسمية والقدرة الجسدية.

وهذا نموذج من الأسئلة والأجوبة التي تتركب من أقل من ٢٠ حرفاً[1]، وقد قسمناها إلى مجموعتين من الأسئلة والأجوبة:

القسم الأول: الأسئلة التي لا تحتاج في الإجابة عليها إلى أكثر من «لا» أو «نعم» وذلك مثل:

- هل ظاهر الأمر الوجوب؟ — نعم
- هل ظاهر الكتاب حجة؟ — نعم
- هل تجب المقدمة نفسياً؟ — لا
- هل يقع طلاق الثلاث؟ — لا
- هل الله يرى؟ — لا
- هل العالم قديم؟ — لا
- هل قاعدة (الواحد) تامة؟ — لا
- هل الكحل مستحب؟ — نعم
- هل القرآن مخلوق؟ — نعم
- هل الضرر مرفوع؟ — نعم

وهكذا وهلم جراً..

القسم الثاني: الأسئلة التي تحتاج لإجابة كاملة، وهذه أيضاً الكثير منها يمكن أن يكون مجموع السؤال والجواب فيه أقل من ٢٠ حرفاً، وذلك مثل:

---

(١) وهي أمثلة فرضية، وإن كانت صحيحة في حد ذاتها وليس ذلك نقلاً تاريخياً، لكن ذكرناها للتقريب للذهن، وأن تركب السؤال والجواب من ٢٠ حرفاً ـ مثلاً ـ ليس فرضاً بعيداً أو نادراً.

ـ متى ولد النبي؟	ـ عام الفيل
ـ مَن جمع القرآن؟	ـ جدي علي
ـ ما التعارض؟	ـ تكاذب دليلين
ـ ما الحزم؟	ـ قوة في لين
ـ ما البداء؟	ـ هو الإبداء
ـ ما إرث الزوج؟	ـ نصف فربع
ـ مَن الصديق؟	ـ العقل
ـ مَن العدو؟	ـ الجهل
ـ ما المعرفة؟	ـ مستقر ومستودع
ـ ما العار؟	ـ البخل
ـ ما المنقصة؟	ـ الجبن
ـ ما أفضل الصدقة؟	ـ عونُ ضعيفٍ
ـ ما (الصمد)؟	ـ ما لا جوف له

وهكذا دواليك...

الوجه التاسع:

إنه يمكن استمرار جلسات الحوار هٰذه بمقدار ثلاث ختمات من القرآن الكريم، أي ٢٤ ساعة وأكثر باستثناء فاصل الصلوات، والقليل جداً من الطعام.

وإننا نعرف بعض الأشخاص ممن يواصل العمل يومين أو ثلاثة أيام متتالية دون تخلل نوم بينها أبداً.

وكان منهم الشهيد السعيد العم (قدس سره)، حيث نقل بعض الثقات أنه مع سلسلة اجتماعاته مع كبار علماء العلويين والتي تواصلت سنين عديدة، عقد اجتماعاً نهائياً مع ٨١ عالماً من علمائهم واستمر الاجتماع ثلاثة أيام بلياليها[1]، وكان الشهيد الشيرازي بمفرده في الطرف الآخر، وقد واصل الحوار طوال الأيام الثلاثة دون لحظة نوم واحدة!

ورغم أن ثقة صدوقاً نقل الخبر، إلا أن ذٰلك كان مثار الاستغراب؛ لذا سألت من يعرف الشهيد العم جيداً، فقال: إن ذٰلك هو على القاعدة في حياته؛ لأن الشهيد كانت إحدى رياضاته التي روّض نفسه عليها هي رياضة عدم النوم لثلاثة أو أربعة أيام، وربما الأكثر من ذلك!

وأضاف: إن الشهيد أخبره، أنه عندما كان في السجن، عذبوه بأنواع شتى من التعذيب بلغت ٤٤ نوعاً من الأنواع[2] وأضاف الشهيد: لكن واحداً منها بالذات، لم يكن تعذيباً بالنسبة لي! بل كان تجربة جيدة؛ إذ كان من أنواع التعذيب، عدم السماح للسجين بالنوم لأيام! يقول الشهيد: وأحياناً كانوا لا يسمحون لي بالنوم خمسة أو ستة أو سبعة أيام، وكنت مسروراً لذلك؛ لأختبر مدى قدرتي على التحمل! وإلى كم يوم أستطيع أن أبقى بكامل قواي الذهنية والعقلية من دون نوم!

وإذا علمنا بأن الأئمة الأطهار (عليهم صلوات الله) كانوا (القمة) في كل شيء: نفساً وروحاً وجسداً وقوى وطاقات، علمنا أن مثل عدم النوم ثلاثة أيام ليس بالشيء المستغرب في حقهم...

---

(١) وعلى ضوء هٰذه الاجتماعات أعلن كبار علماء العلويين أنهم شيعة أهل البيت عليهم السلام وكتبوا وثيقة باسم (العلويون شيعة أهل البيت) وقعها كبار علمائهم وقدم لها الشهيد السيد حسن الحسيني الشيرازي (قدس الله نفسه الزكية).

(٢) للتفصيل ينظر كتاب الأخ الشهيد السيد حسن الشيرازي قدس سره للإمام الراحل آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه الشريف).

وهذا كله من دون حاجة للتوسل في ذلك، إلى أن هنالك عدداً من (الأطعمة) بل ومن العقاقير الطبية في الطب اليوناني والطب العربي، وبعض الأقراص التي صنعها الطب الحديث مما تساعد على قدرة الإنسان على عدم النوم لأيام، بل والعمل أيضاً بنشاط وكفاءة.

الوجه العاشر:

ولعل أجوبته صلوات الله عليه، كانت (ابتداءً) ـ ولو في الجملة، بأن كان بعضها كذلك ـ لعلمه بما يجول بخاطر السائل، وكم له من نظير في أحوال الأئمة (عليهم صلوات الله وسلامه) حيث كانوا يبتدأون السائل بجواب سؤاله قبل أن يسأل.

ويؤيده: أن الإمام الجوادعَلَيْهِ السَّلَامُ كان في مقام (الإعجاز) إذ قد توافد عليه الناس من كل حدب وصوب لمعرفة أنه الإمام حقاً أو لا!!

الوجه الحادي عشر[1]:

ولعل الجواب الواحد من أجوبته (صلوات الله عليه)، كان يشكل جواباً على سؤال السائل، وعلى عدة أسئلة أخرى تتفرع منه[2] أو لا تتفرع، أو على عدة أسئلة أخرى كان قد أعدها الآخرون ليسألوا فكفاهم الإمام بجوابه.[3]

---

(١)هٰذا الجواب ينحل إلى جوابين لدى التأمل والتدبر.

(٢)وفرق هٰذا عن الوجه الثالث أن هٰذا الجواب يبين (المطابقة) و(صريح القول) منه صلوات الله عليه، وأما الثالث فيصير إلى (الاستنباط من كلامه) صلوات الله عليه.

(٣)وفرق هٰذا عن (الثاني) أن في الثاني: كان الفرض (إتفاق) الأسئلة، أما هٰذا فيوضح اختلاف الأسئلة وجواب الإمام (سلام الله عليه) عنها جميعاً.

وذلك مثل: هل الناس مسلطون على أموالهم؟ الجواب: هم مسلطون على أموالهم، وأنفسهم، وحقوقهم[١]. أو: هل إحياء (الموات)[٢] جائز؟ الجواب: جائز، وله أجر وموجب للملكية[٣] أو..

الوجه الثاني عشر:

ولعل الأسئلة والأجوبة بلغت ثلاثين ألف، بلحاظ دلالاتها المطابقية والتضمنية والإلتزامية، وبدلالات: الاقتضاء والإيماء والتنبيه، والإشارة، وبالمفاهيم من: شرط ووصف ولقب وعدد وغاية وغيرها.

وليس ذلك بالغريب، بعد ملاحظة:

١. أن (القرآن الكريم) تبيان لكل شيء وأن من وجوه تفسير ذلك، هو ذلك.

٢. وبعد ملاحظة أن (الإمام المبين) في: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ هو المعصوم (صلوات الله عليه)...

٣. وبعد ملاحظة: أن البشر العادي قد تكون لكلامه دلالات عديدة مختلفة، يفهمها كل حسب معلوماته ومعرفته. فكيف بأفضل خلائق الله وأعلمهم؟

وبعبارة أخرى: كلما إزداد الإنسان علماً ومعرفة وخبرة، كلما أمكنه أن يضمّن كلامه معاني أعمق ودلالاتٍ أكثر وفوائد أشمل وأوسع.

---

(١) فهذه ثلاث قواعد.

(٢) أي الأراضي الموات (غير العامرة).

(٣) أي الجواب بالحكم الوضعي والتكليفي وبالأجر أيضاً.

الوجه الثالث عشر:

ما أشرنا إليه في ضمن الجواب الخامس، من (نسبية الزمان) وقد أشرنا إلى أنه غير (بسط الزمان) الذي ذكره العلامة المجلسي قدس سره كوجه خامس.

الوجه الرابع عشر:

وهو عبارة عن تأليف عدد من الوجوه السابقة، وتركيبها، وذلك كالجمع بين الجواب الرابع والسابع، وذلك بأن يقال: إنه كانت بعض الأجوبة شفوية وبعضها كتبية، أو التركيب مع الجواب الثامن أيضاً، أو مع التاسع أيضاً، أو مع العاشر كذلك، أو والأخيرين أيضاً، ولعله الأقرب للإعتبار، والأسهل فهماً وقبولاً.

«بحار الأنوار» في ميزان (العلم) و(الحكمة) و(العظمة)

وهنا لا بأس بأن نستطرد استطراداً هو أقرب إلى صلب الموضوع منه إلى الاستطراد، وذلك بالإشارة بإيجاز إلى موسوعة «بحار الأنوار» الخالدة، والتي لا يوجد لها في بابها ومجالها نظير في العالم الإسلامي كله، بل في العالم بأكمله.

إذ على الرغم من أن «بحار الأنوار» صرح عظيم بقي شامخاً رغم القرون، وشكّل تحدياً فريداً لكل عباقرة العالم، إلا أن هناك اعتراضاً على «بحار الأنوار» لا يزال يكرره مَن لا يدرك قيمة الإنجازات الكبرى الخالدة وقيمة العظماء، وهو: أن «بحار الأنوار» يوجد فيه كل رطب ويابس، وكل ضعيف وقوي، وكل مسند ومرسل، وهذه نقطة ضعف كبيرة..؟ فاللازم تشذيبه وتهذيبه من الزوائد!!

الحِكَم الست لوجود المتشابهات والضعاف في «بحار الأنوار»

أولاً: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾

وفي الجواب نقول: أولاً: أليس القرآن الكريم هو كما وصفه الله تعالى ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾؟ وقد عدّ بعض المغرضين أو الجهلة في أحسن الفروض ذٰلك نقطة ضعف ونقطة هجوم على القرآن الكريم، وأنه يوجد فيه كل رطب ويابس! ورغم أن الفارق بين (القرآن الكريم) و«بحار الأنوار» كبير وواضح؛ فإن (القرآن) هو كتاب الله المعجز الأبدي الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أما «بحار الأنوار» فإنه وإن امتلأت صفحاته بالآيات الكريمة وتصنيفها الموضوعي، وبالألوف من الروايات والأحاديث، بل بعشرات الألوف منها، وبمئات الألوف من المعلومات القيمة في شتى العلوم، وبتحقيقات دقيقة أنيقة رائعة رائقة كثيرة ومتنوعة، إلا أنه مع ذٰلك فإنه (جهد بشري) لا يسلم من النقص والخطأ، ولا قياس بين القرآن الكريم وأي كتاب آخر كما هو واضح، لكن الاعتراض على «بحار الأنوار» بأنه: يوجد فيه كل رطب ويابس، هو من بعض وجوهه كالاعتراض على القرآن الكريم بهذا الاعتراض.

فإن (الرطب واليابس) هو بلحاظ المتعلَّق وعالم الثبوت، وليس صفة ﴿كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ وليس أنه (هو) الكتاب المبين.

وبعبارة أخرى: الرطب واليابس صفة (المحكي) لا صفة (الحاكي) فإن الحاكي قد يحكي كلام فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وهي دعوى باطلة بجلاء وقد يحكي كلام النملة: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾.

وكما ذكر الله تعالى (اليابس) في القرآن الكريم، لحكمة ربانية، كذلك تعلَّم العلامة المجلسي من منهج القرآن أن يذكر (اليابس) في (البحار) لحكمة وجيهة وعلةٍ وفائدة.

نعم، لا ريب أن القرآن الكريم (قطعي) من حيث السند، ولا ريب فيه، أما «البحار» فإنه توجد فيه روايات ضعيفة أو غير صحيحة، إلا أن ذٰلك كان لحكمة أيضاً سنشير لها بعد قليل، بإذن الله تعالى.

ثانياً: فلسفة المتشابه

ثانياً: نسأل ما هي فلسفة المتشابه في القرآن الكريم؟

والجواب: إن فلسفة المتشابه تشير لها الآية الشريفة التي تبين إنقسام آيات القرآن إلى المحكم والمتشابه، بدلالةٍ إلتزامية: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[1] والمستظهر منها: أن العلة، أو أن إحدى العلل لوجود المتشابه، هي وجود أناس في قلوبهم زيغ، وقد أراد الله تعالى إظهار ذلك.

أما «بحار الأنوار»، فإن نظير هٰذه الحكمة جارٍ؛ إذ أن وجود الروايات المتشابهة، والضعيفة، والمرسلة، والمقطوعة السند، من عِلَله وحِكَمِه هو: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ وعليك أن تؤمن بالمحكم، وتدع المتشابه لأهله ممن يعرف الحقائق وبواطن الأمور ووجوه الجمع العقلي والأصولي والعرفي، وغير ذلك..

---

(١) آل عمران: ٧.

وبعبارة أخرى: إن ما قام به العلامة المجلسي قدس سره في «البحار» يعد امتداداً لنفس المنهج الإلهي من (الابتلاء) و(الامتحان) و(الفتنة) وسيأتي تفصيله في الباب الثاني بإذن الله تعالى.

ثالثاً: (بحار التدوين) كـ(بحار التكوين)

ثالثاً: إن «بحار الأنوار» في (عالم التدوين) كـ(البحار والمحيطات) في عالم التكوين، فيها النافع المفيد لك فخذه، وفيها ما تتصوره ضاراً فدعه...، أي دع ذلك لغيرك من أهله لينتفع به، أو ليكشف لك منافعه.[1]

وإذا لم تجد في البحر فائدة، أو وجدته قد استوعب حتى أسماك القرش، فلا تتهم البحر، فإن كل شيء فيه بحكمة وميزان وسبب وفلسفة، وصدق ربنا حيث يقول: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.[2]

رابعاً: «البحار» أراد توفير أدوات البحث العلمي للباحثين

رابعاً: «البحار» أراد أن يوفر للباحث أدوات (البحث العلمي)، ولم يُرِد كما أراد الكثيرون حتى من دعاة التحرر والتجدد: أن (يحجر) على العقل ويمنعه من البحث، بل وفر خيارات متعددة وأقوالاً أو رواياتٍ قد تبدو متناقضة أو مختلفة؛ وبذلك يكون قد وفّر أرضية وأجواء وأدوات البحث العلمي، وهذه هي قمة التطور الحضاري، وقمة الحرية العلمية والديمقراطية؛ إذ أنه أعطاك أدوات البحث العلمي عبر استعراض مختلف الروايات على تنوعها، وقال لك: هٰذه نصوصها ومصادرها، وأنت تفضل حقق ودقق، خاصة إذا لاحظنا أن العلامة المجلسي قدس سره لا يخاطب

---

(١)وللتقريب للذهن نقول: إن (العقرب) وإن بدت ضارة، إلا أن الله خلقها لحكم وفوائد عديدة، بل إن سم العقرب يعد من أفضل الترياقات وأنواع العلاج لبعض من أخطر الأمراض.

(٢)الإسراء: ٧٢.

(متحجري العقول) و(المقلِّدة)، بل يخاطب (المفكرين) و(المجتهدين) و(المنفتحين) و(الفقهاء) الذين وصفهم الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.[1] وهؤلاء العلماء والمفكرون كلما إشتبه عليهم أمر التزموا بالأمر الصريح في الآية الأخرى التي تقول: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾.[2]

إن العلامة المجلسي (قدس الله نفسه وعطَّر رمسه) أراد أن يوفر أدوات البحث العلمي للباحثين على امتداد التاريخ، فجمع (الرطب إلى جوار بعض اليابس وما أقلّه)، ومن الطبيعي بعد ذٰلك أن تكون فيه بعض الروايات الضعيفة، لكنه قَدَّسَ سِرَّهُ ذكر نصوصها لك وذكر إسنادها لكي تقوم أنت بتحقيق حال هٰذه الروايات ودراسة متنها وسندها ودراسة ظروفها أيضاً، وهل إنها قيلت في زمن الظلم تقيةً، أم لم تكن تقية؟

وهل هٰذه الرواية تتعارض مع رواية أخرى أو لا تتعارض بل يوجد وجه جمع ما؟

وهل المشكلة في السند، فابحث في السند، أو المشكلة في المتن فدقق في المتن، أو في (الجهة)؟

وهل تعارض العقل، لكن أي عقل؟

هل العقل ذٰلك الجوهر النوري أم العقل المتوهم الناشيء من الأنس بالمألوف، أم غيرهما؟[3]

---

(١)الزمر: ١٨.

(٢)النساء: ٨٣.

(٣)لقد فصلنا في كتاب «الضوابط الكلية لضمان الإصابة في الأحكام العقلية» الحديث عن (العقل) وذكرنا له أربعة عشر معنى.

فابحث في العقليات.. وهكذا..

خامساً: فلسفة التحقيق الميداني

خامساً: أراد العلامة المجلسي قدس سره توفير فرص (التحقيق الميداني) وأراد أن لا يحرمك من (المواد الخام) التي تعطيك القدرة والمقدرة على المقارنة والمقايسة والتحقيق والاجتهاد.

ألا تجد العلماء ومراكز الدراسات في العصر الحاضر، يجرون ما يسمونه (تحقيقاً ميدانياً)، و(استطلاعاً مباشراً) في شتى المسائل والقضايا؛ حيث يذهبون إلى الناس ويجرون لقاءات مباشرة ويسألون مختلف أصناف الناس: ما رأيك في الحرية؟

ما رأيك في الحدود الجغرافية؟

ما رأيك في سجن المعارضة وسحق آرائها؟

ما رأيك في الضرائب في الإسلام؟

وما رأيك في أداء الحكومة؟

بل إن أسئلتهم قد تكون من هٰذا القبيل: ما رأيك في التوحيد والتثليث، أو التجسيم والتجريد لله تبارك وتعالى ؟

ثم إنهم يوثقون هٰذه الآراء كلها، ويبثونها بثاً مباشراً على الهواء أو ينشرونها في الشبكة العنكبوتية، أو يطبعونها في الجرائد والمجلات أو الكتب؟

والآن لنسألهم، ما الداعي لهذا التحقيق الميداني والاستطلاع، ونقل تلك الآراء المتناقضة، وتوثيق العقائد أو الآراء الباطلة؟

وتجدهم يجيبون: حتى نعرف وجهات نظر الناس المختلفة، وننقلها لعامة الناس أو للباحثين أو للجهة التي كلفتهم بهذا البحث.

بل لعل أحد الذين يستطلعون آراءهم، ينكر وجود الله أصلاً، فيسألونه عن دليله وينقلون ذٰلك أيضاً.

إن (الباحث) و(المحقق) عليه أن يتعرف على الأقوال في المسألة، وماذا يقول الناس عنها، وأدلتهم عليها، ولذا عليه أن يقوم باستطلاع الآراء، والأقوال والأدلة، الضعيف منها والقوي، السقيم منها والصريح، وبذلك نصل إلى جواب السؤال عن (الاستطلاعات) وما هي فلسفتها، و(الاستبيانات) وما هي حكمتها؟

والجواب هو: التعرف على الرأي الآخر، والأقوال المختلفة، والمذاهب المختلفة، والأدلة المتشتتة بـ(حرية) و(على الطبيعة).

سادساً: البحار مكتبة موسوعية

سادساً: إن «بحار الأنوار» يُعَدّ (مكتبة موسوعية متنقلة)، والمكتبة الموسوعية فيها كل شيء، وأنتم عندما تذهبون لمكتبة لا توجد فيها كتب إلا باتجاه واحد، فإن هٰذه المكتبة لا تنفع إلا بشكل محدود، ذٰلك إن المكتبة ينبغي أن يكون فيها كل الكتب ومن كل الإتجاهات: من هٰذا الإتجاه، ومن الإتجاه المضاد، أي ما هو معك وما هو ضدك، وما هو لك وما هو عليك.. إن (المكتبة الموسوعية) لابد أن تكون كذلك، و«البحار» مكتبة موسوعية بحق؛ ولذلك ذكر العلامة المجلسي قدس سره المصادر، وذكر الأدلة عليها، وذكر الشواهد، وأحياناً كثيرة يترك التحليل والتقييم للباحث، لكنه في أحيان كثيرة ـ أخرى ـ يختتم نقل الآراء والروايات، بما عنده من رأي وبيان يقيّم فيه ويحلل تلك الآراء والروايات، فتأمل بيانه كم هو دقيق، وكم هو شاف، وكم هو واف، وكم هو نافع؛ ولذلك سلط الأعداء عليه الحراب، إذ وجوده عملاقاً عظيماً لا يمكن تجاوزه أو تجاهله أو تناسيه.

وفي المثل (لا ترمى إلا الشجرة المثمرة)، فالشجرة المثمرة تُرمى، وأما الشجرة التي لا تحمل ثماراً فإنك لا تجد أحداً يرميها بحجر، بل إن أعظم كتاب في الكون وهو (القرآن الكريم) نتساءل: لماذا تهجموا عليه بهذا الشكل الغريب: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلٗا﴾.(١)

القرآن الكريم على إعجازه المنقطع النظير، وصفوه بالأسطورة والخرافة! تصوروا: كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ وصفوه بالأساطير والخرافات؟!

والأنبياء بدورهم لم يسلموا من التهم، ولم يترك الكفار تهمة إلا وقذفوا بها أنبياء الله ورسله (على نبينا وآله وعليهم السلام)، ألم يقذفوا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم واتهموه بأنه ساحر، وبأنه مجنون، ورغم أن كلام الأنبياء (على نبينا وآله وعليهم السلام) هو الحق الصراح والصدق المحض، ورغم أن أسلوبهم كان بمنتهى اللطف والحكمة إلا أنهم جوبهوا بما تشير له الآية التالية: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾.(٢)

فإذا كان كلام الله تعالى وأنبيائه، يقذف بهذه التهم الباطلة، فما بالك بـ«بحار الأنوار» ونظائره من موسوعاتنا العلمية، فإن من الطبيعي أن يقولوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا﴾.. وهكذا وهلم جراً.

والحديث طويل ولكن هٰذا المقدار من الاستطراد يكفي للإشارة والتنبيه، ولعل الله تعالى يقيض مَن يكتب رسالة خاصة، بل مجلداً ضخماً حول «بحار الأنوار» ودوره العظيم في إحياء تراث أهل البيت

---

(١) الفرقان: ٥.

(٢) نوح: ٧.

(عليهم صلوات الله وسلامه) بل وإسهامه الكبير في دفع الحركة الثقافية البشرية العالمية، إلى الأمام.

والخلاصة:

إن «بحار الأنوار» (موسوعة خالدة)

إن «البحار» بحار من الأنوار، والعلامة المجلسي قدس سره هو ذٰلك الإنسان العظيم الذي أحيى تراث عظماء الكون، وأحيى تراث أولياء الله تبارك وتعالى، وخلفاء رسوله الكريم، لكننا نحن الظالمون له.

إن «البحار» يجب أن يطبع بمئات الملايين من النسخ، لتكون في دار كل أسرة مسلمة دورة منه، ولتصل هٰذه الموسوعة إلى أيدي شتى الملل والأقوام والأديان الأخرى أيضاً، كما أن من اللازم أن يترجم إلى العشرات من اللغات، وينبغي أن تصنع عن حياة العلامة المجلسي قدس سره برامج وثائقية وأفلام مختلفة، ولكن المشكلة أننا لا نعرف قيمة عظمائنا وشخصياتنا..

وهنيئاً (للعلامة المجلسي) حيث كان ﴿مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ بقلمه المبارك، وبجهده الدؤوب، وبهمته العالية، فليَسْعَ كل منّا ليكون على شاكلته ولو بقدر، وليَخْشَ الله تعالى، من أن ينتقص من قيمة أوليائه، فإنه سوف لا يرى البركة في حياته ـ والعياذ بالله ـ.

ولنعد الآن إلى قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.[1]

(١) التوبة: ١١٩.

بين ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ و(الحاقدين)

فلقد سبق أن قلنا: أننا بحثنا وتعرفنا ومن ثَمَّ تمسكنا بـ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ كما أمر الله تعالى، وقد ثبتت لنا (الحجة بصدقهم) والبرهان على حقانيتهم من عدة طرق... وكان منها:

١. طريق الكرامات.

٢. طريق العلم.

٣. طريق (الورع) الذي لا نظير له و(الخلق العظيم) الذي لا مثيل له..

فإن الإمام الرضا (عليه سلام الله) كان في بطن الحكومة (ولياً للعهد)، وفي أوج القدرة والاقتدار وفي قمة السلطة الظاهرية، والإمام الجواد (عليه صلوات الله) كان كذلك أيضاً، فزوجته هي ابنة المأمون العباسي، الإمبراطور الحاكم على أكثر من نصف الكرة الأرضية، وقد سلك المأمون شتى الطرق والسبل، وجرّب شتى الاحتيالات الممكنة، لكي يجر الإمام الجواد (عليه سلام الله)، لملذات الدنيا، لكنه كان يواجه كل مرة بجدار من الرفض أصلب من الفولاذ، وبإرادة أقوى من الجبال الرواسي.

١. المأمون يستخدم سلاح (المرأة) ويفشل

المأمون جرب مختلف الطرق واحتال بكل حيلة، لكي يزحزح الإمام الجوادعليه السلام الشاب عن شموخه الإيماني وعن موقفه الحازم، لكنه فشل فشلاً ذريعاً في كل مرة.

وكان من الحيل التي خطط لها بكل دقة ودهاء: أنه انتخب مجموعة من أجمل فتيات العالم- فقد كان إمبراطوراً وكل شيء حسب الظاهر بيده، كما أن من أولويات أمثاله من الحكام كانت قضية الجواري والنساء

وإرضاء الغرائز ـ ليست فتاة واحدة، أو اثنتين، وثلاثة، بل مائة فتاة ووصيفة!! كما يصرح التاريخ بأنه: اختار مائة وصيفة من أجمل ما يكنّ؛ انتخبهن حتى يغرين الإمام الجواد (عليه سلام الله) وهو شاب في مقتبل العمر، لكنه فوجئ حسب التقارير التي وصلت إليه بأن الإمام عليه السلام لم يُعِر لهن بالاً على الإطلاق، ولم ينظر لهن أبداً..

نعم، الناس (امتحنوا) الأئمة الأطهار، لا في هٰذا الموقف فحسب، بل في المئات بل الألوف من المواقف، ولا نزال نمتحن علمائنا؛ لذا نلتف حولهم، حول كل من خرج من الامتحان منهم بنجاح، كما ندعو الآخرين للامتحان أيضاً، تعالوا وانظروا إلى علماءنا، كيف هم عُبَّاد؟ كيف هم زُهاد؟ هل من قصور يسكن فيها كبار العلماء؟ تعالوا إلى النجف المشرف، اذهبوا إلى كربلاء المقدسة، سافروا إلى قم ومشهد المقدستين، ابحثوا في الحوزات العلمية المختلفة، الأساتذة في هٰذه الحوزة (الزينبية) المقدسة، أو في أية حوزة أخرى: في أصفهان أو تبريز أو أفغانستان أو الباكستان أو في الهند أو في غيرها، هل تجدون كبار العلماء يسكنون في قصور، أم في بيوت عادية؟!

يربح ٢٩٨ مليون دولاراً سنوياً!

ولاحظوا في الإتجاه المقابل، ذٰلك الشخص الذي يربح سنوياً من التجارة ـ ولا أذكر اسمه ـ حوالي ثلاثمائة مليون دولار!! وهو واحد من أئمة بعض الطرق الحديثة نسبياً...

وقد فصّلت الحديث عن ذٰلك في بعض المجلات الشهيرة، والتي استعرضت أيضاً بعض ما يملك من ثروات عينية، من فنادق، وعمارات، واستثمارات أخرى، هٰذا (الشخص) يربح من تجاراته واستثماراته الشخصية التي كانت غالباً من (حقوق) رعاياه، مئات الملايين من

الدولارات ثم يسمى (عالماً) و(إماماً)! و(عالمنا) في النجف، أو كربلاء، أو قم أو مشهد أو الزينبية أو الهند أو الباكستان أو أفغانستان وغيرها، هو ذٰلك الذي يعيش عيشة الفقراء والزهاد، رغم أن المال الذي يصل لأيدي الكثير منهم ليس قليلاً..

عرفنا أئمتنا (عليهم سلام الله)

والحاصل: إننا (تعرّفنا) على أئمتنا الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين) وعرفناهم بكل وضوح وعمق ودقة واحتياط، ولا نزال نختبر علمائنا الأخيار عبر الأجيال، ولا نسلِّم (لحانا) و(ذقوننا) لمن لا نحرز رضا الله تعالى عنه وكفاءته ومكانته.

فهل يتوهم متوهم، أن أتباع أهل البيت (عليهم صلوات الله) يتبعون المراجع العظام أو يتبعون العلماء الكرام، هٰكذا ودون مراقبة وفحص وتمحيص وغربلة حتى لأدق جوانب حياتهم؟! كلا وألف كلا.. إنهم في كل بلد يراقبون العالم بدقة؛ ويبحثون في شؤونه، وتقواه، وورعه، وأخلاقه، وسلوكه، وزهده وهل له في البنك رصيد، وكم لديه من الممتلكات ومن أين أتى بها؟.. ومن حاد عن منهج أهل البيت عليهم السلام تركوه وانتقلوا إلى غيره من الأعلام والمراجع الكرام.

إننا إنما التففنا حول العلماء؛ وحول الفقهاء؛ لأننا وجدنا فيهم هٰذه المناقبيات.

المقدس الشيرازي قدس سره

الأخ الأكبر المرحوم السيد محمد رضا رحمه الله، الناس كم كانت تُكِنُّ له من (محبة) و(مودة)؟ المحبة التي تجلت ـ فيما تجلت ـ في تشييعه المليوني النادر، بل ظاهراً (العديم النظير)؛ إذ لم تشهد مدننا المقدسة:

كربلاء المقدسة، والنجف المشرف، وقم المقدسة طوال التاريخ هٰكذا تشييع من قم إلى النجف إلى كربلاء، فكان عديم النظير ـ ظاهراً فيما نعلم والله أعلم ـ أي من حيث المجموع، وبذلك الترتيب والمهابة وحجم الحضور، وكيفية المشييعين، كمجموع في تلك السلسلة المتتالية من البلاد المقدسة، فهل كانت وراءه دولة؟

الكل يعلم أنه لا، بل إن دولتي إيران والعراق كلتيهما تجاهلتا رحيله وتشييعه تماماً!! فما هو السبب في تلك المحبة الكبيرة التي امتلكها في قلوب الملايين من الناس؟!

السبب هو: أن الناس عرفوا فيه الزهد، عرفوا فيه الورع، عرفوا فيه التقوى، عرفوا فيه العلم، عرفوا فيه الأخلاق الفاضلة، فإن الملايين بل عشرات الملايين من الأموال كانت تجري على يديه، لكنه كان يوصلها لأهلها ومستحقيها وينفقها فوراً ودون إبطاء في سبيل الله تعالى، لتذهب لإحياء معالم الدين، أو للفقراء والمعوزين، وهكذا نجده قد استشهد رحمة الله عليه، ولم يخلف إلا بعض الكتب وبعض الملابس، وما أشبه ذٰلك من أوليات الحياة المتقشفة البسيطة..

هذه كلها، الله تعالى يعلمها، والناس يفهموها جيداً؛ ولذا يقذف الله محبة أمثال هٰؤلاء العلماء في قلوب الناس، حتى (بيته الشخصي) الذي أهدى مبلغه له أحد المؤمنين من ماله الخاص، ولم يكن خمساً ولا حقاً شرعياً، بل كان هدية خالصة رفض رَحِمَهُ اللهُ وأبى أن يكون ملكاً شخصياً له، فجعله وقفاً شرعياً، وبشروط معينة[1]؛ وتدبروا جيداً في هٰذا المعنى (حتى بيت ما كان عنده)، وذلك على الرغم من أنه أهديت له بيوت

(١) ومنها: أن أولاده يستطيعون أن يسكنوا في ذلك المنزل ما داموا متصفين بضوابط، ومنها: أن يكونوا طلاب علوم دينية وعلماء.

متعددة، أو مبالغها طوال هٰذه الفترة، فقد كان يأتيه التاجر ويهديه مالاً أو بيتاً من ماله الشخصي، فلا هي خمس، ولا هي زكاة، ولا هي صدقة، بل هي هدية؛ لأنه يحبه، ويعتقد به.. ولكن الفقيه المقدس السيد الرضا (رضوان الله عليه) كان يرفض ذلك، بل كان يصرفها في شؤون الدِّين والمسلمين والفقراء والمساكين..

وإن هٰذا ليعتبر شاهد صدق، على أن الناس عندما التفوا حول أهل البيت (عليهم صلوات الله) ولا يزالون ملتفين حول العلماء، فذلك إنما هو لأنهم وجدوا فيهم (الزهد) وأي زهد! و(الورع) وأي ورع! و(التقوى) وأية تقوى!

وعوداً على بدء، فإن المأمون احتال على الإمام الجواد (عليه سلام الله) بكل حيلة وبألف طريقة ووسيلة، وكان منها: مائة امرأة جميلة حاول أن يغوي الإمام الجواد (عليه سلام الله) بهنَّ ليضله عن السبيل.

فهل افتتن الإمام؟!

الجواب أوضح من الشمس: كلا.. وألف كلا، لأن الإمام محصن وبأية حصانة؟ إنها (العصمة الكبرى)، وذلك واضح وثابت وبرهاني؛ إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

ولكن هل يئس المأمون؟ كلا.. فإن المأمون كان مكاراً دجالاً، وكان قمة في الذكاء الشيطاني؛ ولذا استمر يخطط، مرة أخرى، ومرتين، وثلاثة، وأربعة، وكان يفشل في كل مرة، لكنه لم يكن ييأس؛ لأن الإمام هو إمام الرافضة! وأحق الناس بالأمر، وله شعبية واسعة جداً؛ ولأن الإمام كان هو صهره وزوج ابنته، فلابد من إغوائه حتى يصير مثله، وإلا سوف يقتله شر قتلةٍ.

٢. المأمون يستخدم سلاح (الطرب) ويفشل

وهكذا انطلق المأمون إلى تجربة من نمط آخر من الإغراءات الدنيوية؛ إذ أنه عندما فشل في استخدام سلاح (المرأة)، والنساء ما قدرن أن يفعلن شيئاً، حاول أن يستخدم سلاحاً آخر، فانتخب شخصاً اسمه مخارق، وكان من أشهر أو أشهر مغني في البلاد، وذا صوت جميل مطرب، ويمتلك صوتاً من أجمل الأصوات، وكان إلى ذلك ذا لحية طويلة تسمى (العثنون).

المأمون العباسي استخدم هذا المطرب الشهير (مخارق) وقال له: اذهب إلى مجلس الإمام الجواد عليه السلام؛ ولأنه مبعوث الخليفة شخصياً، فإنه سيدخل غصباً عن الإمام عليه السلام؛ إذ لا يستطيع أن يمنعه أحد، وإلا فالنطع والسيف!.. فدخل إلى مجلس الإمام (عليه سلام الله) وحسب الرواية فإن مخارق شهق شهقة من شهقات المغنين، اجتمع لها كل مَنْ كان في البيت من خدم المأمون والحشم، وتحلقوا حول هذا المغني الشهير... ثم بدأ يغني بأجمل ما لديه من الألحان... لكن الإمام الجواد عليه السلام نكس رأسه المبارك وانشغل بذكر الله تعالى، واستمر مخارق المغني فترة من الزمن لعلها كانت وجيزة... والإمام غارق في عالم آخر.. عالم من المناجاة والدعاء والإنقطاع لله تعالى.. لكنه حيث رأى أنه لا يكفّ ولا يرتدع، ولا يرعوي، ولا يتأدب، التفت إليه الإمام الجواد (عليه سلام الله)، وقال له جملة واحدة فقط وهي: «**اتقِ الله يا ذا العثنون**»[1]. لكنها كانت كلمة صادرة من ولي الله الأعظم... ولذلك فإنه بمجرد ما خاطبه بذلك، ارتجفت يد (مخارق) وسقط العود الذي كان بيده من يده.. ثم رجع إلى المأمون ليقول له مذهولاً: (صرخ بي صرخة، ارتجفت منها

(١) الكافي الشريف ـ ج١ ص٤٩٥ ـ باب مولد أبي جعفر محمد بن علي الثاني سلام الله عليه ـ.

رجفة لا أفيق منها أبداً) وقد اختلت مشاعره بعد ذلك، وسقطت يده عن العمل، وانتهى الأمر بفضيحة له وللمأمون العباسي..

الإمام الجواد (عليه سلام الله) والإمام الرضا (عليه سلام الله) كانا في ظرف عصيب جداً، في ظرف حساس جداً، وكل المغريات كانت تنهال عليهم، ومن الإتجاه الآخر، كان الهجوم عليهم شديداً أيضاً.. حيث أن الأئمةعليهم السلام تعرضوا لامتحان الإتهامات الكاذبة الظالمة المتتالية المتلونة والمتغيرة، من شتى الحكومات المتعاقبة، والتي ضلّلت الكثير من بسطاء الناس.. ومع ذلك بقوا شامخين شموخ الجبال الراسيات.. بل إزدادوا علواً وشموخاً وعظمة ونوراً وتلألؤاً..

وننقل ههنا روايتين تكشفان بعض التهم التي وجهت للإمام الجواد (عليه سلام الله) في خِضَمِّ سيل التهم التي كانت توجه لأئمة أهل البيت (عليهم صلوات الله) قديماً وحديثاً، نقتبسهما من موسوعة «بحار الأنوار» الخالدة:

٣- (المعتصم) يستخدم سلاح الإتهام بالانقلاب العسكري، ويفشل

كان (المعتصم) العباسي يعرف بأن الإمام الجواد (عليه سلام الله) محصّن جداً، ولا مجال لاستدراجه لكي يُغرم بالدنيا أو الرئاسة أو الشهرة، أو أن يهادن الظالم ويمالئه، أو يكفّ عن النهي عن المنكر، أو عن الأمر بالمعروف؛ ولذلك فكر بحيلة أخرى من نمط آخر، وهي حيلة جهنمية تعتمد على استخدام ذريعة (المؤامرة لقلب نظام الحكم) كوسيلة لتصفية الإمام والقضاء عليه وعلى أصحابه...

يقول التاريخ: أن المعتصم دعا جماعة من وزراءه، وقال لهم: (اشهدوا لي على محمد بن علي بن موسى) أي الإمام الجواد (عليه

سلام الله) (زوراً)؛ إذ لابد أن يكذب، لابد أن يمارس الدجل لتصفية المعارضة! (اشهدوا لي على محمد بن علي بن موسى زورا واكتبوا أنه أراد أن يخرج) أي أراد أن يقوم بانقلاب عسكري ضدي، حتى تتوفر لنا الذريعة بذلك لكي نقتله!!

ثم بعد ذلك أرسل المعتصم في استدعاء الإمام «عليه سلام الله»، بعد أن أعدّ لمؤامرة الإتهام جيداً، وهذا ـ لعمري ـ من هوان الدنيا على الله، أن يقوم شخص فاسق فاجر بإستدعاء ولي الله الأعظم إلى مجلسه، ليتهمه بتهمة كاذبة لتتوفر له الذريعة للقضاء عليه.

وقد ورد في الرواية: «لو عدلت الدنيا عند الله (عز وجل) جناح بعوضة ما سقى عدوه منها شربة ماء..»[1] ولكن الدنيا دار امتحان، ولذا كان أنبياء الله العظام وأوصياؤهم، يُطارَدون ويُتهمون ويُعذبون ويُقتلون..

وعندما حضر الإمام عليه سلام الله، واجهه المعتصم بالتهمة وقال له: انك أردت أن تخرج عليّ، فقال الإمام: والله ما فعلت شيئاً من ذلك.. أي: لا خططت لانقلاب عسكري أو مواجهة نظامية، ولا أردت أن أخرج عليك، فقال المعتصم: إن فلاناً وفلاناً، شهدوا عليك، ثم احضرهم واستشهد بهم.

فقالوا: نعم، هٰذه الكتب ـ وكانوا قد دلّسوا كتباً أيضاً ـ هٰذه الكتب أخذناها من بعض غلمانك..

قال الراوي: (وكان الجمع جلوساً في بهو ـ والبهو هو القاعة الكبيرة، أي قاعة الاستقبال التي تكون في مقدمة الدار ـ فرفع أبو جعفر الجواد (سلام الله عليه) يده، وقال: «**اللهم إن كانوا كذبوا عليّ فخذهم**»..

(١) الكافي الشريف للشيخ الكليني قدس سره: ج٢، ص٢٤٦، باب الرضا بموهبة الإيمان، ح٥.

فنظرنا إلى ذٰلك البهو كيف يرجف ويذهب ويجيء، وكلما قام واحد منهم وقع)، فقال المعتصم الجبار الطاغوت الذي غرته أيام الدنيا، لكنه تَملَّكه الرعب الشديد الآن حيث رأى عذاب الله محيطاً به.. وحيث رأى بعده العذاب الأبدي السرمدي في نار جهنم، مع أشباهه من الذين ظلموا أهل البيت عليهم السلام.. نعم، هٰذا الطاغوت الجائر الذي كان يحكم على ما ربما يقارب ثلثي الكرة الأرضية، وكان من أقوى الحكام على وجه الأرض على إمتداد التاريخ، لما رأى غضب ولي الله الأعظم، ورأى العذاب... تخاذل وانكمش وخاف وتضرع إلى الإمام قائلاً:

يا ابن رسول الله ـ إني تبت الآن ـ إني تائب مما قلت فادعو ربك أن يسكنه، أي هٰذا البهو..

فقال الإمام الجواد (صلوات الله عليه): «**اللهم سكنه، انك تعلم إنهم أعداؤك وأعدائي**»، فسكن.[1]

إن الأنبياء والأئمة (عليهم صلوات الله) ليس منهجهم ـ بشكل عام ـ القضاء على الطغاة والعصاة بالدعاء، وإلا لما كانت الدنيا دار امتحان، ولما بقي طاغٍ أو عاصٍ، ولما بقي أكثر البشر، بل ربما فني ٩٩،٩٩٪ من البشر.

ولقد كان ذٰلك التهديد وإراءة العذاب لهم ونظائره، إتماماً للحجة وإيضاحاً للمحجة...

لاحظوا أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في مكة المكرمة، كم آذوه بأنواع من الأذى الشديد الهائل، ولو كان يدعو عليهم لإقتلعهم من جذورهم دون إبطاء، ولكن الدنيا دار للامتحان؛ ولذلك كان يمنحهم فُسحةً ومهلة؛ فإن الله يُمهل ولا يهمل.. قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ

(١) الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي: ص٥٢٥.

لِأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.[١]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.[٢]

الشيعة والحكومات

وأخيراً أقول: ليعرف العالم أن الشيعة وأتباع أهل البيت (عليهم صلوات الله) على مرِّ التاريخ، هم على منهج أئمتهم (عليهم سلام الله)، فهم أناس (مسالمون)، بهم استقرار البلاد وأمن العباد.

وأنتم الآن تأملوا أوضاع الدول في عالم اليوم، فهل هناك من شيعي في أية دولة من الدول أراد أن يقوم بانقلاب عسكري؟ اذهبوا إلى السودان، وإلى مصر، وإلى أية دولة أخرى من الدول المختلفة..

إن (الشيعي) لا ترى منه إلا السلام والسلامة، واللطف، والمحبة، والتعقل، والحكمة، ولكنهم مع ذٰلك صاروا عرضةً لنبال التهم، التي أضحى يتهم بها هٰذا الإنسان الشيعي المؤمن المسالم الصابر المحتسب..

إن الشيعة ليس لهم إلا (المنطق)..

ونقول مؤكدِّين: يا أيها الناس! إننا نملك منطق: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[٣] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾[٤] و:﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ

(١)آل عمران: ١٧٩.

(٢)إبراهيم: ٤٢.

(٣)آل عمران: ١٩.

(٤)البقرة: ٢٠٨.

أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[١] ونستخدم سلاح: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[٢] ولا غير.

تعالوا استمعوا لكلامنا ومنطقنا وعقائدنا وآراءنا، ولا شيء آخر لدينا ولله الحمد، كما لا توجد ورائنا (دولة)، ولا (سياسة)..

نعم، يمكن أن يوجد للنادر من الشيعة ارتباطات سياسية، لكن الشيعة كطائفة وهم مئات الملايين من الناس، هم أناس عرفهم العالم بالصلاح والإصلاح والاستقلالية والسلم والسلام، اقتداءاً بأئمتهم (عليهم من الله الصلاة والسلام).

بل أن الأمر على العكس مما يصوره الأعداء تماماً، فأنتم لاحظوا بعض دول الخليج، حيث ادخلوا بعض الشيعة في الحكم فما الذي رأوه منهم غير الخير، حكومة وشعباً، وإذا وجدت في ذاك الإنسان الذي ادخل في وزارة أو غيرها، بعض النواقص أو الخلل فإنما ذٰلك؛ لعلة منه هو، وليس لإنتمائه الشيعي والطائفي، ولا لإنتمائه لآل بيت رسول الله (عليهم صلوات الله) أية مدخلية في ذلك؛ بل الأمر بالعكس تماماً، أي: أن كل ما فيه من الخير والصلاح، فلأنه اتبع الإمام الجواد، والأئمة (عليهم سلام الله) وتربى في مجالس الإمام الحسين (عليه من الله السلام).

وهذه الحقيقة ساطعة سطوع الشمس، ويعرفها الناس كلهم كما يعرفون آباءهم.. أي أنهم يعرفون أن هٰذا الإنسان الموالي، خيرُه من أئمته، وشرُه من نفسه.. وبذلك يتجلى لنا أن الشيعي بما هو شيعي، اللازم عليك ـ عقلاً وعرفاً وشرعاً ـ أن تُشجعه وتحترمه، أيها الحاكم، والوزير، وأيها النائب، وأيها المسلم؛ لأن الشيعي هو عامل استقرار

(١)الزمر: ١٨.
(٢)النحل: ١٢٥.

في البلد وسبب الأمن والأمان، فكل شيعي هو زهرة نضرة، أو وردة عطرة، وهو ركن السلم والسلام، وهو عنوان المحبة والصفاء والإخاء، لماذا؟ لأن أئمتهم كانوا هٰكذا في مختلف العصور، رغم قساوة الأيام وظلم الحكام.

نعم، الشيعة يقولون: عندنا كلام فاسمعوا كلامنا، وهو لخيركم وخير بلادكم وشعوبكم، ولا شيء آخر لدينا.. ونقول لكم: هٰذا هو الحق فاتبعوه، وأما أنتم فاقبلوا أو لا تقبلوا فهذا شأنكم..: ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾.(١)

(علماء الشيعة) مصدر أمن وسلم واستقرار

ونحن نعيش وأنتم تعيشون في هٰذا البلد الطيب بعقيلة الهاشميين، السيدة زينب (عليها سلام الله) والمبارك بإبنة سيد شباب أهل الجنة، السيدة رقية (عليها وعلى أبيها وسائر العترة الطاهرة من الله السلام)، منذ سنوات وسنوات... نتسائل: ما الذي شاهدتموه من العلماء؟

ما الذي رآه أهل هٰذا البلد من سنة، وشيعة، ومسيحيين، وغيرهم من فقهاء أهل البيت (عليهم من الله السلام)؟

إن الناس لم يروا من العلماء والفقهاء وطلاب العلوم الدينية إلا الحب والإخاء والخدمة المخلصة لكل الناس..

فما الذي رآه الناس في هٰذا البلد من العالم الشهير السيد محسن الأمين العاملي قدس سره؟

وما الذي رآه علماء هٰذا البلد من العالم الكبير السيد حسين المكي قدس سره؟

---

(١) يس: ١٧.

وما الذي رآه الناس من مؤسس الحوزة العلمية الزينبية، المقدس السيد حسن الحسيني الشيرازي قدس سره؟

وما الذي رآه الناس من العالم المجاهد الكبير السيد عبد الحسين شرف الدين قدس سره وأمثاله من كبار علماء لبنان وسوريا؟

وما الذي رآه الناس من آية الله العظمى الشيخ الميرزا النائيني رحمه الله في النجف المشرّف.؟

وما الذي رأوه من آية الله العظمى السيد أبي الحسن الأصفهاني رحمه الله.؟

وما الذي رأوه من آية الله العظمى العراقي قدس سره.؟

ما الذي رآه الناس من آية الله العظمى السيد حسين البروجردي قدس سره في قم المقدسة.؟

ما الذي رآه الناس من آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري قدس سره.؟

ما الذي رآه الناس من العلماء الكبار في الهند، أو في الباكستان، أو أفغانستان أو في أي بلد أخر؟

وفي دول الخليج كذلك، فما الذي رآه الناس من المرحوم آية الله الشيخ الهجري قدس سره، وكان من كبار علماء الشيعة في الإحساء؟

وما الذي رآه الناس من المرحوم آية الله السيد شبر قدس سره في الكويت؟ وهكذا وهلم جراً..

ما الذي رآه الناس، منهم غير الحق والصلاح والإصلاح والنصح، والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.؟

وما الذي رأوه منهم غير الخير والحب والود وغير العلم والعمل الصالح وغير التقوى والورع؟

وما ذٰلك إلا لأن علماء أهل البيت عليهم السلام سائرون على طريقة أهل البيت (عليهم صلوات الله) ولذلك تجدهم التجسيد الحقيقي لـ: الزهد، والورع، والتقوى، والسلم، والحب، والمحبة، والأخلاق..

والبحث طويل جداً، ولكن لنقتصر على هٰذا المقدار، وقد بقي أكثر من نصف البحث الذي كنت قد أعددته حتى نوفي هٰذا المبحث بعض حقه، ولكن يبدو أن المقادير قد جرت بهذا المقدار فقط، فلنؤجل البقية، بإذن الله تعالى، إلى بحث لاحق مستفاد من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.[1]

وقد خلصنا حتى الآن إلى: (تقوى الله) المأمور بها في الآية الشريفة، تدفع الإنسان دفعاً (للبحث) عن ﴿الصَّادِقِينَ﴾، وأن استكشافنا لهم وإيماننا بهم، انطلق من توفر (الحجج) بشتى أنواعها؛ إذ كانت عبر مقياس (العلم)، وكانت عبر مقياس (الكرامات) وكانت عبر مقياس (التقوى)، و(الأخلاق الفاضلة) النموذجية (الزهد) و(الورع) عن المحارم و(الزهد) في زهرة الحياة الدنيا، حيث جسد الأئمة الإثنا عشر صلوات الله عليهم، أسمى وأرقى وأطهر وأنصع وأروع تجلياتها.

ثم بعد ذاك، فإن (تقوى الله) تعالى تدفعنا دفعاً (للاقتداء) بهم صلوات الله عليهم، و(لنصرتهم)..

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجلعنا وإياكم، من الذين يقتدون بالصالحين و﴿الصَّادِقِينَ﴾ من أئمة المسلمين من أهل بيت رسول رب العالمين

(١) التوبة: ١١٩.

(عليهم صلوات الله وملائكته وأنبيائه المرسلين وجميع من وحدّه وعبده من المؤمنين)..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

مصادر الكتاب

خير ما نبتدئ به:.

القرآن الكريم.

نهج البلاغة.

١. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للحافظ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري.

٢. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

٣. الإحتجاج للشيخ الطبرسي قدس سره.

٤. الإختصاص للشيخ المفيد قدس سره.

٥. أسباب النزول للواحدي.

٦. الاستبصار للشيخ الطوسي قدس سره.

٧. الأسفار لصدر الدين الشيرازي .

٨. أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين قدس سره.

٩. الأغاني لأبوفرج الأصفهاني.

١٠. إكمال الدين للشيخ الصدوق قدس سره.

١١. الأمالي للشيخ المفيد قدس سره.
١٢. الإمام علي عليه السلام وحروب التأويل لحسين أحمد السيد.
١٣. أمل الآمال للشيخ الحر العاملي قدس سره.
١٤. بحار الأنوار للعلامة المجلسي قدس سره.
١٥. بحر الفوائد في شرح الفرائد للمحقق الآشتياني قدس سره.
١٦. بحوث في العقيدة والسلوك للمؤلف.
١٧. البرهان في علوم القرآن للسيد هاشم البحراني قدس سره.
١٨. البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي قدس سره.
١٩. تاريخ الإسلام للذهبي.
٢٠. تاريخ الطبري.
٢١. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .
٢٢. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر.
٢٣. التبيان لشيخ الطائفة الطوسي قدس سره.
٢٤. تجريد الاعتقاد للشيخ الطوسي قدس سره.
٢٥. تحف العقول لابن شعبة الحراني قدس سره.
٢٦. تفسير الآصفى للفيض الكاشاني قدس سره.
٢٧. تفسير الآلوسي.
٢٨. تفسير الصافي للفيض الكاشاني قدس سره.
٢٩. تفسير القرطبي.
٣٠. تفسير القمي للمحدث الشهير علي بن إبراهيم القمي.
٣١. تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي قدس سره.
٣٢. تفسير نور الثقلين للشيخ الحويزي.

٣٣. تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين لمحسن إبن كرامة.
٣٤. تنقيح المقال للمامقاني قدس سره.
٣٥. تنوير الحوالك للسيوطي.
٣٦. تهذيب الآثار للطبري.
٣٧. تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي قدس سره.
٣٨. التهذيب لأبن حجر .
٣٩. التوسل والوسيلة لابن تيمية.
٤٠. الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي .
٤١. ثم اهتديت للدكتور محمد التيجاني.
٤٢. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم لمحمد بن فتوح الحميدي.
٤٣. جواهر الكلام للشيخ محمد حسن الجواهري قدس سره.
٤٤. الدر المنثور للسيوطي.
٤٥. رجال الشيخ الطوسي .
٤٦. رجال النجاشي.
٤٧. روضة الواعظين للفتال النيسابوري.
٤٨. سنن الترمذي .
٤٩. سنن الدارمي .
٥٠. السنن الكبرى للبيهقي.
٥١. السنن الكبرى للنسائي.
٥٢. سير أعلام النبلاء للذهبي.
٥٣. سيرة الرسول الأعظم للشيخ الطائي.
٥٤. شواهد التنزيل للحسكاني.

٥٥. شورى الفقهاء ـ دراسة فقهية ـ أصولية للمؤلف.
٥٦. صحيح البخاري .
٥٧. صحيح مسلم .
٥٨. الضوابط الكلية لضمان الإصابة في الأحكام العقلية للمؤلف.
٥٩. الطبقات الكبرى لابن سعد.
٦٠. العبقات للسيد حامد الموسوي قدس سره.
٦١. علل الشرائع للشيخ الصدوق قدس سره.
٦٢. علي في القرآن للمرجع الكبير السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله .
٦٣. العمدة لابن البطريق.
٦٤. عوالي اللئالي لإبن أبي جمهور الإحسائي قدس سره.
٦٥. عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق قدس سره.
٦٦. عيون المعجزات لحسن بن عبد الوهاب.
٦٧. الغدير للعلامة الأميني قدس سره .
٦٨. فصوص الحكم لإبن عربي.
٦٩. فضائل الصحابة للنسائي.
٧٠. الفضائل لشاذان بن جبرائيل القمي.
٧١. فقه التعاون على البر والتقوى للمؤلف.
٧٢. الفهرست للشيخ الطوسي قدس سره.
٧٣. قاعدة لا ضرر للمرجع الكبير السيد علي السيستاني دام ظله.
٧٤. قاعدة لا ضرر للمرجع الكبير السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله.

٧٥. قرب الإسناد للحميري القمي.

٧٦. القواعد الفقهية للبجنوردي قدس سره.

٧٧. القواعد الفقهية للشيخ الإيرواني.

٧٨. الكاشف في معرفة من له رواية في كتب السنة للذهبي.

٧٩. الكافي الشريف للشيخ الكليني قدس سره.

٨٠. كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق قدس سره.

٨١. كنز العمال للمتقي الهندي.

٨٢. لأكون مع الصادقين للدكتور محمد التيجاني.

٨٣. اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية للمحدث الشهير السيد هاشم البحراني قدس سره (أو ألف آية نزلت في الإمام علي سلام الله عليه).

٨٤. ليالي بيشاور للعلامة الشيرازي قدس سره.

٨٥. المراجعات للعلامة شرف الدين قدس سره.

٨٦. مستدرك الوسائل للميرزا النوري قدس سره.

٨٧. مستدرك سفينة البحار للنمازي الشاهرودي.

٨٨. المستدرك للحاكم النيسابوري.

٨٩. المسترشد للطبري.

٩٠. مسند الشهاب.

٩١. مسند زيد بن علي.

٩٢. مصنف عبد الرزاق.

٩٣. المعجم الأوسط للطبراني.

٩٤. المعجم الوسيط.

٩٥. المغازي للواقدي.

٩٦. مقدمة شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبدة.

٩٧. من فقه الزهراء عليها السلام لسيد الفقهاء السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره.

٩٨. مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب.

٩٩. مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني.

١٠٠. المنجد.

١٠١. منهاج السنة لابن تيمية.

١٠٢. موسوعة الفقه لسيد الفقهاء السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره.

١٠٣. الميزان في تفسير القرآن للعلامة الطباطبائي.

١٠٤. النص والاجتهاد للعلامة شرف الدين قدس سره.

١٠٥. وركبت السفينة لمروان خليفات.

١٠٦. وسائل الشيعة للحر العاملي قدس سره.

١٠٧. وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان لابن خلكان.

١٠٨. ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي الحنفي.

المحتويات

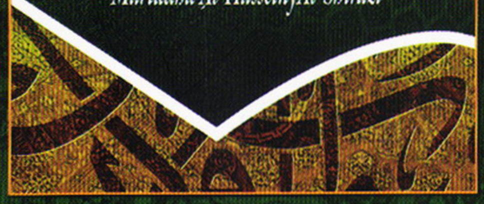
Reflective Lessons in the Exegesis of the Holy Qur'an

A Series with The Truthful (1)

Be with the Truthful

Ayatullah

Murtadha Al-HusseinyAl-Shirazi





آية الله السيد مرتضى الحسيني الشيرازي

عن الكتاب

سلسلة بحوث هامة سيجدها القارئ الكريم في هذا الجزء

من سلسلة (مع الصادقين):

المرجعية المطلقة هي لـ (الصادقين) لا لـ (السلاطين).

هل نحن اتباع (الصادقين) أم اتباع (الفلاسفة)؟

بين منهج (الصادقين) ومنهج (العرفاء الشامخين)!

أن تكون (مع الصادقين) يعني أنه تكون من (طليعة المجاهدين)...

وبحوث أخرى أصولية وكلامية وفقهية وبلاغية وإجتماعية حول آية (الصادقين): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.